T
109A

كلمـــــة شـــــكر

لابدّ لي في مستهل رسالتي المتواضعة هذه ، استجابة لواجب الوفاء ، من تقديم الشكر الصادق الى حضرات الاساتذة الذين تلطفوا بمســـــاعدتي في انجازها ، وأخص منهم أستاذى الدكتوراحسان عباس ، الذى أشــــرف على اعدادها وتجشم كثيرا من الجهد في معاونتي وتوجيهي ، وكذلك أتقـــدم بالشكر للجنة الامتحان التي تفضلت بقراءة الرسالة ومناقشتها واستدراك مافيها من خطأ أو تقصير .

عبـد المهــدى يادكــارى

حزيران ١٩٦٧

آل طاهر والحركة الادبية
في العصر العباسي

قدمها

عبد المهدى اليادكارى

رسالة مقدمة الى الدائرة العربية
في الجامعة الاميركية ببيروت
للحصول على درجة الماجستير في الاداب

حزيران سنة ١٩٦٧

١

بسم الله الرحمن الرحيم

أ

تصدير

ظهر الطاهرية على مسرح التاريخ في ايران بين سنتي ٢٠٥ هـ - ٢٥٩ هـ (٨١٩م - ٨٧٣م) أيام الخلافة العباسية ، وساهم ابناؤها واشتهروا في ميداني التاريخ السياسي والادبي ، وشغلوا مناصب هامة في الدولة العباسية منذ عهد المأمون، واستطاعوا ان يحتفظوا بهذه المكانة الممتازة في وجه التقلبات والصعوبات خلال تلك الفترة . واجتمع حولهم الشعراء والادباء ، والعلماء والفضلاء من جهات متعددة .

وقد أخذ الطاهريون من كبار أهل العلم والادب والحديث ، ومنهم تلقى العلم تلامذتهم ، وألّفوا وصنّفوا في موضوعات ، وشجعوا أهل الادب وحملة العلم . كما ولّي كثير منهم ومن بني عمومتهم - وكلهم من آل مصعب - شرطة بغداد وادارة الولايات لثقة الخلفاء بهم في هذه المهمة وقدرتهم على تملّك الامور وحذقهم ومهارتهم في القيام بهذه الوظيفة الخطيرة وضبطهم لمقادير الامور واطلاعهم بالأنظمة ومعرفتهم بتطبيقها . فلمع اسمهم في التاريخ وذاع صيتهم واحتفظوا بمكانة سامية طوال حكمهم الى أن زالت دولتهم .

وتبدأ هذه الاسرة بطاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان ، وتستمر حتى مجيء يعقوب بن الليث الصفاري وطرده لمحمد بن طاهر الثاني ٢٥٩ هـ . ولقد قمت في دراستي هذه بتصوير الدور الذى قام به الطاهريون في مجالي التاريخ والادب ، والحضارة عامة ، خلال تلك الفترة المحدّدة . وفي سبيل هذه الغاية رجعت الى مصادر عديدة لأن اخبارهم كانت مبعثرة في الكتب ذكرها المؤرخون في مناسبات خاصة أو في المقارنات احيانا ، أو اكتفى كل مؤلف بذكر ما يخص بحثه وتأليفه . فالمؤلف الجغرافي

مثلا عندما تطرق الى نيشابور وهرات وبوشنج ذكر شيئا منها،وقد لا يذكر الكثير منهم كل المدن أو كل ما حدث بها ، ومن اهتم بالتاريخ ذكر من أخبار هؤلاء ما كان يتصل بأخبار الخلافة ، وهكذا فقد وجب الخوض في كتب البلدان والمسالك والممالك للتعرف على منطقة النفوذ الطاهرى في خراسان والجبال ، وفي كتب التاريخ للتعرّف على الحوادث التي ترتبط بنشاطهم في ظل الخلافة العباسية والحروب والمعاهدات ، وفي كتب الادب للعثور على أقوالهم المنظومة والمنثورة والملح والنوادر والمجالس والغناء وتشجيعهم لهذه الحالة الادبية بل والاطلاع على كتب الفنون والخطط لمعرفة المباني والمنشئات التي قد ساهموا في انشائها كخطط المقريزى وغيره ، وكانت بعض هذه الكتب غير مفهرس يصعب على القارئ الحصول على ما يقصده الا بقراءة الكتاب كاملا حتى تمّ لي هذا الوجيز .

وقسمت الكتاب في قسمين رئيسين : الكتاب الاول يتضمن كل ما يتعلق بالتاريخ السياسي للطاهريين بخراسان ويشتمل على ثلاثة فصول هي : طاهر بن الحسين وتأسيس الدولة الطاهرية ، خلفاء طاهر بن الحسين ثم نظرة في الدولة الطاهرية . والكتاب الثاني يبحث في الدور الذى يلعبه الطاهريون في الحياة الادبية ويشمل على تمهيد وثلاثة فصول أيضا . الادباء والشعراء من الطاهريين ، آل طاهر والغناء واخيرا الادب والعلم في ظل بني طاهر . وقد ألحقت — في الخاتمة — ملحقا يبحث في الطاهريين والمصعبيين الذين تولّوا المناصب الكبرى في الدولة العباسية ، وأدوارهم في الحياة الادبية عامة . وأملي أن يكون الكتاب هذا نافعا — وان لم يخل من نواقص — لمن يرغب في معرفة هذه الدولة التي حافظت على الصبغة العربية رغم كونها ووجودها في ايران ، فشجعت التراث العربي لأنّه تراث اسلامي ، وحافظت على اللغة العربية ، وكان لها دور لا ينكر في سياسة الدولة العباسية عامة .

تصدير

المقدمة

الاسرة الطاهرية

مهدها - نسبها - بداية ظهورها

الاسـرة الطاهـريـة

مهدها - نسبها - بداية ظهورها

١- مهد الطاهريين :

كان اقليم خراسان في العهد الاسلامي ينقسم الى اربعة ارباع ، نسب كل ربع الى احدى المدن الكبرى وهي : نيسابور (نيشابور) ومرو وبلخ وهراة . وكانت هذه المدن الاربع الكبرى عواصم للاقليم بصورة منفردة أو مجتمعة ، الا ان الامراء الطاهريين نقلوا دار الامارة الى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور في أيامهم عاصمة الاقليم كله (١) .

وكانت كورة نيسابور - وهي أكبر مدينة في أقصى الارباع غربا - تضم معظم اقليم قوهستان . اذن فخراسان في العهد الطاهرى اقليم واسع في البلاد الشرقية حسب المدلول الواسع ، وهو يشمل معظم قوهستان وكلها احيانا (٢) ، ثم توسع الطاهريون حتى أصبح نفوذهم يبلغ حدود الهند ، كما سيطروا على الرى وكرمان . وكانت نيشابور - في صدر العهد الاسلامي - تسمى ابرشهر ، وسماها المقدسي ايرانشهر ، ولما اتخذها الطاهريون عاصمة لهم كانت مدينة عامرة جليلة وليس بخراسان كلها مدينة أصح هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة من نيشابور (٣) . وهي ذات مياه وافرة وخيرات كثيرة ، ومناخها جيّد وتعد من مراكز الثقافة وتستمد أهميتها من موقعها عند ملتقى طرق القوافل (٤) .

---

(١) المسالك والممالك للاصطخرى : ١٤٧

(٢) المصدر نفسه : ١٣٤

(٣) المصدر نفسه : ١٤٦

(٤) هناك وصف رائع لنيشابور وصفها عمرو الليث الصفارى . راجع نهاية الارب للنويرى ١ : ٣٤٩

وفي بوشنج من مدن خراسان ، ولد طاهر بن الحسين مؤسس دولة بني طاهر[١] .
وكانت بوشنج تقع على مسيرة يوم الى الغرب من هرات وكانت في القرن السابع الهجرى نحوا من نصف هرات . وظلت بوشنج بعد الطاهريين قائمة حتى استولى عليها تيمور المغولي سنة ٧٨٣ هـ = ١٣٨١ م حيث نهبها . وبعدها اختفى اسمها من التاريخ[٢] .

نسب الطاهريين

وكانت تسكن في بوشنج اسرة قيل ان ابناءها ينحدرون من رستم دستان[٣] ، وزعموا انهم من أعقاب الاكاسرة وغير ذلك وهي اسرة بني طاهر . فأصلهم اذن ليس معلوما بالضبط ولكن معرفتنا بهم تبدأ من زريق الذى كان مولى طلحة الطلحات . وكان ابنا زريق — وهما طلحة ومصعب — كاتبين في بدء الدعوة العباسية بخراسان يكتبان لابراهيم الامام وسليمان بن كثير هناك[٤] .

وقد اضطربت المصادر في الجد الاعلى لهذه الاسرة ففي بعضها انه طاهر بن مصعب بن زريق بن ماهان وقيل : — زريق بن اسعد بن رادويه (اوزادان)[٥] . أما صاحب تاريخ سيستان فانه ذكر النسب كما يلي : — طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزتو مولى علي بن أبي طالب عليه السلام[٦] . وأضاف المحقق المصحح الاستاذ المرحوم ملك الشعراء بهار في حاشية تاريخ سيستان : "كذا ولكن المعروف زريق" . فأيهما أصح يا ترى ؟

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٣
(٢) معجم البلدان مادة بوشنج .
(٣) التنبيه والاشراف : ٣٤٧
(٤) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٦ ، الاخبار الطوال للدينورى : ٣٣٥ ، الوزراء والكتاب : ٨٤ — ٨٥
(٥) المصدر نفسه ٢ : ٢٠١
(٦) تاريخ سيستان : ١٧٢

يرى ملك الشعراء - في المقدمة - ان تاريخ سيستان هذا يقابل أقدم ما كتب بالفارسية كنثر البلعمي في ترجمته لتاريخ الطبرى بين ٣٥٠ هـ - ٣٦٠ هـ (٩٦١ - ٩٧٠ م) ويقيم لرأيه دلائل كثيرة من حيث الانشاء ورسم الخط والابيات الشعرية واللهجات القديمة في ايران ولا سيما خراسان ، والرجل خبير في فنه . فاذا كان كذلك فان معناه ان تاريخ سيستان دوّن أواخر العهد الصفارى أو في العهد السامانى .والدولة السامانية خراسانية كصاحبتها الطاهرية والشعب هو هو ، وعلمهم بالاسماء والعائلات والانساب أكثر من علم من كتبوا في غير خراسان أو عرّبوا الكلمات والاسماء . ومن جهة اخرى فان زريق قريبة الشبه لرزتوو لا سيما وان الواو قديما كانت مذنّبة أى انها كانت تمتد أكثر مما عليه الآن وذلك بسبب رؤوس الاقلام القصبية ، فليس ببعيد ان يكون الاسم الصحيح هو رزتو . اما ورود " أسعد " في سلسلة النسب فربما جاء من اختلاط نسبه بنسب مولاه طلحة الطلحات . ولعل " رادان " أو " زادان " انما كانت تصحيفا آخر من لفظة " بياضة " الذى كان الجد السادس لطلحة الطلحات والتي يلفظها الفارسي " بيازه - أو بياده " . ولكن أكان مصعب بن زريق (أو رزتو) مولى لطلحة الطلحات ام لعلي بن أبي طالب عليه السلام كما ذكر صاحب تاريخ سيستان ؟

تصرح المصادر ان سلم بن زياد - في خلافة يزيد بن معاوية [١] بعث طلحة الطلحات واليا على سجستان (أى سيستان) سنة ٦٣ هـ = ٦٨٢ م [٢] وسجستان ملاصقة لخراسان ومجاورة لغوشنج أولا ، كذلك نراه بسمرقند وقد ذهبت عينه بها [٣] . كما صرّح ابن عساكر بوجوده بخراسان [٤] . فلا نشك اذن في وصول طلحة الطلحات الى خراسان ،

---

(١) تاريخ سيستان : ١٠١
(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ : ٦٦
(٣) المحبر : ٣٠٢
(٤) تهذيب ابن عساكر : ٧: ٦٧

وبوشنج من مدنها وفيها عائلة بني طاهر وعليه فالارجح والاصح ان زريق بن ماهان كان مولى طلحة الطلحات .

ولما كان طلحة بن عبيد الله بن خلف (طلحة الطلحات) خزاعيا فقد أصبح مولاه خزاعيا كذلك بالولاء . وكان ابناه طلحة ومصعب كاتبي الدعوة العباسية بخراسان ، اذ كان طلحة بن زريق منهما هو المتولي لمكاتبة ابراهيم الامام عن الدعاة وكان القيّم بأمرهم وقراءة الكتب لهم بمحضر جماعتهم [(١)] . اما اخوه مصعب بن زريق ، جد طاهر بن الحسين ، فكان كاتبا لسليمان بن كثير صاحب دعوة بني العباس [(٢)] . فكانا بذلك خير معين على نجاح الدعوة وتسيير أمورها الى النصر .

بدايـــة ظهـــور الاسرة الطاهريـة

ولأول مرة في التاريخ الاسلامي نصطدم باسم طلحة بن زريق بن ماهان في النفر الخمسة الذين وجّههم الامام محمد بن علي - من شيعته - الى خراسان وهم : سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب وخالد بن الهيثم وطلحة بن زريق وأمرهم بكتمان أمرهم ، وألاّ يفشوه الى أحد الا بعد أن يأخذوا عليه العهود المؤكدة بالكتمان ، وكان هؤلاء يدعون الناس سرا الى اهل بيت نبيهم ويبغّضون اليهم بني أمية لما يظهر من جورهم واعتدائهم وركوبهم القبائح ، حتى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان [(٣)] وذلك بعد سنة ١٠٥ هـ = ٧٢٣م [(٤)] . ثم يبرز اسم طلحة ثانية سنة ١٣٠ هـ = ٧٤٧م في

---

(١) الوزراء والكتاب : ٨٤ - ٨٥ ، الاخبار الطوال : ٣٣٥
(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٣٠٦
(٣) الاخبار الطوال : ٣٣٥ - ٣٣٦
(٤) المصدر نفسه : ٣٣٤ ، الوزراء والكتاب : ٨٤

عهد ابراهيم بن محمد الامام مع الشيعة السبعين الذين اجتمعوا حول أبي مسلم الخراساني والذين فضلوا علي بن الكرماني على نصر بن سيّار عامل مروان الاموى واختاروه [١] . أما مصعب بن زريق فكان أول أمره كاتبا لسليمان بن كثير صاحب دعوة بني العباس بخراسان ، وكان مصعب بليغا فمن كلامه : " ما أحوج الكاتب الى نفس تسمو به الى أعلى المراتب ، وطبع يقوده الى أكرم الاخلاق ، وهمة تكفّه من دنس الطمع ودناءة الطبع [٢] . ثم نراه على بوشنج أيام الخليفة المهدى ، ولكنه هرب منها عندما خرج يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم [٣] . اما ابنه الحسين بن مصعب فقد كان من قواد المأمون [٤] ولعله ولّي على بوشنج ايضا . وكان يتواضع للفضل بن سهل كثيرا ويعد نفسه وابنه طاهرا من أحقر موالي المأمون كما كان ذا قلب ضعيف لا يليق بالمقام الرفيع [٥] . ومات الحسين بخراسان سنة ١٩٩ هـ = ٨١٤ م وحضر المأمون جنازته ونزل قبره الفضل بن سهل ، وكان ابنه طاهر بالرقة آنذاك فوجه المأمون اليه يعزيه في أبيه [٦] . هذا ما كان من اخبار أسلاف طاهر بن الحسين ، الذى يبدأ به تاريخ الدولة الطاهرية ، فنلتفت الى دراسته ودراسة خلفائه .

---

(١) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٣٠
(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٦
(٣) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٦٠ هـ . النجوم الزاهرة ٢ : ٢٧ . وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٣ .
(٤) الوزراء والكتاب : ٢٩١
(٥) تاريخ البيهقي : ١٤٦١ . البصائر والذخائر ١ : ٦٤
(٦) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٩

الدولة الطاهرية

الكتاب الاول

التاريخ السياسي

الفصل الاول

طاهر بن الحسين

وتأسيس الدولة الطاهرية

الفصـــــل الاول

عهــــد طـــــاهر بن الحســــين

٢٠٥ – ٢٠٧ هـ (٨٢٠ – ٨٢٢ م)

تمهـــــيد :

قد رأينا كيف ان الاسرة التي ينتمي اليها طاهر بن الحسين ، كانت على صلة ببني العباس وقضيتهم منذ بداية الدعوة ، وان كلا من طلحة ومصعب والحسين قد قام بدور واضح في خدمة الدعوة أولا والدولة ثانيا . وكان بلوغ حسين الى منصب " القائد " في عهـــد المأمون بخراسان من الممكن ان يلفت النظر الى ابنه ويرشحه لبعض المناصب العالية فـــي الدولة ، ولكن وصول طاهر الى قيادة الجيش تدخل في مجرى الاحداث مرتين ، مرة حين ساق الخلافة الى المأمون وقضى على الامين وعلى نفوذ من يواليه من العناصر في الدولة ، ومرة حين حاول طاهر نفسه ان يعلن نوعا من الاستقلال في الولاية التي أحرزها مكافأة له على جهوده في سبيل الخليفة المأمون .

٢– نشـــأة طاهر بن الحســين :

نشأ طاهر في قريته بوشنج نشأة حربية ، اذ كان في شبابه كثيرا ما يجمع الجمـــوع ويرد الشراة من بلده وغيرها [1] . غير ان تلك الاحداث الصغيرة لم تكن تحرمه بعض لهو الشباب ، فقد أحب فتاة من جيرانه اسمها " ديذا " وصفت بجمال عجيب ، وكانت صناجة بارعة في صناعتها تنزل في موضع من نيسابور يقال له " دوران كوش " ولطاهر فيها أشـــعار

---

(١) كتاب بغداد : ٩٨

على طريقة الفرسان [١] . ولكن شؤون الحياة اللاهية لم تكن لتقف في وجه طموحه ، وكان طموحه متدرجا في صعوده ، اذ كان أول الامر يتمنى أن يخطب على منبر بلده وأن يكون في صندوقه مائة ألف درهم ، وحقق له الفضل بن سهل هذه الامنية [٢] ، ثم امتلى به طموحه درجة اخرى فأخذ يتمنى ان يخطب على منبر مرو نفسها [٣] ، وقد عبّر طاهر فيما بعد عن طموحه الاول الصغير في قوله للمأمون في احدى المناسبات : "ذكرت لأمير المؤمنين شرابا شربته وانا صعلوك ، وفي قرية كنت أتمنى أن أملكها" [٤] .

غير ان الاحوال أتاحت له فوق ما كان يتمناه ، حين ندبه الفضل بن سهل للشخوص الى الرى كي يلقي الجيش الذى أرسله الامين الى خراسان بقيادة علي بن عيسى ، على أثر اعلان الامين البيعة لابنه موسى من بعده ، ونزع المأمون عن الخلافة ، ولا بد ان الفضل رأى في طاهر كفاية تؤهله لقيادة الجيش ، غير ان هذا التقليد لم يكن يعجب الحسين والد طاهر ، ولذلك رجا الفضل الا يفعل معللا ذلك بأن طاهرا ابنه كان اذا دخل على علي بن عيسى ايام ولايته لخراسان وقف بين يديه وفرائصه ترعد منه ، غير ان الفضل أصر على ما ارتآه وتعلل الرواية ذلك لمعرفته بالنجامة وانه قال للحسين : "وقد عقدت له عقدا لا ينتقض نيفا وستين سنة" [٥] ـ وهي المدة التي عاشتها دولة الطاهريين .

---

(١) كتاب بغداد : ٦٧ ـ ٦٨
(٢) الوزراء والكتاب : ٢٩١
(٣) كتاب بغداد : ٩٧
(٤) تاريخ الحكماء : ٣٢٩
(٥) الوزراء والكتاب : ٢٩١ . والاغاني ٣ : ١٩٩

٣ - طاهر والقضاء على جيش ابن ماهان :

كان طاهر يعد المهمة الموكولة اليه فرصة سانحة لتحقيق مطامحه ، ولهذا لم يستمع الى نصيحة ابيه حين حاول تخذ يله من مهمته وقال له : "لم يذهب علي ما قلت ، ولكني خفت ان لم أقبل ما دعيت اليه ، أن يقلد الامر غيرى وأضم اليه فلئن أكون متبوعا أفضل من أن أكون تابعا " (١) . وتجهز طاهر فجلس المأمون له لعرضه وعرض اصحابه فمر به طاهر بن الحسين معترضا وهو ينشد :

رويد تصاهل بالعراق جيادنا   كأنك بالضحاك قد قام ناد به

فتفاءل المأمون بذلك واستدنى طاهرا ، فاستعاده البيت ، فأعاده عليه . فقال الفضل بن سهل ، ذو الرياستين ، للمأمون : يا أمير المؤمنين ، هو حجر العراق (٢) . فقال المأمون : أجل (٣) . وهكذا أشخص المأمون طاهرا في أقل من أربعة آلاف ، بينما كان الامين قد أرسل علي بن عيسى بن ماهان في اربعين ألفا في هيئة لم ير مثلها (٤) . وكان علي بن عيسى مغرورا في عدته وعدده ، محتقرا لطاهر ، مستخفا به لا يراه من شيء بل انه لما توجه الى الرى كتب الى طاهر أن يقيم له الميرة (٥) .

ومضى علي بن عيسى حتى بلغ حلوان ، فاستقبلته عير مقبلة من الرى ، فسألهم من خبر طاهر ، فأخبروه انه يستعد للحرب ، فقال : وما طاهر ؟ ومن طاهر ؟ ليس بينه وبين

---

(١) الوزراء والكتاب : ٢٩١

(٢) يريد الركن/ انه الركن الذى يعول عليه .

(٣) الاغاني - دار الكتب - ٣ : ١٩٩ . والاغاني ٥ : ١٥١

(٤) تاريخ الخلفاء : ٢٩٨ . والاخبار الطوال : ٣٩٦

(٥) الديارات : ٩٢

اخلاء الرى الا ان يبلغه اني جاوزت عقبة همدان [١] . ثم سار حتى خلف عقبة همدان وراءه فاستقبلته عير اخرى ، فسألهم عن الخبر . فقالوا له : ان طاهرا قد وضع العطاء لاصحابه ، وفرق فيهم السلاح واستعد للحرب . فأقبل الحسن بن علي بن عيسى على ابيه فقال : يا أبت ، ان طاهرا لو أراد الهرب لم يقم بالرى يوما واحدا .
فقال علي بن عيسى : يا بني ، انما تستعد الرجال لاقرانها ، وان طاهرا ليس عندى من الرجال الذين يستعدون لمثلي ، ويستعد له مثلي . اما طاهر ، فقد جمع اليه رؤساء اصحابه فاستشارهم في أمره ، فأشاروا عليه ان يتحصن بمدينة الرى ، ويحارب القوم من فوق السور الى أن يأتيه مدد من المأمون . فقال طاهر : ويحكم ، اني أبصر بالحرب منكم ، اني متى تحصنت استضعفت نفسي ، ومال أهل المدينة لقوته اليه ، وصاروا أشد علي من عدوى ، لخوفهم من علي بن عيسى ، ولعله ان يستميل بعض من معي بالاطماع والراى ان ألف الخيل بالخيل ، والرجال بالرجال ، والنصر من عند الله . ثم نادى في جنوده بالخروج من المدينة وان يعسكروا بموضع يقال له " القلوصة " . فلما خرجوا نهض اهل الرى الى ابواب مدينتهم فأغلقوها . فقال طاهر لاصحابه : " يا قوم ، اشتغلوا بمن امامكم ، ولا تلتفتوا الى من وراءكم ، واعلموا انه لا وزر لكم ولا ملجأ الا سيوفكم ورماحكم ، فاجعلوها حصونكم " .

وتواقف العسكران للحرب ، فصوبهم اصحاب طاهر الحملة . فانفضت تعبية علي بن عيسى ، وكانت منهم جولة شديدة ، فناداهم علي بن عيسى وقال : ايها الناس ، ثوبوا واحملوا معي [٢] . وحدّث من رأى طاهرا انه كان يعبئ الصفوف ، ويذهب ويجيء ،

---

(١) الامتاع والموانسة ٢ : ٢٠١ . ومروج الذهب — بولاق — ٢ : ٢٣٣
(٢) الاخبار الطوال : ٣٩٤ — ٣٩٨

وبيده كسر من خبز ، ومع غلام له كوز من رصاص فيه ماء . فقال له : أيها الامير ، ليس هذا وقت أكل . قال : معذرة اليك والى من لا يعرف خبرى ، ما دخل جوفي طعام منذ ثلاث ، لشغلي بهذا الامر ، وتخوفت ان احتاج الى نفسي فتخونني في هذا الوقت ففعلت ما رأيت (١) .

وقصد طاهر حاتم الطائي صاحب علم علي بن عيسى ، فجعله وكده (٢) وحمل عليه ، فلما دنا منه اذا به مكفر في الحديد لا تخلص اليه الضربة ، فرأى أمرا هاله . فقال : ليس الا ان اضربه على البيضة (٣) فان عمل السيف فيها والا فهو التلف . فجمع يديه ثم ضربه على رأسه فقد البيضة والرأس ، حتى نشب السيف في ثناياه . فلما قتل حاتم اضطرب القوم ، وكان علي بن عيسى راكبا في قبة فنزل منها وقدم اليه شهرى اصدأ ارجل ليركبه فطعنه داود سياه (٤) قبل أن يتمكن في سرجه فقتله وهو لا يعرفه ، وصار الى طاهر وقال : قد قتلت قاضي العسكر ، ثم اتي برأس علي بن عيسى (٥) وذلك سنة ١٩٥ هـ = ٨١٠ م .

وكان طاهر قبل هذه المعركة يخاطب الفضل بن سهل بالامرة فلما كتب اليه بعدها أسقط ذلك من كتابه (٦) ، وكتب يقول : أطال الله بقاءك ، وكبت أعداءك ، وجعل من يشنؤك فداءك ، كتبت اليك ورأس علي بن عيسى بين يدى وخاتمه في اصبعي ، وعسكره تحت أمري والسلام (٧) . فلما وصل الكتاب الى الفضل أنكره حتى وقف على ما تضمن فقال :

---

(١) الديارات : ٩٢
(٢) الوكد : القصد والمراد .
(٣) البيضة آلة من حديد توضع على الرأس لوقاية الضرب ونحوه .
(٤) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٥ هـ . مروج الذهب (ط . السعادة) ٣ : ٣٩٩
(٥) الديارات : ٩٣
(٦) الوزراء والكتاب : ٢٩٣
(٧) الفخرى لابن الطقطقي : ٢٩٥ . ومروج الذهب ٣ : ٤٠٠

حتى له [١] ، ونهض ، فدخل على المأمون فسلم عليه بأمير المؤمنين أى بالخلافة . ثم وصل رأس علي بن عيسى بعد يومين فطيف به في خراسان [٢] .

٤- تصديه لجيوش الامين الاخرى :

وبعد مقتل علي بن عيسى على يد طاهر بالرى ، عقد الامين لعبد الرحمن الابناوى على عشرين ألف رجل أو يزيدون [٣] ، وتقدم اليهم الا يغتروا كاغترار ابن عيسى ولا يتهاونوا كتهاونه . فسار الابناوى حتى نزل همدان وحصّنها ورمّ سورها . ولما قدم طاهر الى همدان حدثت بينه وبين الابناوى معارك واقتتل الطرفان قتالا عنيفا واستقام الابناوى الى أن قتل . وانتهى من انهزم من اصحاب الابناوى الى عبد الله واحمد ابني الحرشي - وكانا في جيش عظيم بقصر اللصوص فسيّره الامين معونة للابناوى - فلما بلغ المنهزمون قصر اللصوص انهزم القائدان أيضا في جندهما دون قتال حتى دخلوا بغداد . ودخلت البلاد لطاهر ، فأقبل يحوزها بلدة بلدة وكورة كورة حتى انتهى الى شلاشان من قرى حلوان فخندق بها وحصّن عسكره وجمع اصحابه . فأرسل الامين احمد بن يزيد في عشرين ألفا وعبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفا ، فسارا وأقاما بخانقين ، وأقام طاهر بموضعه ودسّ الجواسيس والعيون ، وكانوا يرجعون في عسكر احمد وعبد الله ان الامين قد وضع العطاء لاصحابه وأمر لهم بالارزاق الوافرة ولم يزل يحتال طاهر في وقوع الاختلاف في جيش الامين حتى اختلفوا وانتقض أمرهم وقاتل بعضهم بعضا ورجعوا من خانقين من دون أن يلقوا طاهرا . وتقدم طاهر ونزل حلوان فلما نزلها لم يلبث الا يسيرا حتى أتاه هرثمة في جيش من عند المأمون ومعه كتاب بتسليم ما حوى من المدن والكور الى هرثمة ويتوجه هو

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٩٩
(٢) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٥
(٣) تاريخ الكامل حوادث سنة ١٩٦ . والاخبار الطوال : ٣٩٨ - ٣٩٩

الى الاهواز . ففعل طاهر ذلك وأقام هرثمة بحلوان وحصّنها وسار طاهر الى الاهـــواز ، وكان عليها محمد بن يزيد بن حاتم المهلبي وجرى بين الجانبين قتالا شديدا وقتـــل المهلبي واستولى طاهر على الاهواز واستعمل العمال على اليمامة والبحرين وعمان . وسار طاهر من الاهواز الى واسط وهرب منها السندى بن يحيى الحرشي والهيثم بن شعبـــة خليفة خزيمة بن خازم ، واستولى طاهر على واسط . ووجّه قائدا من قواده الى الكوفـــة وكان عليها العباس بن موسى الهادى فلما بلغه الخبر خلع الامين وبايع للمأمون وكتب بذلك الى طاهر ونزلت خيل طاهر نم النيل وغلب علـي ما بين واســط والكوفـــة . وكتب المنصور بن المهدى - وكان عاملا للامين على البصرة - الى طاهر ببيعته وطاعته . وأتت طاهر بيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون وخلع الامين . وكان هذا كله في رجب سنة ١٩٦ هـ = ٨١١ م ، فأقرهم طاهر على اعمالهم ، وولى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي مكـة والمدينة ، واستعمل يزيد بن جرير بن يزيـد بن خالد بن عبد الله القسرى البجلي على اليمـن ووجه الحرث بن هشام وداود بن موسى الى قصر ابي هبيرة وأقام طاهر بجرجر . وأرسل الامين محمد بن سليمان القائد ومحمـد بن حماد البربرى فأوقع الحرث بن هشام وداود بهما وقعة شديدة واقتتلوا قتالا شـديدا وانهزم اهل بغداد . ثم وجه الامين الفضل بن موسى بن عيسى الهاشمي عاملا علـى الكوفة في خيل فبلغ طاهراً الخبر فوجه محمد بن علاء في جيش الى طريقه واقتتلوا قتالا شديدا كأشد ما يكون من القتال فانهزم الفضل ومن معه . وتوجه طاهر نحو المدائن ووجـــه قريش بن شبل والحسين بن علي المأموني اليها فانتقض جيش البرمكي الذى كان عليهـا من قبل الامين واضطرب ، فنزل طاهر المدائن واستولى على تلك النواحي . ثم سار طاهر الى صرصـر فعقد بها جسرا ونزلها وأقام بها مشمرا في محاربة الامين وكان لا يأتيـــه

جيش الا هزمه فبذل الامين الاموال ، فاشتد ذلك على اصحاب طاهر وانفصل عنه نحو خمسة آلاف ، ففرق الامين بين هؤلاء مالا عظيما ووعدهم ومناهم وغلف لحاهم بالغالية فسموا قواد الغالية وبعثهم الامين الى النواحي وفرق الجواسيس في اصحاب طاهر ودس الى رؤساء الجند فأطمعهم ورغبهم فشغبوا على طاهر وانضم كثير منهم الى عسكر الامين وجاءوا يحاربون طاهرا واقتتلوا فهزمهم طاهر وغنم عسكر طاهر السلاح والدواب . فأخرج الامين الاموال وفرقها في أهل الارباض دون اجناد القواد وبلغ ذلك طاهرا فراسل القواد ووعدهم واستمالهم وأغرى أصاغرهم بأكابرهم فشغبوا على الامين الذى رفض استمالتهم وأمر بقتالهم وأعد هؤلاء مع طاهر فتقدم طاهر الى موضع البستان الذى على باب الانبار في ذى الحجة ١٩٦ هـ = ٨١١م .

٥- حصار بغداد وفتحها ومقتل الامين :

التف الجند والقواد حول طاهر ونقب المساجين في بغداد السجون وخرجوا منها ووثب الشطار على اهل الصلاح وفتن الناس وساءت حالهم [١] . أصبح الطريق امام طاهر مفتوحا الى بغداد ، فتقدم اليها وضرب حولها حصارا دام خمسة عشر شهرا ، فسد اثناءها الحال على الامين ، وتلف عسكره ورميت القصور والمباني بالنيران والقذائف من المناجيق والعرادات ، وأوقع طاهر الرعب في القلوب ، وتلمس الوسائل المختلفة التي يبث فيها الخوف في النفوس ، فصلب عبد الله بن خارجة على باب الانبار [٢] . ولما قتل

---

(١) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٥ - ١٩٦
(٢) المحبر : ٤٨٨

الامين - قيل قتله قريش الدنداني مولى طاهر [١] وقيل قتله حميرويه غلام قريش المذكور [٢] - نصب رأسه على باب بستان مؤنسة [٣] ثم بعثه مع الحسن بن مصعب عمه الى المأمون بخراسان [٤] . وتسلم الرأس الفضل بن سهل وأدخله على المأمون ، فلما رآه المأمون سجد [٥] ثم نصب الرأس بمرو [٦] .

٦- نظرة في أعماله الحربية :

كان طاهر قويا ذا جرأة واقدام ، وهذه الصفات بالاضافة الى حنكته في الخطة الحربية قد مكنته من الانتصارات المتلاحقة . وقد أحرز لقب " ذى اليمينين " ، قيل لانه في حربه مع علي بن عيسى ضرب شخصا والسيف في يده اليسرى ، فقده نصفين ، فقال فيه أحد الشعراء : كلتا يديك يمين حين تضربه ، فلقبه المأمون " ذا اليمينين " [٧] ، وقيل ان هذا اللقب يشير الى توالي الظفر [٨]، ومهما يكن من أمر فان هذا اللقب يجمع معنى القوة الجسدية واليمن الذى يكفل لصاحبه النصر .

ومع ان المصادر لم توضح طبيعة خطط الحربية ، فانها اهتمت كثيرا بابراز جدّه [٩] في مقابل استخفاف عدوه به ، ولعل الروايات في هذا الشأن انما أريدت لتقدم عبرة

---

(١) تاريخ كريده ١ : ٢١٠ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٤١
(٢) شذرات الذهب ١ : ٣٥٤
(٣) المحبر : ٤٩٣
(٤) الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٩٥ - ١٩٨
(٥) الوزراء والكتاب : ٣٠٤
(٦) المحبر : ٤٩٣
(٧) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٥
(٨) المصدر نفسه ٢ : ٢٠٩ وقيل ان المأمون كتب اليه " يمينك يمين أمير المؤمنين وشمالك يميني " (المضاف والمناسب : ٢٩١)
(٩) الوزراء والكتاب : ٢٩٣

اخلاقية ، فقد صورت كيف ان الامين وقواده لم يكونوا مخلصين في الدفاع عن قضية واضحة ، فاما الامين فانه حين جاءه الخبر بهزيمة قائده علي بن عيسى كان يتصيد السمك فقال لمن أخبره : ويلك دعني فان كوثرا — يعني خادمه — صاد سمكتين وانا ما صدت شيئا بعد [١] ، واما علي بن عيسى فقد بالغ في الاستخفاف من طاهر — حسبما مر بنا — وقد أكدت الروايات هذا المعنى على نحو آخر في خبر جاء فيه "ان علي بن عيسى سأل قوما وردوا من الرى عن طاهر فقالوا : انه مجد ، فقال : وما طاهر ؟ انما هو شوكة من اغصاني وشرارة من ناري ، ثم قال لاصحابه : تالله ما بينكم وبين ان ينتصف انتصاف الشجر من الريح العاصفة الا ان يبلغه عبورنا عقبة همذان ، لأن السخال لا تقوى على النطاح والثعالب لا صبر لها على لقاء الاسود فان يقم طاهر بموضعه يكن أول معرض لظبات السيوف وأسنة الرماح ، فقيل له : "ايها الامير ، ان العساكر لا تساس بالتواني ، والحروب لا تدبر بالاغترار ، وان الشرارة الخفية ربما صارت ضراما والنهلة من السيل ربما صارت بحرا عظيما " [٢] . وليست هذه الرواية وأشباهها الا "حكاية حال" لتفسّر عاملا من العوامل التي أدت الى انتصار طاهر في كل معركة خاضها .

على أن هناك عوامل اخرى أسعفت طاهرا على تحقيق غاياته ، فقد كان طموحه يدفعه الى أن يكون "متبوعا" لا تابعا ، ومثل ذلك لا يتم له الا باحراز نصر نهائي ، وكان حقده على علي بن عيسى دافعا آخر فقد كان علي بن عيسى أهانه في خراسان ذات يوم وشده بحبل الى سارية [٣] ، ولم ينفك عن تحقيره في كل مناسبة حتى كانت فرائص طاهر

---

(١) الوزراء والكتاب والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٥
(٢) الامتاع والموانسة ٢ : ٢٠١
(٣) الديارات : ٩٢

ترعد منه اذا مثل في مجلسه ، كما شهد بذلك الحسين بن مصعب والد طاهر . ولذلك استغل طاهر في بلوغه الى غايته كل وسيلة ممكنة . استغل نفور اهل خراسان من علي بن عيسى أيام كان واليا عليها سنة ١٨٠ هـ = ٧٩٦ م [١] ، وفرق العطاء في جيشه قبل بدء المعركة مع علي بن عيسى [٢] وقطع "خط الرجعة" على جيشه - وهو الأقل عددا - حين وضع امامهم أحد أمرين فاما النصر واما الموت [٣] واستعمل خطة التخذيل فخذل قواد الامين عن نصرته وخاصة القدامى منهم ، لأن الامين فرق أموالا على محدثي القواد دونهم [٤] . وعلى الجملة كان كل مظهر من مظاهر الضعف في عدوه قوة له ، وكانت معرفته بمظاهر الضعف عونا له ، وحسبنا ان نقرأ وصفه لمحمد الامين حتى ندرك كيف كان طاهر قد درس نفسيات من يحاربهم وفهم حدودها ، قال يصف الامين حين سأله المأمون ذلك : " كان المخلوع واسع الصدر ، ضيّق الادب ، يبيح من نفسه ما تأنفه همم الاحرار ولا يصغي الى نصيحة ، ولا يقبل مشورة ، يستبد برأيه ، ويبصر سوء عاقبته ، فلا يردعه ذلك عما يهمّ به ، فقال له المأمون : فكيف كانت حروبه ؟ قال : كان يجمع الكتائب بالتبذير ، ويفرقها بلا تدبير . فقال المأمون : لذلك حل ما حل به . اما والله لو ذاق لذات النصائح ، واختار مشورات الرجال ، وملك نفسه من شهواتها لما ظفر به " [٥] .

بعد هذا يحق لنا ان نسأل : هل كان الابقاء على الامين ممكنا ؟ لعل طاهرا لو ترك الى تقديره الذاتي لما كان يجرؤ على قتل الامين ، ولذلك تقول بعض الروايات

---

(١) الاخبار الطوال : ٣٩٠

(٢) المصدر نفسه : ٣٩٧

(٣) الاخبار الطوال : ٣٩٧ - ٣٩٨

(٤) مروج الذهب ٣ : ٤١٠ ، وتاريخ الخلفاء : ٢٩٩

(٥) زهر الآداب ٢ : ٢٢٥ ، وكتاب بغداد : ٢٢ (مع اختلاف يسير بين الروايتين)

انه استشار المأمون في ذلك ، فبعث اليه المأمون بقميص غير مقور ، فعلم طاهر انه يريد قتله [١] ، ومع ما تحمله هذه الرواية من معنى "الاحجية" فان هناك حوادث حدثت جعلت طاهرا لا يجفل من قتله، منها ان الامين اتفق مع هرثمة على الهرب من يد طاهر والوصول الى المأمون ، وكان يدرك ان وصوله الى المأمون بهذه الطريقة قد تنتج عنه مساومة بين الاخوين على ازاحة طاهر من الطريق ، كذلك فربما نسبت الى الامين اشعار هجا فيها طاهرا ولقبه "بالعبد" ونسب اليه نقض العهد . ووصلت الاشعار اذن طاهر فأوغرت صدره على الامين [٢] . فرأى ان التخلص منه يرضي سيده كما يحقق لديه رضى ذاتيا .

٧- طاهر "الخالع" وأثر ذلك :

لم يكن مصير امثال ابي مسلم الخراساني ليغيب عن بال المأمون أو من بال طاهر نفسه ، فان "صانع الملوك" كثيرا ما يكون ضحية صنعه ، وليست كلمة "خالع" التي أطلقت على طاهر الا الوجه السلبي من هذه الحقيقة . ولذلك فان المأمون لم يمنحه الثقة الكلية ، وان لم يعامله معاملة أبي جعفر المنصور لقائده أبي مسلم . وكانت أول مظاهر ذلك ان المأمون حين استقامت له الامور " رد التدبير الى ذى الرياستين " ، يعني رياسة الحرب ورياسة التدبير - وامضاها على رأيه وكتب الى طاهر وهرثمة بتسليم ما في ايديهما من العمل الى علي بن ابي سعيد ابن خالة الفضل بن سهل ، وكان يعرف بذى القلمين [٣].

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٢
(٢) انظر الشعر في معجم الشعراء للمرزباني : ٤٢٣
(٣) الوزراء والكتاب : ٣٠٥

وكان الفضل بن سهل ماهرا في تحين الفرص لاثارة نفس المأمون على الاعداء أو المنافسين وفعل ذلك بشأن طاهر ايضا ، وقد بدأ ذلك حين وصل رأس الامين ، اذ دخل على المأمون وقال له : "ما فعل بنا طاهر ؟ سل سيوف الناس وألسنتهم ، أمرناه ان يبعث به اسيرا فبعث به مقيرا" [١]، وهذا العمل من الفضل انما كان يرمي الى غايتين : الاولى ان يدفع من نفسه نتائج التحريض الذى قام به ضد الامين ، وتوصيته طاهراً بقتله [٢] ، والثانية ان يبعد طاهرا من ان يحتل منزلة عالية تضايق ما يريده من نفوذ لنفسه في الدولة ، وقد ظهرت نتيجة هذه السياسة حين مال المأمون نحو ابني سهل ووضع فيهما كامل ثقته . وتشير المصادر الى ان المنافسة بين طاهر والفضل قد استعلنت حتى اصبحت شغبا ظاهرا ، يقول الجهشيارى : "وقد كان الشغب الذى حدث بينهما ظهر" [٣] مما يدل على انه صار أمرا متعالما ذائعا .

ولم يشأ طاهر ان يمعن في شغبه ضد الفضل ، اذ كان يعرف منزلته من قلب الخليفة ، فأرسل طاهر كاتبه عيسى بن عبد الرحمن الى الفضل بمرو — وكان طاهر حينئذ في الجزيرة العراقية — ليعتذر اليه ، غير ان عيسى بدل ان يهدئ الامور زادها اشتعالا ، فكان يدخل مجلس الفضل وينزع قلنسوته — فعل ذلك مرارا — وفهم الناس ان ذلك منه استخفاف به ، ولما اعتذر عنه احد اصدقائه بأنه قد يكون محرورا أو انه قد يكون استأذن الامير في نزعها ، أجاب : "والله ما بي اني محرور وما استأذنت ولكني أريد ان يعلم الفضل أولا ثم من حوله انه أهون علي وأدق في عيني ما دام صاحبي — أعزه الله —

---

(١) الوزراء والكتاب : ٣٠٤ ، والعيون والحدائق : ٣٤١
(٢) التنبيه والاشراف : ٣٤٦
(٣) الوزراء والكتاب : ٣٠٩

حيا من هذه الشعرة ،وقلع شعرة من عرف دابته .." (١) ويبدو ان الرسالة التي توجه بها عيسى لم تكن اعتذارا ، كما تقول الرواية ، وانما كانت عتابا قاسيا من طاهر ، حتى قال الفضل لعيسى : "أفما خشيت في تحمل مثل هذه الرسالة القتل ؟" فقال عيسى : ما شككت في القتل ولكني ميلت بين ان آبي على صاحبي تحملها وبين ان اقبلها فرأيت أني ان لم اتحمّلها عجّل لي القتل وحصلت لي مذمة المخالفة وان قبلتها كنت قد شكرت نعمته وأطعت أمره ". (٢) وكل هذا يومئ الى ما كانت قد بلغته الامور بين الفضل وطاهر من خلاف ومنابذة ، حتى كان رسول طاهر يرجح انه مقتول اذا أدّى رسالة صاحبه على وجهها .

وكانت هناك موجة من السخط على قتل الامين ، لا تستطيع ان تنصب على الخليفة نفسه ، وانما كان من السهل ان تتوجه الى طاهر ، يقول صاحب العيون والحدائق : "فلما قتل الامين ، أبغضه الناس" (٣) ، ولا يبعد ان يكون الفضل نفسه ذا يد في اذكاء هذا الشعور بين الناس ، فقيلت اشعار على لسان زبيدة ام الامين تتهم طاهرا وتصب النقمة عليه من ذلك قول خزيمة بن الحسن : (٤)

أتى طاهر لا طهر الله طاهـــرا	فما طاهر فيما أتى بمطهـــر
فأخرجني مكشوفة الرأس حاســرا	وأنهب أموالي وخرّب أدؤرى
يعز على هارون ما قد لقيتـــه	وما مر بي من ناقص الخلق أعور

---

(١) الوزراء والكتاب : ٣١٠ — ٣١١
(٢) المصدر نفسه : ٣٠٩ — ٣١٠
(٣) العيون والحدائق : ٣٤٢
(٤) تاريخ الخلفاء : ٣٠١ ، وبصورة اخرى في العقد ٣ : ٢٦١ وبزيادات في الكامل في التاريخ ٥ : ١٦٨

ومن ذلك قول أبي العتاهية ، وقيل ان زبيدة هي التي طلبت ذلك اليه : [١]

ألا ان ريب الدهر يدني ويبعـــد	وللدهر ايام تذم وتحمـــد
أقول لريب الدهر ان ذهبت يـــد	فقد بقيت والحمد لله لي يـــد
اذا بقي المأمون لي فالرشيد لـــي	ولي جعفر ، لم يهلكا ومحمد

ولما كان المأمون يذكر مقتل اخيه كان يحاول أن يقنع نفسه بأنه "ليس صاحبه ولا هو قاتله"[٢] .

ولم تكن زبيدة هي وحدها التي تحاول ان تثير المشاعر ضد طاهر ، بل هناك آخـرون منهم ابراهيم بن المهدى الذى يقول من قصيدة : [٣]

قولا له يا ابن ابي الناصـــــر	طهّر بلاد الله من طاهر
لم يكفه ان حزّ أوداجــــــه	ذبح الهدايا بمدى الجازر
حتى أتى يسحب أوداجـــــه	في شطن هذا مدى السائر

ورثى الشعراء الامين بقصائد سمعها المأمون وتأثر لها ، ولو كانوا يعلمون انه يفكر ذلك ما فعلوه ، حتى نسب اليه انه قال بعد قراءته لاحدى القصائد : "انا والله طالب بثـــأر اخي ، قتل الله من قتله" [٤]

واذا كنا نعد هذه الكلمات والحكايات وامثالها منحولة ، فلا جدال في أنها - رغم ذلك - تصور جانبا من شعور فئة من الناس ببغداد ، جزعت لمقتل الخليفة ، كما ان

---

(١) العقد ٣ : ٢٦١ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٥٠

(٢) المصدر نفسه ٣ : ٢٦١

(٣) الكامل في التاريخ ٥ : ١٦٥ ، وتاريخ الخلفاء : ٣٠٠ - ٣٠١

(٤) المصدر نفسه ٥ : ١٦٩

الاشعار الاخرى التي قيلت لتصوير بطولة طاهر انما تمثل جانبا من الشماتة التي كانت تحس بها فئة اخرى ، فمما نسب الى طاهر قوله : (١)

قتلت الخليفة في داره وأنهبت بالسيف أمواله

وقولـــه : (٢)

ملكت الناس قسرا واقتـــدارا وقتلت الجبابرة الكبـــارا

ووجهت الخلافة نحو مـــرو الى المأمون تبتدر ابتدارا

واذا صحت هذه الاشعار فان شيوعها بين الناس كان يزيد في حذر المأمون من طاهـــر ، الذي يتمدح بقتل " الخليفة " . وكان ابو عيسى ابن الرشيد ـ أخو الامين والمأمون ـ لا يخفي نقمته على طاهر ، واذا تجاوز الامر بينهما بعض الممازحات الجارحة سمعنا أبـا عيسى يقول في بعض قصائده بعد أن افتخر بنفسه وبنسبه : (٣)

فكيف أجعل كلبا نابحا اشـــــرى قد شانه عور الافعال والعور

من طاهر وحسين جذ أصلهمـــــا لولا الامام وأمر جرّه القدر

ذلك هو الجو الذي كان يجعل " اخلاص " طاهر في خدمة المأمون ، يقابـــل بالتوجس والحيطة والحذر ولقد كان المأمون نفسه يستنكر مصرع اخيه ، فيستولي شـــعور بالندم والحزن ، يعكر عليه صفو الساعات . فقد دخل طاهر على المأمون ذات يوم ، وبعد

---

(١) تاريخ الطبرى : ٧ : ١٦٥
(٢) المصدر نفسه ٧ : ٩٤
(٣) أشعار أولاد الخلفاء : ٦٩

مضي بعض الوقت ، وهما معا يشربان في مجلسهما ، " بكي المأمون وتغرغرت عيناه " [١] ، فأرسل طاهر الى الحسين الخادم ، صاحب شراب المأمون ، مبلغا من المال ليستفسر عن بكاء المأمون [٢] . فلما كان في بعض خلوات المأمون وهو طيب الخاطر قال له حسين الخادم : يا أمير المؤمنين ، لم بكيت لما دخل عليك طاهر ؟ فقال المأمون : ما لك ولهذا ويلك ؟ قال الحسين : غمني بكاؤك . فقال المأمون : هو أمر ان خرج من رأسك أخذته ، قال الحسين : يا سيدى ، ومتى أبحت لك سرا ؟ فقال المأمون : اني ذكرت محمداً ، اخي وما ناله من الذلة ، فخنقتني العبرة ، ولن يفوت طاهرا مني ما يكره [٣].

٨ـ منزلة طاهر بعد مقتل الامين :

اذا أخذنا الاشياء على ظواهرها حكمنا ان المأمون لم يعلن لطاهر تغيرا ، ولا طالعه بنفور ، بل ظل يعامله معاملة طيبة ويقربه ويدني منزلته ، متغلبا بذلك على كل ما قد يعتمل في نفسه من هواجس وشكوك ، مترفعا من الاحقاد التي قد يتبادلها اثنان من المتنافسين على الرئاسة مثل الفضل وطاهر .

فقبل قدوم المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ = ٨١٩م عهد الفضل الى طاهر بولاية الرقة ، وقد يكون هذا ابعادا له ولنفوذه عن العاصمة ، ولكنه لم يكن بتدبير المأمون نفسه ، غير ان المأمون انقاد فيه الى مشورة ابني سهل ، وكانا ـ فيما يبدو ـ يخافان من نفوذ طاهر . فولاه الموصل والشام والجزيرة والمغرب وجعل مركزه مدينة

---

(١) كتاب بغداد : ٢٣

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٤ ، وفي الديارات : ٩٥

(٣) الاغاني ـ دار الكتب ـ ١٥ : ٢٣٤ ـ ٢٣٨

الرقـــة [١] غير ان الفتن هاجت ، وانتقد الناس على المأمون انقياده للفضل بن سهل ، وتذمر وجوه اهل العسكر الى المأمون من فساد الاحوال وذكروا بلاء طاهر وحملوا علـــى تصرفات الفضل بن سهل وكان فيما قالوه : "وان طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعتـــك وافتتح اليك ما افتتح وقاد اليك الخلافة ووطأ لك الامر ، وأخرج من ذلك كله ، وصار فـــي زاوية من الارض بالرقـــة ، وقد حظرت عليه الاموال حتى شغب جنده وضعف أمره ولو انــــه ببغداد لضبط عليك الملك وساس الدولة" [٢] . وكان فساد السياسة التي جرى عليهـــا الفضل بن سهل من الاسباب التي أسرعت بالمأمون للذهاب الى بغداد .

فبين مقتل الامين وقدوم المأمون الى بغداد فترة تتميز بمحاولة ابعاد طاهر عـــن بغداد والاقلال من شأنه ، وتعريضه للشغب من قبل الجند في الرقـــة بقطع الاموال عنه ، ولكن المسؤول الاول عن هذه السياسة هو الفضل بن سهل ، الذى يبدو ان المأمون تخلص منه ومن نفوذه بتدبير منه أو بتدبير من الناقمين عليه [٣] . وبعد ان زال شبح الفضـــل أعاد المأمون طاهرا الى سابق حظوته ، فكتب اليه قبل أن يصل بغداد بالعودة من الرقـــة وموافاته بالنهروان ، فقدم طاهر ودخل عليه فأمره المأمون أن ينزل الخيزرانية هو واصحابه [٤] . ثم أصبح طاهر من رجال المأمون المقربين ، فنراه في أول عيد من العام المذكور (قـــدم المأمون ١٤ صـــفر ٢٠٤ هـ = ٨١٩م ، وقيل في ربيع الاول) يتغدى على مائدة المأمون [٥] .

---

(١) العيون والحدائق : ٣٤٤
(٢) المصدر نفسه : ٣٥٦
(٣) المصدر نفسه : ٣٥٧
(٤) كتاب بغداد : ٩
(٥) المصدر نفسه : ١٥

ثم عقد له المأمون لواء على المغرب كله [1] ، أي جدد له الولاية التي كانت معقودة له بعيد مقتل الامين ، وفي عاشوراء من سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠م ولاه المأمون الجزيرة والشرط والجانبين - أي جانبي بغداد - وقعد طاهر للناس من عين [2] اليوم الذى ولي فيه [3] ، فأصبح طاهر بذلك رئيسا لشرطة بغداد ، خلفا للعباس بن المسيب بن زهير الذى كان قد كبر ولم يعد يستطيع حمل الحربة بين يدى الخليفة [4] - وهي من خصائص صاحب الشرطة - وأقبل طاهر على ادارة ما عهد اليه ، فعين مساعدين جددا يثق بهم ، وأخذ يتفقد السجون ، ويحاول أن يكفل الامن في المدينة .

وكان المأمون حين دخل بغداد "قد ضمن لطاهر قضاء كل ما يسأله من حاجة" [5] ، وهذا يدل على أن المأمون ظل يعرف له يده في اقامة الخلافة له ، وكان طاهر يشعر انه لا يستطيع ان يحقق ما يريده من الامن في بغداد الا اذا كسب قلوب الذين كانوا من حزب الامين ، ولذلك كان أول ما سأل الخليفة فيه "العفو عن المجرمين في الفتنة والحاقهم بما كانوا عليه قبلها في دواوينهم وطبقات عطائهم" [6] ، وألح الناس على طاهر بأن يسأل المأمون طرح الملابس الخضراء التي لبسها عند عهده لعلي بن موسى الرضا عليه السلام والعودة الى شعار السواد ، فتقدم طاهر من الخليفة وسأله أيضا "اقامة الدولة لاهلها ورد لباس السواد واطراح الخضرة" [7] ، فأجابه المأمون الى ذلك ، ودعا بخلعة

---

(١) كتاب بغداد : ٣٥
(٢) لعل الصواب من غد
(٣) كتاب بغداد : ٢٠
(٤) المصدر نفسه : ٢٠
(٥) المصدر نفسه : ٢٢
(٦) المصدر نفسه : ٢٢
(٧) المصدر نفسه : ٢٢

سواد وكساه بها وخلع على عدة من قواده اقبية وقلانس سودا [١] . وقد تشفّع طاهر لدى الخليفة في أمور مختلفة ووفى المأمون بوعده فلم يرد له طلبا ، وظل طاهر على منزلته عنده ، فكان المأمون اذا خرج للنزهة ذهب طاهر في صحبته بحكم وظيفته وعلاقته معـــا ، ويحثنا ابن طيفـور ان المأمون خرج يوما في سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠م الى منتزه له ومعـه طاهر بن الحسين ، فبينما هو يسايره اذ قال له : يا أبا الطيب (كنية طاهر) ما أطول صحبة هذا البرذون لك ، قال : يا أمير المؤمنين ، بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها ، قال فكيف سيره ؟ قال : سيره امامه وسوطه عنانه وما ضرب قط الا ظلما [٢] .

٨- تولـــيته خراســـان :

بقي طاهر على الشرطة ببغداد حتى شهر رمضان من عام ٢٠٥ هـ = ٨٢٠م ، وتنسب الروايات حرصه على مغادرة بغداد الى تلك الحادثة التي تذكّر فيها المأمون أخاه ، وان طاهرا لجأ بعدها الى صديقه احمد بن ابي خالد - وزير المأمون - وقال له : "غيّبني من عينيه" ، فكان من ذلك ان سعى ابن ابي خالد له بولاية خراسان ، ولندع ابن طيفور يقص هذه القصة ، قال : " فركب طاهر الى احمد بن ابي خالد فقال له : ان الثناء مني ليس برخيص ، وان المعروف عندي ليس بضائع ، فغيبني من عينيه ، فقال له احمد : سأفعل ، فبكّر علي غدا . قال : وركب ابو خالد الى المأمون ، فلما دخل عليه قال : ما نمت الليلة فقال له المأمون : ولم ويحك ؟ قال لانك ولّيت غسان خراسان ، فأخاف ان يخرج عليـــك خارجة من الترك فتصطلمه ، فقال المأمون : لقد فكرت فيما فكرت فيه . ثم قال : فمن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين . قال : ويلك يا احمد ، هذا والله خالع . قال : انا الضامن له

---

(١) كتاب بغداد : ١٠
(٢) المصدر نفسه : ٢١

قال له المأمون : فانفذه ، قال : فدعا بطاهر من ساعته ، فنزل في بستان خليل بن هاشم ".(1) .

ويقول اليعقوبي في كتاب البلدان : "ثم احتال طاهر بن الحسين البوشنجي حتى ولاه المأمون خراسان ومهد له مليها ".(2) وقد تستطيع نقطة "احتال" هذه ان تشككنا في الرواية التي تقول : ان المأمون بكي حين تذكر أخاه ، وان الامر كان تدبيرا من طاهر لنيل ولاية كبيرة ذات أرزاق وفيرة ، لولا ان اليعقوبي في تاريخه يشرح هذه الحيلة . الا انه ينسبها الى احمد بن ابي خالد لا الى طاهر ، وخلاصة ما يورده اليعقوبي (3) :

١ـ ان طاهرا شكا الى صديقه ابن ابي خالد برمه من المقام "بالباب" ومحبته الخروج من بغداد ، وجعل له مكافأة قدرها ٣ ملايين درهم ان ضمن له ذلك .

٢ـ زور احمد بن ابي خالد كتابا الى المأمون على لسان غسان بن عباد عامل خراسان يرجوه فيه ان يعفيه من ولاية خراسان .

٣ـ اقترح احمد على التو ـ حين استشاره المأمون في الامر ـ اسم طاهر فلم يبد المأمون ترددا في قبول ذلك .

٤ـ عاد غسان مستغربا كيف عزل ، فلما طالعه المأمون ، قال له : انت استعفيتني ، فحلف له انه لا علم له بذلك .

---

(1) كتاب بغداد : ٢٤

(2) كتاب البلدان لليعقوبي : ٣٠٧

(3) تاريخ اليعقوبي : ٤٥٦

اما ان طاهرا كافأ ابن ابي خالد على هذه الوساطة ، فأمر تتفق عليه المصادر وان اختلفت في قيمتها [١] . واما ان يقدم ابن ابي خالد على هذه الحيلة فأمر مستبعد ، مهما تصورنا مقدار علم المأمون ، واذا صدقنا الرواية الاولى قلنا : بأن تخوف طاهر من بكاء المأمون وتذكره أخاه الامين لم يكن الا حادثة صادفت حاجة الى وال قدير يضبط أمور خراسان ، فقد كان واليها غسان بن عباد غير قادر على ادارتها بحزم ، وحدث ان نشبت ثورة للحرورية بخراسان - بقيادة حمزة الشاوى - فقام عبد الرحمن المطوعي بنيسابور وجمع جموعا لمقابلتهم دون ان يستأذن في ذلك والي خراسان نفسه ، فرأى ابن أبي خالد ان في ذلك خرقا لهيبة الدولة وأحب أن يكون لخراسان وال حزم ، وكان من المصادفة حينئذ ان يشكو اليه طاهر أمر اقامته ببغداد ويطلب اليه ان يسعى ابعاده من جوار المأمون [٢] .

ولا ريب في ان طاهرا نفسه كان يتشوق الى الاضطلاع بحكم ولاية كبيرة ، وكان قد أخذ يستقل ما هو ادنى من ذلك من المهمات ، ولما ندبه الحسن بن سهل لاخماد ثورة نصر بن شيث بمصر أجابه : " حاربت خليفة وسقت الخلافة الى خليفة واؤمر بمثل هذا ؟ وانما كان ينبغي ان توجه لهذا قائدا من قوادى [٣] ، في هذا القول ما يصور مقدار ما بلغه طاهر من ادلال على الخلافة ومعرفة بمكانته فيها ، وبسبب ما قاله ، صارمه الحسن بن سهل ولم يعد يكلمه وغادر بغداد وهما متهاجران ، وربما أسرع طاهر في الابتعاد من جو بغداد فرارا بنفسه مما قد يدبره له الحسن بن سهل . وعسكر طاهر شهرى شوال وذى

---

(١) البصائر والذخائر ١ : ٦٩
(٢) المصدر نفسه
(٣) كتاب بغداد : ٢٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٧

القعدة وظل مقيما في معسكره منتظرا الامر بالتوجه الى خراسان ولليلة بقيت من ذى القعدة عام ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م توجه الى ولايته ، وخرج على مقدمته طلحة بن طاهر (١) .

١٠- طاهر في خراسان :

كانت عودة طاهر الى خراسان تمثل رجعة الى المعاهد الاولى ، وكانت فرصة ليرى الوطن ابنه وقد أقبل بعد غيبة طويلة وهو قد أحرز درجة عالية وأصبح يستطيع ان يستقل بتصريف الامور ويهب ويمنع ، وقد كان كل تكريم أو نصر أحرزه من قبل يقل في نظره عن النصر الذى يشاركه فيه الشعور ابناء وطنه بل ابناء قريته بوشنج . ولقد قيل له ذات مرة بعد انتصاره على الامين وفتح بغداد : " ليهنك ما أدركته من هذه المنزلة التي لم يدركها احد من نظرائك بخراسان ، فقال : ليس يهنيني ذلك لأني لا أرى عجائز بوشنج يتطلعن الي من أعالي سطوحهن اذا مررت بهن " (٢) .

وقد عبر طاهر عن هذا المعنى أوضح تعبير حين قال لأحد اصدقائه في مناسبة اقتضت ذلك : " خرجت من خراسان وانا رجل من اهلها ان لم أكن من ارفعهم قدرا فلم أكن من أوضعهم حالا وليس بخراسان أهل بيت من أهل بيوتاتها ، ولا اهل نعمة الا وبيننا وبينهم معاشرة ومخاتنة أو مصاهرة ، أو مجاورة فهذا توسطنا بين القوم ، ومن كان هذا موقعه لم يخل من صديق ، وعدو ، وولي ، وحاسد ثم ندبت لهذا الامر فخشي الوالي ألا أفي له فافتم وساءه ، ورأى ما كنت فيه بين أظهرهم وتحرك من اسمى بينهم ما كان كافيا

---

(١) كتاب بغداد : ٢٤

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٤

لي ولهم في يومهم ، وسرّ العدو والحاسد ورجا ان يكون قصورى من القيام بما اهيب بـي اليه تسقطني فخرجت على هذا الخطر العظيم فأعطى الله جل وعز أكثر من الامنية ولـه الحمد . ولم يكن لي غاية بعد ما فتح الله وأحسن الا ان ارجع بنعمتي وجاهي وعزى الي بلدى ودارى ، واخواني وجيراني ومعارفي ليشركوني في ذلك كما شركوني في الاعتداد به ، وليغيظ العدو والحاسد من ذلك ما يغيظ . فلما ولاني أمير المؤمنين خراسان لم أضع ثيابي في منزلي حينا حتى ندمت وأظهرت ذلك لمن حضرني ممن آنس به في الافضاء بمثل ذلك اليه . وفكرت فيما يلزمني من حق السلطان وحق الاخوان ومثلت فيما أوجب للصنفين فرأيت اني ان وفرت على السلطان كل حقه أخللت بالاخوان ، واذا أخللت بهم واخطأتهم ما كانوا يقدرون قالوا : لا كان هذا ولا كان يومه الذى كنا نؤمله وتعلقت اطماعنـا به ، وان وفرت عليهم ما كانوا يقدرون في أنفسهم لم يجز ذلك في التدبير وأخللت بالسلطـان ولم يكن ذلك حقه علي ولم يتحمله لي أيضا » (١) .

ولذلك كانت ايام حكمه في خراسان مجالا لتآلف الناس ، ورعاية الحقوق ، واكـرام ذوى السابقة ، واشاعة البر في من تربطهم به ادنى رابطة . وقد نستطيع ان نرسم صـورة جزئية للناحية الادارية في دولته من خلال الاخبار نفسهـا :

١ـ رياسة الحرس : لمحمد بن يقطين (وكان ابن رجل ابزارى)
٢ـ الحجابة : لعيسى بن عبد الرحمن (وكان في الاصل كاتبا)
٣ـ ديوان الخراج : لسعيد بن الجنيد (وكان من قبل بستانيا)
٤ـ ديوان التوقيع والخاتم : لشخص يكنى بأبي زيد
٥ـ ولاية سمرقند : للعباس بن عبد الله بن حميد بن رزين

---

(١) كتاب بغداد : ٦٥ ـ ٦٦

فاما محمد بن يقطين فقد يحسن تولي رياسة الحرس، وان لم يكن لأهله فيها قدم سابقة ، ولكن الغرابة في حال الذين ولاهم الحجابة وديوان الخراج وديوان التوقيع ، وقد سئل طاهر عن السر في ذلك فكانت اجابته :

أ) ان عيسى بن عبد الرحمن خراساني الدار ، وهو كاتب تمتع بلباقة الكتاب وظرفهم ويحسن الوساطة بين الامير والناس، ويعلم الداخلين على الامير أدب الخطاب ، ولذلك فهو يستطيع ان يؤدي عمله المنوط به ، على أن طاهرا عاد فرقاه الى وظيفة أعلى ، وما كانت الحجابة الا حظوة في سبيل هذه الترقية .

ب) واما توليته البستاني أمر الخراج فانها أعجب ، ولكن طاهرا كان ينتقم بهذه الوسيلة وهذه التولية من الموظفين البغداديين اللذين ندبا للسفر معه فأبيا وهما موسى بن خاقان ومحمد بن يزداد ، فأراد أن يثبت لهما انه يستطيع أن يولي على شؤون الخراج "حمارا" لا يفقه شيئا فيه ، ومع ذلك تنضبط أمور المالية ، وجعل له نائبا يفهم في هذه الشؤون هو موسى بن الفضل .

ج) وان توليته ابا زيد ديوان التوقيع فما ذلك الا لأنه من لدات طاهر نشأ الاثنان معا ، فأحب ان ينتفع صاحبه بوظيفة لا خطر فيها لانها لا تحتاج الى الكتابة ثم ان طاهرا يتصفح عمله بعده ويراجعه فيأمن الخلل .

د) واما اعطاء سمرقند ولاية لابن رزين ، فما ذلك ايضا الا رعاية للعلاقة القديمة ، لأن جده رزينا وجد طاهر قدما خراسان في وقت واحد وعاشا على المودة

والائتلاف ، وسرى ذلك في الاعقاب ، ومع ذلك كان ابن رزين يتسخط ويريد أن تمتد ولايته بحيث تشمل كل ما وراء النهر [١] .

ولا يخفى ان طاهرا حين كان يضع في وظائفه أناسا قليلي الكفاية لمجرد اغـــداق المعروف عليهم ، انما كان يعرف انه هو المسؤول في النهاية من أوضاع ولايته ، وان سهره على الامور كان يحول دون حدوث الخلل فيها . ولكن هذا الوضع كان يتيح النقد الكثير لهذا النوع من الادارة ، وهذا ما يمثله قول طاهر ايضا : "وددت ان الناس كلهم عرفـــوا عذري فيما آتي واذر لتخف علي المئونة ويسلم صدري للجميع " [٢] ، ولكن أنّى للناس أن يعلموا أية " فلسفة " تلك التي توجه الحاكم ، وهم يرون بستانيا يتولى شؤون الخراج فـــي الدولة . ومن غريب الامر — وقد عرفنا كيف كان طاهر يعتمد العلاقات في توزيع الوظائف وفي الشفاعات — ان ينسب الى المأمون قوله فيه : "ما حابى طاهر في جميع ما كان فيـــه احدا ولا مالأ احدا " . [٣] على انه كان في خلال طاهر نفسه ما يجعله واليا محببا الـــى الرعية ، فقد عرفناه ايام عمله ببغداد رئيسا لشرطة المأمون ، يسعى في قضاء حوائج الآخرين ولا يسأل شيئا لنفسه ولا لولده [٤] . وكان كريما معطاء ، حسن الدعابة ، سهل الحجاب ، شديدا على المفسدين والمشغبين . وكان طاهر ذكيا ليس في معرفة الملامح ودرك الحواس والنوايا وتفسير المقاصد فحسب ، وانما ذكاؤه شمل معلومات مكتسبة كذلك ، فانه يعرف الجمل والعبارات بمحلها وفصولها وصفحاتها من مصادرها ويطبق الامور بحسب ذلك فيرجع الـــى مرجعها . وقد ذكر التوحيدي ان ذا اليمينين قعد يوما للمظالم ، فعرض عليه رقعة رجـــل

---

(١) كتاب بغداد : ٦٢ — ٦٦

(٢) المصدر نفسه : ٦٣

(٣) المصدر نفسه : ٦٨

(٤) المصدر نفسه : ٢٢

ادعى أجره على رجل آخر ، وأحال المدعى عليه على رجل آخر . فوقع طاهر : " يرجع الى الفصل الثاني - الصفح الثاني - من كتاب كليلة ودمنة " . فرجع ، فوجد فيه : " اجرة الاجير على من استأجره " . فعمل بذلك [1] .

١١- الدستور الطاهري :

واذا كان هناك من صلة بين القواعد السياسية النظرية والتطبيق العلمي فيجب أن نستأنس في هذا المقام بكتاب كتبه طاهر بن الحسين لابنه عبد الله حين ولي حرب نصر بن شيث ، وهو كتاب شاع بين الناس وكتبوه وتدارسوه ولما اطلع عليه المأمون قال : " ما أبقي أبو الطيب شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ البيعة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم فيه ، ثم أمر المأمون بأن ترسل نسخ من ذلك الكتاب الى جميع العمال [2] . ويمكن ان نجمل ما تضمنه ذلك الكتاب في الامور الآتية :

١- التمسك بالاوامر الدينية .

٢- اختيار الاعتدال في جميع الامور .

٣- النظر في شؤون الرعية .

٤- اقامة الحدود حسب ما رسمته الشريعة .

٥- تنظيم الامور المالية .

---

(١) البصائر والدخائر : ٦٣ - ٦٤

(٢) كتاب بغداد : ٣٤

٦- الاعتماد على الشورى من ذوي الثقة والحكمة والفقه .

٧- احترام القضـــاء .

٨- التحري في اختيار العمال .

٩- تعهد الفقراء والمساكين واهل الصلاح والمرضى وحملة القرآن .

١٠- حسن معاملة الرعية واداء الحقوق .

١١- الاعتبار بمن مضى من اهل السلطان .

١٢- التحري عن شؤون العمال وتصرفاتهم .

ويدل الكتاب بمجمله - وهو متداخل في كثير من المواضـع - على أن طاهرا كان ذا فلسفة متكاملة في الشؤون السياسية وانه لم يكن قائدا عسكريا وحسب . ويكفي ان نمثل على افكاره النظرية بمثلين الاول يتصل بالشؤون المالية والثاني في التحري في اختيـــار العمال .

ففي الاول يقول : " واعلم ان الاموال اذا كثرت وزخرت في الخزائن لا تثمر واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم نمت وزكت وصلحت به العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان واعتقب فيه العز والمنعة . فليكن أكثر خزائنك تفريق الاموال فـي عمارة الاسلام واهله ، ووفر منه على اولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيتك من ذلك حصصهم ، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشـــهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليـــك واستوجبت المزيد من الله وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر ". (١)

ويقول في العمال : " واعلم انك جعلت ولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي اهـــل

---

(١) كتاب بغداد : ٢٩

عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم تأخذ منهم ما أعطوك من عندهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم في كور عملك الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعناق ، ووسع عليهم في الرفق والرزق ، فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ، ولا يصرفنك عنه صارف فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب ، استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الاحدوثة في عملك ، واحرزت المحبة من رعيتك ، وأعنت على الاصلاح ، فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخصب في كورك فكثر خراجك ، وتوفرت اموالك ، وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وارضاء العامة باضافة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ومرضي العدل في ذلك عند عدوك . واجعل في كل كورة من عملك امينا يخبرك اخبار عمالك ، ويكتب اليك بسيرهم واعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لأموره كلها ".(١)

ذلك نموذج مما يمكن ان نسميه " الدستور الطاهرى " أو الفلسفة السياسية التي كان يؤمن بها طاهر بن الحسين .

١٢- نواة الدولة الطاهرية (٢٠٥ هـ - ٢٠٧ هـ = ٨٢٠ م - ٨٢٢ م) :

يمكننا ان نتصور بأن ولاية خراسان تحت أمرة طاهر كانت حسب نظامها العام ، صورة مصغرة من الدولة نفسها ، فهناك نظام الحجابة ورئيس نظام الحرس ، والدواوين التي تحتاجها الولاية لتصريف أمورها . وقد مر بنا من امثلتها ديوان الخراج - وهو من أهم الدواوين - وديوان التوقيع والخاتم ، ولا بد ان نضيف اليها سائر ما كان في عاصمة الخلافة من دواوين ، كديوان الرسائل وديوان البريد ، وديوان الجيش وغير ذلك . وكانت

---

(١) كتاب بغداد : ٣١ - ٣٢

الولاية شاسعة متباعدة الاطراف ، ولذا اختار طاهر ولاة فرّقهم على النواحي وحدّد لكل منهم اختصاصه ، واذا قرأنا ما كان يجرى في الواقع على ضوء ما جاء في الدستور الطاهرى قدّرنا ان طاهرا اختار اولئك العمال - في الغالب - من ذوى الرأى والخبرة والتجربة والعلم بالسياسة ، وانه وظف في كل ناحية "أمنيا" يطالعه بأخبار العمال وأعمالهم وسيرهم ، وانه رتب شؤون الخراج ترتيبا محكما ووزعه بالحق والعدل والسوية ، وانه اهتم بالقضاء ، "لأنه ميزان الله الذى يعتدل عليه أحوال الجميع في الارض" (١) .

واتخذ طاهر مدينة مرو عاصمة له كما كان يفعل ولاة خراسان من قبله ومنها أخذ يصرّف الامور في ولايته المترامية الاطراف ، ولم يأخذ نفسه بأسباب الآيين المعقّد في حياته اليومية ، فهو في مجلسه يضع الكتب والدواة ، فاذا جاء وقت الطعام رفعت هذه من امامه ، واحضرت المائدة ، ودخل اصحابه على حسب نوبتهم في الاكل معه ، فمن كانت له نوبة بقي ، ومن لم تكن له نوبة انصرف ، الا ان يشتهي هو دعوة رجل منهم من غير نوبته (٢) .

ولكن ما الذى كان يربط بين الولايات وعاصمة الخلافة ؟ كانت في كل ولاية من ولايات الدولة العباسية اربعة مظاهر تعبّر بها عن ولائها للخليفة وتبعيتها له : أولها : أن يكون النقد المتداول فيها مضروبا باسم الخليفة العباسي ، والثاني : أن يكون الدعاء على المنابر يوم الجمعة باسمه أيضا ، والثالث : ان يكون السواد شعارا لها ، والرابع : ان تؤدى قسطا مفروضا من الخراج لخزينة الدولة .

وحين تقلد طاهر بن الحسين ولاية خراسان كانت ما تزال تحتفظ بالمظاهر الثلاثة

---

(١) كتاب بغداد : ٣٠
(٢) المصدر نفسه : ٦٤ - ٦٥

الاولى . اما خراج خراسان في أيام بني طاهر فانه لم يكن يدفع الى خزينة الدولة ، بل كان ينفق في شؤون خراسان نفسها ، بل كانت الدولة تدفع قسطا من المال لخراسان بدلا من أن تأخذ منها . يقول اليعقوبي : "كان خراج خراسان يبلغ في كل سنة من جميع الكور اربعين ألف ألف درهم سوى الاخماس التي ترتفع من الثغور ، ينفقها آل طاهر كلها فيما يرون ، ويحمل اليهم بعد ذلك من العراق ١٣ ألف ألف سوى الهدايا "(١) . ولهذا لا نستغرب ان يعطي المأمون طاهرا ١٠ ملايين درهما من الخزانة (٢) وعند جغرافيين آخرين (٣) ان خراج خراسان وما ضم الى عبد الله بن طاهر من الكور والاعمال كان على النحو الاتي :

٠٠٠ ٨٤٧ ٠٤٤	درهم
١٣	رأسا من الدواب للركوب
١٠٠٠	شاة
١٠٠٠	رأسا من سبي الغزو (١٠٢٠ عند ابن الفقيه) قيمتها ٦٠٠ ألف درهم .
١١٨٧	ثوبا من الكرابيس (لم يذكرها ابن الفقيه)
١٣٠٠	قطعة فضية ، مرور وصفائح حديد

واذا أخذنا المال المعين — بعين الاعتبار — وجدنا ان تقدير ابن خرداذبه (وابن الفقيه) أكثر بكثير مع ما ذكره اليعقوبي (بينما يقارب تقدير قدامة ما ذكره اليعقوبي

---

(١) بلدان اليعقوبي : ٣٠٨
(٢) كتاب بغداد : ٢٤
(٣) ابن الفقيه : ٣٢٨ — ٣٢٩ وابن خرداذبه : ٣٩

اذ جعل الدراهم ٣٧ مليونا) [١] . ولهذا الفرق سببان : أولهما : ان ما ضم من الكور والاعمال الى عبد الله بن طاهر كان يزيد بكثير عما كان يجبى أيام من قبله . ثانيهما : ان التقدير الذى جاء به اليعقوبي لم يتضمن الاخماس . وعلى أية حال فان مقدار الجباية في زمن آل طاهر قد زاد كثيرا عما كان عليه الحال أيام هارون الرشيد في ناحية المال العين ، وقلّ كثيرا في الدواب والاثواب . ففيما يلي تقدير للجباية أيام الرشيد [٢] :

٢٨ ٠٠٠ ٠٠٠	درهم
٢ ٠٠٠	نقرة فضة (بالمن)
٤ ٠٠٠	برذون
١ ٠٠٠	رأس من الرقيق
٢٧ ٠٠٠	ثوب
٣٠٠	رطل اهليلج .

فأول ما يميز ولاية خراسان اذن في عهد طاهر وخلفائه انها كانت مستقلة في التصرف بخراجها ، وقد حاول طاهر في السنة الثانية من حكمه بمرو ، أن يسقط المظهر الثاني من هذه التبعية أعني الدعاء للخليفة على المنبر : ففي سنة ٢٠٧ هـ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ولم يدع للمأمون ، وانما قال : "اللهم اصلح امة محمد بما اصلحت به اولياءك ، واكفها مؤنــة من بغى فيها وحشد عليها من الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين" [٣] .

ترى هل كان طاهر قد استطعم حلاوة الاستقلال ، فأراد أن يحقق أكبر قسط ممكن

---

(١) الخـــراج : ٢٥٠ .
(٢) الوزراء والكتاب : ٢٨٣ — ٢٨٤
(٣) الديارات : ٩٥ ، وتاريخ الطبري : ١٦٩ ، وكتاب بغداد : ٧٤ ، والكامل في التاريخ (حوادث سنة ٢٠٧) .

منه ؟ استبعد ذلك ، لأن ولاية خراسان كانت بحاجة سند مادى من الدولة ، ولكن لا بد أن تكون هناك اسباب مباشرة أدت به الى هذا الامر . وتتفاوت المصادر في تصوير تلـــك الاسباب . فأما اليعقوبي فان في كتاب البلدان يحمل بقوله : " وبلغه سوء رأى مـــن المأمون ، فأظهر خلافا لم يكشف فيه ، وبلغ المأمون ذلك فيقال انه احتيل له بشربة " (١).

وعبارة اليعقوبي على ايجازها بالغة القيمة ، فهي تحدد لنا ان المأمون ساء رأيه في طاهر ، ثم هي تشير الى ان خلاف طاهر لم يكن ساطعا واضحا ، ولكنها لا تحدثنا لم تغيّر رأى المأمون فيه . واما صاحب العقد فيورد قصة مسهبة تدل على ان المأمون كان ينوى الغدر بطاهر منذ البداية ، وقد جاء فيها :

ان المأمون أدّب وصيفا له بأحسن الآداب وعلمه فنون العلم فأهداه الى طاهر مع الطاف كثيرة من طرائف العراق وقد واطأه على أن يسمّه ، واعطاه سم ساعة ، ووعده على ذلك بالاموال الكثيرة . فلما انتهى الوصيف الى خراسان وأوصل الى طاهر الهدية قبلهـــا طاهر ، وأمر بانزال الوصيف في دار ، وأجرى عليه ما يحتاج اليه من التوسعة في التزاماتـه وتركه أشهرا . فلما برم الوصيف بمكانه كتب الى طاهر : يا سيدى ، ان كنت تقبلني فاقبلني والا فردني الى أمير المؤمنين ، فأرسل طاهر الى الوصيف وأوصله الى نفسه . فلما انتهـى الوصيف الى باب المجلس الذى كان فيه أمره طاهر بالوقوف عند باب المجلس وقد جلـــس طاهر على لبد أبيض وقرّع رأسه وبين يديه مصحف منشور وسيف مسلول . فقال طاهر : قـد قبلنا ما بعث به أمير المؤمنين فيرك فانا لا نقبلك ، وقد صرفناك الى امير المؤمنين ، وليس عندى جواب اكتبه الا ما ترى من حالي ، فابلغ امير المؤمنين السلام واعلمه بالحال الـتي رأيتني فيها .

---

(١) كتاب البلدان : ٣٠٧

فلما قدم الوصيف على المأمون ، وكلّمه بما كان من أمره ، ووصف له الحال التي رآه فيها ، شاور المأمون وزراءه وسألهم عن معناه ، فلم يعلمه واحد منهم . فقال المأمون : لكنني قد فهمت معناه ، اما تقريعه رأسه وجلوسه على اللبد الابيض فهو يخبرنا بأنه عبد ذليل ، واما المصحف المنشور فانه يذكرنا بالعهود التي له علينا ، واما السيف المسلول ، فانه يقول : ان نكثت تلك العهود فهذا يحكم بيني وبينك ، اغلقوا عنا باب ذكره ولا تهيجوه في شيء مما هو فيه [١] .

والرواية بعد ذلك تشبه "اللغز" وهي فضلا عن هذا تغفل الاشارة الى أى سبب يحفز المأمون للتخلص من طاهر ، ثم هي تومىء الى عهود لطاهر على الخليفة ، مما لم ترد اليه اشارة في مصدر آخر .

وأقوى الروايات في هذا الصدد ما أثبته صاحب الديارات فقد ذكر ان الشراة كثرت بخراسان ، فوالى المأمون الكتب الى طاهر يحثه على حربهم دون هوادة وينكر عليه التضجيع في أمرهم ، فاعتذر طاهر باستفحال أمرهم وقوة شوكتهم وانه محتاج الى جيش أكبر من الجيش المعدّ لديه ، فاستاء المأمون من ذلك ، وكتب اليه كتابا عنيفا جاء فيه : "لهممت أن أردّك الى خبث ابيك" [٢] ، فكان رد الفعل عند طاهر اسقاطه اسم الخليفة من الدعاء يوم الجمعة [٣] .

١٢ـ نهاية طاهر بن الحسين :

ان الخلاف الذى رمز اليه طاهر بقطع الدعاء للخليفة ارتبط في بعض الروايات بخبر

---

(١) العقد الفريد : ٢ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥

(٢) في الاصل الى "حيث" والقراءة المثبتة ترجح للدكتور مصطفى جواد والمعنى فيه اشارات الى ان أباه حداد .

(٣) الديارات : ٩٤ ـ ٩٥

من محاولة للتخلص منه قبل استفحال أمره ، ولهذا اضطربت الروايات في شأن وفاته ، ويمكننا تصنيفها على النحو الآتي :

١— ان طاهرا بعد صلاة الجمعة التي تميّزت بقطع الدعاء — وبعد صلاة العصر من اليوم نفسه على التحديد — استدعى اليه صاحب البريد بخراسان وهو كلثوم بن ثابت بن ابي سعد ، لأنه كان يعلم ان صاحب البريد لا يستطيع — بحكم وظيفته — ان يسكت عن تبليغ الخبر بقطع الدعاء الى الخليفة وكان صاحب البريد يعلم انه لا بد ان يعرف طاهر بالخبر لأنه يتصفح البريد قبل ارساله ، ولذلك استعد كلثوم للموت — أي اغتسل بغسل الموتى وائتزر ولبس قميصا وارتدى رداء وطرح السواد — وبدلا من ان يموت كلثوم ، حدث حادث لطاهر في جفن عينيه وفي مآقيه فسقط ميتا (١) . وهذه الرواية قد تسيء تقدير العلاقة بين الاعراض التي ظهرت في العينين وبين حادث الوفاة ، ولكنها تريد ان تؤكد ان طاهرا توفي في اليوم الذى أعلن فيه الخلاف ، ولم يكن هناك وقت يسمح بتدخل بغداد في موته ، كما سنرى في روايات اخرى ، وان بقاء كلثوم على قيد الحياة يشير الى قصر المدة بين اعلان طاهر الخلاف وحادث وفاته . وتضعف قيمة الرواية اذا اعتبرنا ان كلثوما خاف من الموت فلم يكتب شيئا لدار الخلافة ، وانها انما صيغت لتفسّر اخلاص كلثوم في اداء واجبه .

٢— ان طاهرا أصيب بحمى وحرارة وانه صلى العشاء الآخرة ، ثم التف في دواج

---

(١) كتاب بغداد : ٧٤ ، وبعضها في الديارات : ٩٥ وتاريخ الطبرى (حوادث سنة ٢٠٧)

ونام ، وسمعه الخادم وهو يقول بالفارسية قبل ذهابه للنوم : "در مرك نيز مردى بايد" — يعني انه يحتاج في الموت أيضا الى الرجولة ، ولكنه لم يقم كعادته مبكرا لصلاة الصبح . وجاء عماه علي واحمد ليعوداه ، فأخبرهما الخادم انه ما يزال نائما وانه لا يجسر على ايقاظه ، فقام عماه فدخلا عليه ، فوجداه ملتفا في دواج ، وحرّكاه فاذا به قد مات ، ولم يعلما الوقت الذى توفي فيه ، ولا وقف أحد من خدمه على وقت وفاته " (١) . وتختلف هذه الرواية عن سابقتها في تحديد الزمن ، ولا تقترن اقترانا مباشرا بيوم قطع الدعاء ولكنها تجعل المرض المباشر السبب للوفاة ، وتزيد فتصور احساس طاهر بوطأة المرض وكيف انه كان يتحسّب الموت .

٣ــ ان طاهرا عاش بعد قطعه الدعاء اسابيع ووصل الخبر الى المأمون فشق عليه ودعا احمد بن ابي خالد الذى كان ضمن طاهرا لدى توليته خراسان وقال له : "وبالله لئن لم تتلطف لاصلاح أمره كما كنت ضمنت فساده لأضربنّ عنقك" ، فبعث ابن ابي خالد بهدايا الى طاهر وفيها كامخ ابيض مسموم لعلمه ان ذلك اللون محبّب اليه ، فأكل من الكامخ مع تدراج مشوية فمات بعد يومين (٢) . وهذه الرواية لا تعترف بصاحب البريد ولا بدوره في ابلاغ الخبر والنتائج المترتبة على ذلك .

٤ــ ان الخبر بخلاف طاهر وصل الى المأمون ، وانه لجأ الى ابن ابي خالد ، ولكن

---

(١) كتاب بغداد : ٧٣ وتاريخ الطبرى (حوادث سنة ٢٠٧) والعيون والحدائق : ٣٦٤
(٢) الديارات : ٩٥

بدلا من ان يأمره بالتلطف لاصلاح حاله ، أمره أن يسافر من توّه الى مـــرو ليحضر طاهرا — وكان الوقت ليلا — فرجاه ابن ابي خالد ان يسمح له بالمبيت الى الصباح . فتشدّد أولا ثم اذن له ، وفي الليل جاءت خريطة البريد مـن خراسان تنبىء بوفاة طاهر [(١)] . وتلتقي هذه الرواية من حيث التوقيت مـع الرواية الاولى ، لأن كلثوما بعث بخبرين متواليين : الاول بقطع الدعاء والثاني بحادثة الوفاة .

٥— ان الخبر بخلاف طاهر وصل الى مسامع المأمون فاستدعى ابن أبي خالد وقال له : يعتني بثلاثة آلاف درهم أخذتها من طاهر (يعني مكافأته لانه ضمن لـه ولاية خراسان) فقال احمد : انا أخرج وأكفيك أمره ، ثم ورد كتاب من طاهـر علي احمد يسأله ان يوجه اليه محمد بن فرخ العمركي وكان أحب الناس الـى طاهر فقال أحمد للمأمون : ان محمد بن فرخ العمركي يقوم بما كنت أقوم به ، فاقطعه عدة قطائع ووصله بمال عظيم ، ونفذه الى خراسان فأقام عند طاهرا شهرا حتى توفي طاهر ، فيقال ان ابن أخي العمركي سقاه سما فقتله [(٢)] .

وهكذا تضطرب الروايات بين وفاة طبيعية وقتل مدبّر ، ومن الصعب أن نحكم أيها أقرب الى الواقع ، ولكن ليس من المستبعد أن يكون طاهر قد ذهب ضحية طموحه في أن يعلن استقلاله عن الدولة ، فأما الروايات التي تحاول ان تربط بين خلافه ونهايته فانها تذيل القصة بأن الخبر حين جاء الى المأمون قال : " لليدين وللفم " الحمد لله الذى قدمه وأخرنا " [(٣)] . واما الروايات الاخرى فيتفق معها تأبين المأمون وأسفه عليه وقوله فيه : " انه لا يعرف احدا من نصحاء الخلفاء وكفاتهم فيمن سلف عصره ومن بقي من ايـام دولته على مثل طريقته ومناصحته وغنائه واجرائه .

---

(١) الديارات : ٩٥ ، كتاب بغداد : ٧٤ ، تاريخ الطبرى (حوادث / ٢٠٧ والعيون والحدائق : ٣٦٤
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥٧ (ط . بيروت) .
(٣) كتاب بغداد : ٧٥ ، والعيون والحدائق : ٣٦٥

الفصل الثاني

خلفاء طاهر بن الحسين

١- ولاية طلحة

٢- ولاية عبد الله

٣- طاهر الثاني

٤- محمد بن طاهر الثاني

١ــ ولاية طلحة بن طاهر

٢٠٧ هـ ــ ٢١٣ هـ = ٨٢٢م ــ ٨٢٨م

خراسان بعد طاهر بن الحسين :

توفي طاهر بن الحسين وله من العمر ثمانية وأربعون عاما ، وتختلف الروايات في تصوير ما حدث بعد وفاته على النحو الآتي :

١ــ ان طلحة ابنه طلب الى كلثوم بن ثابت صاحب البريد بأن يكتب الى الخليفة بوفاة أبيه وانه ضبط أمر الجيش من بعده ، وكافأ صاحب البريد على هذا ٥٠٠ ألف درهم ومائتي ثوب (١) . وهذه الرواية تومئ الى ان كتابة صاحب البريد كانت ثناء على طلحة واشادة بمقدرته ، فوضعت المأمون امام الامر الواقع ، فأمر المأمون طلحة على ما هو عليه .

٢ــ ان خبر الوفاة حين بلغ المأمون لجأ الى مستشاره الكبير احمد بن ابي خالد ، يسأله : قد مات ، فمن ترى ؟ قال : ابنه طلحة ، قال : الصواب ، فاكتب توليته ، فأقام طلحة واليا على خراسان بعد موت ابيه (٢) .

٣ــ رواية اصحاب الاخبار والتاريخ : وهي تقول ان الجند وثبوا بخراسان عندما مات طاهر ونهبوا بعض خزائنه وسلاحه ومتاعه فقام بأمرهم سلام الابرش الخصي

---

(١) كتاب بغداد : ٧٤ ، والعيون والحدائق : ٤٥٣

(٢) كتاب بغداد : ٧٤

وأعطاهم رزق ستة أشهر حتى رضوا وسكنوا ، ثم ان المأمون جعل سلطان عبد الله بن طاهر – وكان يومئذ يحارب في مصر — جعله يمتد بحيث يشمل الشام وخراسان أيضا ، فأناب عبد الله في خراسان أخاه طلحة (١) .

وعلى الرغم من اختلاف هذه الروايات وتفاوتها في بعض التفصيلات فانها جميعا تنتهي الى القول بأن طلحة هو الذى تسلّم مقاليد الامور في خراسان وظل فيها حاكما مدة سبع سنين ، دون أن يتدخل اخوه عبد الله في شوءونها . والناظر الى حال الدولة العباسية حينئذ يستطيع ان يتصور مبلغ ما ناله الطاهريون من نفوذ في عهد المأمون . فكان عبد الله بن طاهر ، يهدىء الفتن في الشام ومصر وكان طلحة واليا في خراسان وكان اسحاق بن ابراهيم المصعبي صاحب الشرطة بمدينة السلام . وان تولية طلحة بعد أبيه ، ان دلت على شيء ، فانها تدل على أن المأمون لم يكن يخشى من والي خراسان الخضوع للميول الانفصالية ، وان قطع طاهر للدعاء انما كان نزوة لم يجروء عليها خلفاوءه من بعده .

وفي سبيل أن يثبّت المأمون ولاية طلحة أرسل اليه جيشا بقيادة احمد بن أبي خالد ، وكانت المشكلة المزمنة التي عانى منها طاهر من قبل هي قوة الحرورية وعجزه عن القضاء عليهم ، فأصلح احمد احوال الولاية ودبر أمور طلحة (٢) . واعترافا بصنيعه وهب له طلحة ٣ ملايين درهم وعروضا بمليونين ووهب لكاتبه نصف مليون درهم (٣) . ويبدو ان هذه الصلات كانت متبادلة بين اصحاب روءوس الاموال ، اذ نجد ان احمد بن أبي خالد نفسه

---

(١) كتاب بغداد : ٧٥
(٢) العيون والحدائق : ٣٦٥ — ٤٥٤
(٣) المصدر نفسه : ٤٥٤

يبعث الى طلحة بمليون درهم ليشترى بها لنفسه ضيعة في السواد [١] .

وليست لدينا اخبار كثيرة عن طلحة ، فقد كان في عهد ابيه قد تدرب في شؤون القيادة ثم ولاه ابوه اعمال سيستان (سجستان) سنة ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م [٢] ، ويبدو انه شغل بعض فترة من حكمه بمحاربة الشراة في خراسان ، وأصيب بضربة في وجهه [٣] . وقد اهتم ابن طيفور بايراد طرف من اخباره وأكثرها يدل على ميل الى الشرب والسماع وممارسته فن الصيد ، والسخاء بالمال على الاصحاب والقاصدين [٤] .

٢ـ وفاة طلحة بن طاهر :

كان لطلحة كاتب اسمه علي بن يحيى بعث المأمون في طلبه فسافر الى بغداد فخرج طلحة في تشييعه ـ وكان حينئذ يبلغ ـ ولما عاد الى منزله أكل من " المبرقط بالربيثاء " فاشتكى بطنه وفي اليوم الثاني توفي (سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م) ، وقد رثاه شاعره ونديمه ابو السحيل ، فمما قاله :

يا قبر طلحة فيك مثوى سيد	لمسودين مهذبين كرام
من معشر تروى السيوف أكفهم	لا يحشرون سواعدا للظامي [٥]

---

(١) كتاب بغداد : ١٢٨
(٢) تاريخ سيستان : ١٧٧
(٣) كتاب بغداد : ٩٤
(٤) المصدر نفسه : ٩٣ ـ ٩٥
(٥) المصدر نفسه : ٩٥ ـ ٩٦

٢- ولاية أبي العباس ، عبد الله بن طاهر

١- نشـــأته :

ذكرت المصادر التاريخية انه لما مات عبد الله سنة ٢٣٠ هـ = ٨٤٤م - أيام الواثق - كان عمره ٤٨ سنة وتسعة واربعون يوما (١) ، وبذلك يكون قد ولد عام ١٨١ هـ الموافق ٧٩٦م ، كما صرح بذلك عبد الله نفسه (٢). وبما ان هذه الاسرة لم تخرج من خراسان الى بغداد الا بعد فتح بغداد فيكون عبد الله هذا قد نشأ بخراسان وبوشنج ، وعندما خرج أبوه لمحاربة ابن عيسى بالرى كان عمره ١٣ سنة تقريبا ، ولكننا لم نجد له ذكرا الا بعد خروج طاهر الى خراسان سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠م . اما تصريح المأمون بأنه قد تبنّى عبد الله (٣) ورباه ، يومىء الى ان المأمون قد أحبه وهو بخراسان فأخذه معه الى بغداد - وقد لا يكون ذلك - اذن فكان عبد الله بن طاهر ابن ثلاث وعشرين عندما خرج والده الى خراسان ، وظل عبد الله ببغداد يرافق المأمون . وولاه المأمون الرقة بعد خروج ابيه منها (٤) حوالى سنة ١٩٩ هـ أو ٢٠٠ هـ = ٨١٥م . ثم ولاه الشرطة ببغداد (٥) ، كما كان كبير حجاب المأمون (٦) .

٢- اعمال عبد الله بن طاهر الحربية في الشام ومصر :

وفي سنة ١٩٨ هـ = ٨١٣م أظهر نصر بن سيار بن شيث العقيلي الخلاف على

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٩ : ٤٨٩
(٢) كتاب بغداد : ٨٦
(٣) الديارات : ٨٦
(٤) اعلام النبلاء للطباخ ١ : ١٧٩ ، وكتاب بغداد : ٧٥
(٥) المحاسن والمساوىء للبيهقي : ٢٠٨ ، وكتاب بغداد : ٤٠ ، والمحبر : ٣٧٦
(٦) تاريخ البيهقي : ٢٩

المأمون وكان يسكن كيسوم ناحية شمالي حـلب ، وكان في عنقه بيعة للأمين وله فيه هوى ، فلما قتل الامين أظهر نصر الغضب لذلك وتغلب على ما جاوره من البلاد وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب واهل الطمع وقويت نفسه فعبر الفرات الى الجانب الشرقي وحدثته نفسه بالتغلب عليه ، فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت عما كانت [1] . وكان من أمره ان حصر حـران . وفي شهر رمضان من سنة خمس أو ست ومائتين ولـى المأمون عبد الله بن طاهر مصر ومحاربة نصر بن شبث ، فأقام عبد الله على محاربته خمس سنين وحاصر كيسوم سنة ٢٠٩ هـ = ٨٢٤ م ، وضيّق عليه حتى طلب الامان على شرط أن لا يطأ بساط المأمون فلم يقبل المأمون ، واضطر نصر الى ذلك فأمر المأمون ان يكتب عبد الله له الامان . ووصل الى المأمون سنة ٢١٠ هـ = ٨٢٥ م [2] .

وكانت مصر مسرحا للفتن والثورات ، حيث كانت نار الفتنة القديمة قد اندلعت بين عرب الشمال وعرب الجنوب مرة اخرى حينما أقبلت جماعة من الاندلسيين واستولوا علـى الاسكندرية ، وكانت الثورات قد اشتدت في مصر فاضطر المأمون الى تعيين عبد اللـه واليا على مصـر سنة ٢١٠ هـ = ٨٢٥ م للقضاء على الاضطرابات . فاستطاع عبد الله في فترة وجيزة ، اكراه الاندلسيين وارغامهم على الانسحاب ، واعادة الآلة الحكومية في مصـر من جديد واقرار النظام ، ثم التفت الى اصلاح البلاد وبدأ في ذلك ولكنه اضطر الـى العودة الى العراق ، فعادت الثورات الى أشد ما كانت عليه حتى اضطر المأمون الـى الحضور بنفسه الى مصر [3] .

---

(١) الكامل في التاريخ (حوادث سنة ١٩٨ - ٢١٠) ، وتاريخ الطبري ومروج الذهب ، كتاب بغداد : ٢٥ - ٧٧ - ٧٨ ، والديارات : ٨٦ - ٨٧

(٢) المصـدر نفسه

(٣) كتاب ولاة مصر للكندي : ٢٠٤ ، والولاة والقضاة للكندي : ١٨٠ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٤٦١ ، وكتاب بغداد : ٨١ ، وكتاب الديارات : ٨٨

وكان مقام عبد الله بمصر ١٧ شهرا وعشرة أيام ، ثم خرج منها في رجب سنة ٢١٢ هـ الموافق ٨٢٦م . فأقام قبل المأمون سنة واحدة ، فسيره المأمون الى بابك الخرمي ، فأقام بازائه بالدينور سنة تقريبا وكان قد شرط على المأمون انه اذا ظفر ببابك رجع على الباب ، فبينما هو كذلك ، اذ وقعت احداث في خراسان اضطرت المأمون ان يحول اليها عبد الله فامتثل عبد الله أمره ، وكان حينئذ واليا على الجبال وارمينية وآذربايجان (آذربيجان) (1) .

٣- تولـيته خراسـان :

ولما توفي طلحة بن طاهر أواخر السنة ٢١٣ هـ = ٨٢٧م أرسل المأمون القاضي يحيى بن اكثم الى عبد الله يعزيه في أخيه طلحة ويهنئه بولاية خراسان (2) . ومات المأمون سنة ٢١٨ هـ = ٨٣٣م فأقره المعتصم - وكانت في نفسه حزازات من عبد الله (3) - ثم جاء الواثق سنة ٢٢٧ هـ = ٨٤١م فأقره أيضا . وفي سنة ٢٣٠ هـ = ٨٤٤م توفي عبد الله بعد ان حكم خراسان ١٧ سنة ، كان قد ضبط فيها خراسان ضبطا ما ضبطه أحد مثله ودانت البلاد له واستقامت عليه الكلمة (4) . وكان موته بعلة الخوانيق "مرض الخناق" بعد ان مرض ثلاثة ايام من وجع في حلقه (5) وتوفي وهو وال على خراسان والرى وجرجان (6) سنة ٢٣٠ هـ = ٨٤٤م .

---

(١) الديارات : ٨٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٣
(٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٧٠
(٣) تاريخ الطبرى ٧ : ١٨٥ و ٧ : ٢١٠ ، والديارات : ٩٠ والصداقة والصديق : ١٢٨ كتاب بغداد : ٨١ وأعلام النبلاء : ١٩٢
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٨٠
(٥) النجوم الزاهرة ٢ : ٢٠١
(٦) تاريخ بغداد ٩ : ٤٨٨

٤- شخصية عبد الله بن طاهر :

لعله أبرز شخصية من آل طاهر - بعد أبيه - وأشدهم اخلاصا للدولة العباسية ، وللمأمون على وجه الخصوص ، وكان المعتصم سيء الرأى فيه أولا ، فلما رأى اخلاصه أصبح يؤثره ويقدره [(١)] ، وكان هذا الاخلاص سر شخصيته بحيث حال بينه وبين الشره الى المال أو الى الانقلاب على مولاه ، ولما دخل مصر سنة ٢١١ هـ = ٨١٦م بعث اليه عبيد بن السرى - لما مانعه دخول مصر وعلم انه مأخوذ - ألف وصيف ووصيفة ، مع كل وصيف صينية فضة وزنها الف درهم وفيها الف دينار في كيس حرير ، ومع كل وصيفة صينية ذهب وزنها الف مثقال ، وفيها الف درهم ، وبعث بهم ليلا . فرد ذلك عبد الله اليه . وكتب اليه : " لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا ، أتمدونني بمال ؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم ، بل انتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون " . فطلب بن السرى الآمان ، فآمنه وخرج اليه ، ودخل عبد الله مصر [(٢)] .

وكان من نزاهته واخلاصه للمأمون بحيث يراه المأمون انه يزيد على جميع اهل دهره . فقد قال يوما لاهل مجلسه : هل تعرفون رجلا يزيد على اهل دهره نزاهة وحسن سيرة ؟ فذكر قوم أناسا فأطروهم ، فقال : لم أرد هؤلاء . فقال احدهم : ما نعلم احدا مثل هذا النعت الا عمر بن الخطاب . فقال المأمون : غفرا ، لم أرد قريشا ولا اخلافها . فأمسك القوم جميعا . فقال المأمون : ذاك عبد الله بن طاهر ، وليته مصر وأموالها جمة فوجد لعبيد الله بن السرى (من الاموال) ما تقصر عنه الصفة ، فما تعرض منه لدينار ولا لدرهم

---

(١) الديارات : ٨٨ ، والصداقة والصديق : ١٢٨ ، وكتاب بغداد : ٨١

(٢) الذخائر والتحف : ٢٥ ، وكتاب بغداد : ٧٣ والمستطرف ١ : ١٦٢ ، وخاص الخاص : ٨٩

ولم يخرج من مصــر الا بعشرة آلاف دينار وثلاثة افراس وحمارين . ثم أنشد المأمون فـــي عبد الله :

حليم مع التقوى شجاع مع الردى ... ند حين لا يندى السحاب سكوب

شديد مناط القلب في الموقف الذى ... به لقلوب العالمين وجـــيب

ويجلو امورا لو تكلفت غـــيره ... لمات خفاتا أو يكاد يـــذوب

فتى هو من غير التخلّق ما جـــد ... ومن غير تأديب الرجال اديـب (١)

وهكذا نجد المأمون يخاطبه خطاب الاخ العطوف ويعده عضدا له وثيقا يفرح لفرحه ويحزن لحزنه وهو صديقه المثالي (٢). فلما فتح عبد الله بن طاهر مصــر كتب اليه المأمون في أسفل كتابــه :

اخي انت ومولاى الـــــذى أشكر نعماه

فما أحببت من أمـــــــر فاني اليوم اهواه

وما تكره من شـــــــيء فاني لست أهواه

لك الله على ذا ... ك لك الله لك الله (٣)

ولم يكن المأمون وحده الذى خاطب عبد الله بالاخ وانما فعل ذلك المعتصم ايضا (٤) .

ومن تواضع عبد الله بن طاهر وحبه للعلماء واحترامه لهم انه لما دخل عبد الله بن طاهر مصــر قصد محمد بن يوسف الفاريابي الزاهد وكان بقيسارية وبينها وبين الطريــق

---

(١) الديارات : ٨٨ ، وكتاب بغداد : ٩٢

(٢) كتاب بغداد : ٨٣ والمصادر الاخرى

(٣) الصداقة والصديق : ١٢٦

(٤) العقد الفريد ٢ : ٤٤٩

أميال وعبد الله في خيله ورجله . فجاء صاحب لواء عبد الله حتى وقف على الباب ثم جاء عبد الله فوقف . فخرج ابن لمحمد بن يوسف وسلم على عبد الله . فقال له عبد الله : أردت الشيخ . فقالوا لمحمد بن يوسف : عبد الله الامير بالباب وعظموا أمره . فقال الفاريابي : لا اخرج اليه . فكلما جهدوا لم يقبل . فقالوا له : ما نقول للامير ؟ فاضطجع الفاريابي وقال : قولوا له انه صاحب فراش . فرجعوا الى عبد الله وقالوا له : شيخ كبير صاحب فراش . فقال عبد الله : ما جئنا الى ها هنا الا ونحن نريد الدخول عليه . فرجعوا الى الفاريابي فقال : ما آذن له ، ثم قال : قولوا له صاحب بول . فلما اخبروا عبد الله بذلك . صعّر وجهه ثم قال : نحن في سوادنا أزهد من هؤلاء في صوفهم ، ثم مضى ، ولم يلقه الشيخ ولا عرض له .

ولم يخرج عبد الله بن طاهر من اختبارات المأمون له ناصح الجيش فحسب ، بل بذل أقصى جهده ليبرهن للمأمون انه يحبه أشد الحب ويكن له أشد الولاء ، فيفضل البقاء في جواره على أن يولي مصر أو خراسان أو غيرهما . ولقد رأينا كيف عاد الى بغداد من مصر فسيره المأمون الى بابك الخرمي وقد شرط على المأمون انه اذا ظفر ببابك رجع على الباب ليقيم بحضرة المأمون ويختار بخلافته على خراسان من أحب من اخوته [١] وهو الذى اختار اخاه طلحة بدلا عن نفسه [٢] . ولما كان واليا على خراسان كتب الى المأمون يظهر اشتياقه لرؤية المأمون ويتجمّل بخدمته ويستأنس بجواره . فكتب الى المأمون — من خراسان — رسالة جاء فيها : "بعدت دارى عن ظل أمير المؤمنين ، وان كنت حيث تصرفت لا اتفيأ الا به ، وقد اشتد الى امير المؤمنين شوقي لأرى مجلسه وأتشرف لخطابه ، واتجمل بخدمته ، وانقّح عقلي من حسن أدبه ، فلا شيء آثر عندى من قربه ، وان كنت في سعة وهبها الله به ،

---

(١) الديارات : ٨٩

(٢) اعلام النبلاء : ١ : ١٩٥

فان رأى أمير المؤمنين اذن لي في المصير اليه لأحدث عهدا للمنعم علي ، واتهنأ بالنعمة التي آثرها لدى فعل محسنا ان شاء الله تعالى . فوقع المأمون في كتابه : قربك أبا العباس الى حبيب ، وانت مني حيث كنت قريب ، وانما بعدت دارك نظرا لك ورغبة فيك وسموا واتبع قول الشاعر :

رأيت دنو الدار ليس بنافع ... اذا لم تكن بين القلوب قريب (١)

اما شجاعته وهيبته في قلوب اعدائه فكانت أيضا من خصائصه البارزة ، ومن ذلك صبره ووقوفه لمحاربة نصر بن شبث خمس سنوات دون أن يمل وقد نقل لنا اصحاب التواريخ حكايات من شجاعته لا مجال لذكرها في هذا الوجيز (٢) .

وكان عبد الله ظريفا في اغلب حالاته فكها بسيطا في منزله ، مرحا . وكان قد جلس يوما بخراسان انصف فيه من وجوه القواد وأمرأ الاجناد ، وضرب الاعناق وقطع الايدى والارجل وعقد العقود . فلما زالت الشمس دخل داره . فتلقاه الخدم ، فأخذ هذا قباءه ، وآخر خفه ، وآخر رانه ، وبقي عبد الله في غلالة وسراويل . فرفع الغلالة على كتفه وجعل يقول :

النشر مسك والوجوه دنا ... نير وأطراف البنان عنم

فاغتاظ منه الجلودى ، وكان أقرب من قلبه وأدل عليه ، ونزع ثوبه عن عاتقه ورده الى حاله وقال له : تجلس اليوم مجلس الاسكندر ودارا بن دارا ، وتفعل الساعة فعل علوية ومخارق ؟ فنظر اليه عبد الله نظر الصؤول ورد ثوبه على كتفه وقال :

لا بد للنفس اذ كانت مصرفة ... الا التنقل من حال الى حال (٣)

---

(١) المنازل والديار ٥ : ١٨٠ ، وخاص الخاص : ٨٩
(٢) الديارات : ٨٨
(٣) المصدر نفسه : ٨٩ ـ ٩٠

أما كرمه فقد ملك به القلوب وله في ذلك اخبار كثيرة ، فمن ذلك انه لما حل مصر ، وزع جوائز كثيرة على الناس حتى لم يبق لديه شيء يعطي المعلّي الطائي فاستدان له [(١)] . وجمع كاتبه احمد بن ناهيك ، في طريقه الى الشام ، هدايا كثيرة فلم يأخذ منها عبد الله شيئا ووهبها له جميعا وزاده عليها ، وبعث الى عبد الله بن السمط بهدايا كثيرة الى بغداد [(٢)] ، واحصي من كان في جيرانه ببغداد فبلغوا ٤ آلاف نفس ، فكان يقوم بمؤونتهم وكسوتهم ، فلما خرج واليا على خراسان انقطعت الرواتب من المؤونة عنهم وبقيت الكسوة مدة حياته [(٣)] . ويقال انه افتك اسرى بألفي ألف درهم وتصدق بأموال كثيرة [(٤)] . ولما ولي الرقة واحضرت الرق والقصص بلغ ما وقع به من الهبات للناس مبلغا عظيما [(٥)] ، والحقيقة ان استقصاء مثل هذه الاخبار من جوده أمر عزيز .

وكان ظريفا في كلامه ، فجرى بين يديه يوما ذكر قصيدة ابن الرومي النونية في ابي الصقر . فقال عبد الله : هي الدار البطيخ ، فضحك الجماعة . فقال عبد الله : اقرأوا نسيبها فانظروا أهي كما قلت ام لا ؟ وقد ظرف عبد الله فان نسيبها قوله :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان فيهن نوعان : تفاح ورمان

وقد قال ذلك الاخفش ايضا حين قرأها [(٦)] .

ومن سيرته انه كان يخاف عاقبة السوء فيحل مشاكل الامور منذ بدئها ، وهذا واضح

---

(١) تاريخ بغداد ٩ : ٤٨٤ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٠٠
(٢) تاريخ بغداد ٩ : ٤٨٥
(٣) اعلام النبلاء ١ : ١٩٤ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٤٨٦
(٤) اعلام النبلاء ١ : ١٩٤ وشذرات الذهب ٢ : ٦٨
(٥) كتاب بغداد : ٨٧ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ١٩٦
(٦) ثمار القلوب : ٥١٩

تمام الوضوح في همسه وكلامه للضبي الشاعر عن خوفه وقلقه من بذاءة لسان دعبل ومر هجاءه (١) . وكذلك في اهدائه جاريته . كما كان حليما قادرا على ضبط النفس وكظم الغيظ والعفو من الناس حتى اذا أهين ، والاخبار في هذا الباب ليست بقليلة نذكر منها هجاء محمد بن يزيد الحصني له والقدح له والطعن به ، فلما هجاه وكان هجاؤه مرا لاذعا رأينا عبد الله عفا عنه عندما وقع الحصني في قبضته وعلم انه مقتول ، اما عبد الله فانه لم يكتف بعفوه بل وهب له مالا كثيرا (٢) .

وكان عبد الله يقتدي بملوك الفرس الذين كانوا يقولون : ان الملك يستغني عن كسوة الصيف في الشتاء ، ومن كسوة الشتاء في الصيف ، وليس من اخلاق الملوك ان تخبأ كسوتها في خزائنها ، فتساوى العامة في فعلها . فاذا كان يوم النوروز ، لبس خفيف الثياب ورقيقها ، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففرقت . فاقتفى عبد الله بن طاهر هذا الاثر من آثارهم في النوروز والمهرجان لا يترك في خزائنه ثوبا الا كساه (٣) .

ومع ما ذكرنا من سيرته الطيبة وظرف اخلاقه ولينه فانه كان شديدا في موقع الشدة فلا يغفر لعامله تقصيره وتكاسله وتوانيه وتقاعسه وخطأه وزلله وينبّهه ويوبخه اذا كرر ذلك وأعاد . فقد كتب الى الحسن بن عمر التغلبي احد عماله ،يقول : اما بعد ، فقد بلغني ما كان من قطع الفسقة الطريق ما بلغ ، فلا الطريق تحمي ، ولا اللصوص تكفي ، ولا الرعية ترضى ، وتطمع بعد هذا في الزيادة . انك لمنفسخ الامل . وايم الله لتكفيني من قبلك أو لأُوجهن اليك رجالا لا تعرف مرة من جهم ، ولا عدي من رهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (٤) .

---

(١) الاغاني ٢٠ : ١٣٥
(٢) معجم الادباء ١٢ : ١٩٤
(٣) التاج في اخلاق الملوك : ١٥٠
(٤) العقد الفريد ١ : ٥٩

وكان عبد الله بن طاهر من أكثر الطاهريين تشجيعا للآداب والعلوم فكان مجلسه موضع البحث والجدل والظرف والملح ، وفيه يقوم الشعراء بانشاء قصائدهم ، كما سنوضح ذلك عند دراسة الحياة الادبية في ظل الطاهريين ، هذا الى محبته في الغناء ومعرفته الاصوات ، واهتمامه بمجالس الطرب وان كان قد تاب من ذلك قبل موته وكسر جميع آلات اللهو ، وكان احترامه للعلماء ورعايته لهم من الامور التي جعلتهم يلتفون حوله [1] .

واخيرا يمكن ان يقال ان عبد الله بن طاهر كان يصح فيه انه "ميمون النقيبة " حتى قيل عنه بأنه كان اذا حل بلدا حل معه الخير ، ولما قدم نيشابور بعد حرب الخوارج نزل المطر فيها بعد انقطاع فعدّ الناس ذلك من يمنه [2] .

٥- خراسان ايام عبد الله بن طاهر :

تسرف المصادر في الحديث من اعمال عبد الله بن طاهر الحربية في الفترة التي قضاها في الرقة ثم في مصر ، وتورد اخبارا وقصصا عن بعض تصرفاته ومن نواحي شخصيته ولكنها لا تهتم كثيرا بالتحدث عنه في خراسان طوال السنوات التي قضاها هناك ، وهي مدة ليست بالقصيرة (٢١٣ هـ - ٢٣٠ هـ = ٨٢٨م - ٨٤٤م) ، ولا تحدثنا بالشيء الكثير من احوال خراسان نفسها في تلك الفترة ولكن بما اننا نحاول ان نتصور وجود "دولة" طاهرية لذا كان من الضروري ان تستأثر هذه الناحية بالاهتمام .

قد قدمت ان حادثة بابك وقيامه بالثورة بنواحي الجبال في آذربيجان هي التي كانت فاتحة توجيه عبد الله الى المشرق ، بعد الاعمال الحربية التي قام بها في القسم الغربي من

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ٢٢٠

(٢) المستجاد من فعلات الاجواد : ٢٣٢

الدولة ، وانه كان معلق النفس بالبقاء " بالباب " على خلاف ابيه طاهر من قبل ولذلك اشترط على الخليفة ان يسمح له بالعودة الى بغداد حال انتهائه من اعماله ضد بابك .

فأقام بالدينور تسعة أشهر يستعد لقتال بابك ، وفي ما هو ماض في استعداداته ورد الى دار الخلافة كتاب من صاحب نيسابور يذكر ان الخوارج الشراة أغاروا على قرية من قرى نيسابور تسمى الحمراء ، " فأحرقوا وسبوا وقتلوا النساء والاطفال ، فعظم ذلك على المأمون ودعا اسحاق بن ابراهيم وهو خليفة عبد الله بن طاهر على الشرط ويحيى بن اكثم وبعث بهما الى عبد الله وكتب معهما كتابا بخطه الى عبد الله يقسم عليه ان يحول مضربه من وجه بابك الى وجه خراسان ، فامتثل ما أمره به " (١) . وكان ذلك أول عهده بخراسان .

استعد عبد الله بن طاهر للتوجه الى خراسان ، فأرسل الكتب الى من يهمه مكاتبتهم فيما هو مقدم عليه ، وبعث اخاه محمد بن طاهر على مقدمة الجيش ، وانتدب لحرب بابك علي بن هشام ، ولما اطمأن الى هذه الترتيبات لحق بجيشه حتى وصل الى نيسابور . ودلته الاستطلاعات الاولى على أن المنطقة حولها هي "عش المارقة" ، ووجد ان ضبط أمورها أهم بالتقدم من كل شيء ، لانها في نظره أهم كورة من كور خراسان ، وكتب بكل ذلك الى المأمون (٢) . وتسكت المصادر عن طبيعة الاعمال الحربية التي قام بها ضد الخوارج ، ولكن استتباب الامور والامن في زمنه يدلنا على ان الحملات التي قام بها ضدهم كانت ناجحة ، جعلتهم يلجأون الى السكينة مدة طويلة ، هذا اذا لم تكن قد قضت على شوكتهم .

---

(١) الديارات : ٨٩

(٢) المصدر نفسه

وكان أول عمل عمله عبد الله ان خالف سنة الولاة الذين كانوا قبله ، ونظرا لما كان يراه من اهمية كورة نيسابور فانه اتخذ المدينة - نيسابور - عاصمة له دون مرو ، وبنى فيها الشاذياخ والمنارة [١]. والظاهر ان نيسابور اجتذبته فلم يعد يهتم كثيرا بالبقاء "بالباب" قريبا من الخليفة الا حين يعتاده الحنين الى ذلك ، وهكذا تحولت عاصمة خراسان لأول مرة من مرو الى نيسابور .

اما سبب بنائه الشاذياخ فقد تحدث عنه القزويني [٢] ، وذلك ان عبد الله بن طاهر حين قدم نيسابور بعساكره نزلوا في دور الناس غصبا ، فاتفق ان احد الجند قال يوما لرجل من اهل نيسابور يغار كثيرا على زوجته الحسناء : "اذهب بفرسي واسقه ماء" . فلم يستطع على خلافه ولكنه غيرة على امرأته قال لها : اذهبي انت بفرسه واسقيه حتى أحفظ انا أمتعتنا ، واتفق ان رأى عبد الله بن طاهر هذه المرأة فاستغرب الامر لأن مثل هذا العمل لم يكن من شأنها ، فلما سألها عن ذلك أخبرته بالحال ، فعندئذ تنبه للأمر ، ونقل جنده الى ضاحية الشاذياخ ، وبنى هنالك قصرا عجيبا واتخذ بستانا واسعا وبني الجند حوله دورهم ، وبذلك كانت الشاذياخ هي "القصبة" الحقيقية ، وكثرت فيها قصور آل طاهر ، وكانت عظيمة ، كما انشئت لهم قصور في موضع آخر من ضواحي نيشابور ، اسمه "الميان" ، وقد أشار عوف بن محلم في شعره الى هذه المواضع فقال [٣] :

سقي قصور الشاذياخ الحيا	قبل ودامي وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لي بها	ما ان تخطاها صروف الزمن

---

(١) بلدان اليعقوبي : ٢٧٨
(٢) آثار البلد : ٣٩٥ ، ومعجم البلدان "الشاذياخ"
(٣) معجم البلدان "ميان" وصورة الارض : ٣٦٣ - ٣٦٤

وقد أفادت نيشابور من جعلها "عاصمة" فعمرت وكبرت وغزرت وعظمت أموالها ، حتى انتابها الكتاب والادباء بمقامهم بها وطرأ اليها العلماء والفقهاء عند زيارتهم لها [١] .

واهتم عبد الله بن طاهر اثناء ولايته بالناحية العمرانية جملة ، ولذلك تشير الكتب الجغرافية الى قرى انشأها مثل رباط فراوة وكوفن [٢] ، وعلى الاول وقف عبد الله أراضي اسدآباد كما اهتم بضبط نواحي ولايته حتى قال اليعقوبي في وصفه عهده : " وأقام عبد الله بن طاهر على خراسان وأعمالها مستقيم الامر شديد السلطان ، والبلدان كلها مستقيمة اربع عشرة سنة " [٣] .

ويجب ان نذكر هنا ان ولاية عبد الله لم تقتصر على ولاية خراسان وحدها ، بل كانت تشمل ايضا مناطق الري وقومس وجرجان ، وفي لاحق اضيفت الى هذه جميعا ولاية طبرستان بعد القضاء على بابك الخرمي [٤] . ولذلك نستطيع ان نقول : " ان " دولة " بني طاهر قد بلغت اقصى الاتساع في زمن عبد الله ، حتى أصبح هو " حاكم المشرق " الذى يتصرف بشؤونه ، وتعتمد عليه الخلافة اعتمادا كليا في الاحتفاظ به وبالولايات المصاقبة له هادئة موالية لها .

وهذه الولاية الواسعة التي تجاوزت خراسان ، كانت تدرّ دخلا كبيرا ، وقد رأينا في تقديرات كتاب الخراج مبلغ الفرق بين ما كان يجبيه طاهر بن الحسين وما يجبيه ابنه عبد الله ، وكل هذا الدخل ، كان تحت تصرف عبد الله بن طاهر ، ينفقه في شؤون الولاية ،وفي

---

(١) صورة الارض : ٣٦٣ - ٣٦٤
(٢) معجم البلدان هاتين المادتين
(٣) الاعلاق النفيسة : ١٧٠
(٤) معجم البلدان مادة " طبرستان "

تشجيع العمران والعلوم والآداب ، فلا غرابة اذا ازدهرت نيسابور خاصة وولاية خراسان والاعمال المضافة اليها في ايامه .

٦– اعمال عبد الله بن طاهر في تأمين المشـرق للدولة العباسـية :

لقد بايع عدد غير قليل من حجاج خراسان سنة ٢١٩ هـ = ٨٣٤م محمد بـن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام بالمدينة لحسـن سيرته وساروا جميعا الى جورجان فعظم اصحابه وأظهر أمره بالطالقان ، واجتمع اليه هناك ناس كثيرون وحدثت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالهـا فانهزم هو واصحابه واخيرا أخذه عامل نسـا وبعثه الى عبد الله بن طاهر حيث سيره الى المعتصم .

وكان الافشين ايام محاربة بابـك لا تأتيه هدية من اهل ارمينية وآذربايجان الا وجه بها الى اشروسنة فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر ويكتب عبد الله الى المعتصم يعرفه الخبر ،فكتب المعتصم الى عبد الله يأمره باعلامه بجميع ما يوجه به الافشين ففعل عبد الله ذلك . فأنفذ الافشين مرة مالا كثيرا فبلغ اصحابه الى نيشابور فوجه عبد الله بن طاهـر ففتشهم فوجد المال في أوساطهم بالهمايين ، فقال : من أين لكم هذا المال ؟ فقالوا : للأفشين ، فقال عبد الله كذبتم ، لو أراد اخي الافشين ان يرسل مثل هذه الهدايا والاموال لكتب يعلمني ذلك الامر بتسييره وانما انتم لصوص وأخذ المال فأعطاه الجند ، وكتب الـى الافشين يذكر له ما قال القوم وقال : انا أكره ان تكون وجهت بمثل هذا المال ولم تعلمني وقد أعطيته الجند عوض المال الذي يوجه الي أمير المؤمنين ، فان كان المال لك ، كمـا زعموا ، فاذا جاء المال من عند أمير المؤمنين رددته عليك ، وان يكون غير هذا فأمـير

المؤمنين أحق بهذا المال ، وانما دفعته الى الجند لأني أريد أن أوجههم الى بلاد الترك . فكتب اليه الافشين : ان مالي ومال أمير المؤمنين واحد . وسأله اطلاق القوم فأطلقهم . فكان هذا سبب الوحشة بينهما . وجعل عبد الله يتتبعه ، وكان الافشين يسمع من المعتصم ما يدل على انه يريد عزل عبد الله من خراسان فطمع الافشين في ولايتها ، فكاتب مازيار يحسن له الخلاف ظنا منه انه اذا خالف مازيار عبد الله عزل المعتصم عبد الله من خراسان واستعمل الافشين عليها . وكان سبب عصيان مازيار المعتصم هو ان مازيار كان منافرا عبد الله بن طاهر لا يحمل اليه خراجه ، وكان المعتصم يأمره بحمله الى عبد الله . فيقول مازيار : لا أحمله الا اليك ، فكان المعتصم ينفذ من يقبضه من اصحاب مازيار بهمدان ويسلمه الى وكيل عبد الله بن طاهر يرده الى خراسان . فعظم الشر بين مازيار الذى كان على طبرستان وعبد الله بن طاهر الذى كان على خراسان ، فكاد عبد الله يكتب الى المعتصم حتى استوحش من مازيار فلما ظفر الافشين ببابك وأظهر المودة لمازيار وحرّض مازيار على الخلاف مع عبد الله بن طاهر ترك مازيار الطاعة ومنع جبال طبرستان ، فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربته وكتب الافشين الى مازيار يأمره بمحاربة عبد الله ، وأعلمه انه يكون له عند المعتصم كل ما يحب ولا يشك الافشين ان مازيار يقوم في مقابلة عبد الله ومقاتلته وان والمعتصم يحتاج الى انفاذه وانفاذ عساكر غيره وهكذا وقعت الواقعة بين عبد الله بن طاهر ومازيار وأرسل عبد الله عدة جيوش لمقابلة مازيار وكان على هذه الجيوش الحسن بن الحسين بن مصعب ، عم عبد الله ، الذى ذهب الى جرجان في جيش كثيف ، وحيان بن جبلة في ٤ آلاف الى قومس ، ومحمد بن ابراهيم بن مصعب ، اخو اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، وغيرهم . ثم أردفهم عبد الله بمحمد بن الحسن بن مصعب ، عمه الآخر . وحدقت الخيل بمازيار من كل جانب وحاربوا كثيرا . واخيرا أسر مازيار وسير

الى المعتصم بسامراء فضربه ٤٥٠ سوطا حتى مات وصلبه الى جانب بابك وذلك سنة ٢٢٥ هـ = ٨٣٩م ٠

وحبس الافشين في سامراء واستنطقه محمد بن عبد الملك الزيات ثم ابن ابي دواد واخيرا بعث اليه المعتصم بطبق فاكهة ، فأكل منها ولم يلبث بعد ذلك الا قليلا حيث مات فأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس ثم ألقي وأحرق بالنار وذلك في شعبان ٢٢٦ هـ الموافق ٨٤٠م ٠

٧— وفاة عبد الله بن طاهر :

واستطاع عبد الله بن طاهر بسياسته الحربية الدقيقة من اخماد الثورات المناوئة لمركز الخلافة وتأمين المشرق للدولة العباسية بحيث جعل المعتصم يحبه بدلا مما كان يكرهه سابقا ٠ وتوفي عبد الله بعد أن وطد الامور وقمع الثورات المناوئة ومات وهو ابن ثمان واربعين وهو أمير خراسان وكان اليه الحرب والشرطة والسواد والرى وطبرستان وكرمان وخراسان وما يتصل بها ، وكان خراج هذه الاعمال يوم مات ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ٠

---

(١) الكامل في التاريخ وتاريخ الطبرى ومروج الذهب (حوادث سنة ٢١٩ وسنة ٢٢٤ — ٢٢٦ ٠

٣- ابو عبد الله [١] طاهر بن عبد الله بن طاهر

(٢٣٠ هـ - ٢٤٨ هـ = ٨٤٤م - ٨٦٢م)

بعد ان قضى طاهر بن عبد الله فترة من حياته في بغداد وهو يتولى رئاسة الشرطة فيها [٢] ، انتقل الى خراسان في ولاية ابيه ، فلما دنت وفاة ابيه أوصى له بتولي خراسان وسجستان من بعده [٣] . وهذا يدل على أن عبد الله بن طاهر استقل برأيه في من يخلفه ، أو لعله أراد من ابنه أن يضبط الامور حتى يرى الخليفة رأيه في من يوليه بعده .

ولما بلغ خبر وفاة عبد الله بن طاهر الى بغداد وكان الخليفة يومئذ هو الواثق (٢٣٠ هـ = ٨٤٤م) أشار عليه محمد بن عبد الملك الزيات ان يعهد بخراسان الى شخص آخر من الطاهريين هو اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، وفعلا اقتنع الواثق برأى ابن الزيات وزيره ، ولكن المنافسة بين ابن الزيات واحمد بن ابي دواد جعلته يعدل عن ذلك ، ويميل الى رأى ابن ابي دواد ، اذ كان رأيه ان الطاهريين لبعدهم من دار الخلافة قد يميلون الى الاستقلال والانفصال وان بقاء اسحاق بن ابراهيم - وهو احد كبارهم - في بغداد انما هو بمثابة رهينة في يد الخليفة ، ولندع احمد بن ابي دواد يقص خبر هذه الحادثة كما رواها الشابشتي في الديارات ، قال : " وجه الي الواثق فحضرت الدار فرأيت محمد بن عبد الملك واسحاق بن ابراهيم جالسين ومحمد يكتب الكتاب، فلما رآني قلّبه ، فتفاءلت ان الذى هما فيه سَيُقلب ، ودخلت الى الواثق فذكر لي خبر وفاة

---

(١) كذا كناه المرزباني في معجم الشعراء : ٤٦٢ وفي تاريخ سيستان : ٢٠٥ ان كنيته ابو الطيب .
(٢) المحبر : ٣٧٦
(٣) تاريخ سيستان : ١٩١

عبد الله بن طاهر وانه قد عمل على اخراج اسحاق بن ابراهيم الى خراسان وان يضم اليه خمسة آلاف رجل من الجند ويطلق ارزاقهم وان يطلق لاسحاق خمسة آلاف درهم معونة . فقلت : يا امير المؤمنين ، اسحاق رهينة القوم عندك ، فان أخرجته لم يكن في يدك من القوم شيء ، والجند ، فانت محتاج الى الزيادة فيهم ، فكيف تفرّقهم ، لا سيما مع ما ينفق فيهم ، واخراج هذه الاموال لا وجه له . وها هنا ما هو خير من ذلك . قال الواثق : وما هو ؟ قال بن ابي دواد : طومار (١) بدرهمين نكتب فيه الى طاهر بن عبد الله بالتعزية من ابيه وبتجديد الولاية له ، وتربح ما تنفقه ، وتكون قد أتممت الصنيعة عند عبد الله وولده وأحسنت الخلافة فيه . فقال الواثق : الصواب ما قلت ، وأمر عبد الملك بذلك والاضراب عما كان عمل عليه (٢) .

ويذكر اليعقوبي في تاريخه ان العهد بالولاية وصل الى طاهر سنة ٢٢٧ هـ وهذا التاريخ لا يصح لأن وفاة عبد الله والده كانت سنة ٢٣٠ هـ ، وقد بقي طاهر واليا بقية حكم الواثق وايام خلافة المتوكل والمنتصر وبعض خلافة المستعين ، وكانت مدة ولايته ثماني عشرة سنة (٣) ، كان في بعضها في صراع مع الشراة الذين يهاجمون المدن ويقطعون الطرق ويسلبون المارة ، وكان كلما قمع ثورة قامت ثورة اخرى (٤) . هكذا يقول صاحب تاريخ سيستان ،

---

(١) الديارات : ٩١

(٢) المصدر نفسه

(٣) البلدان لليعقوبي : ٣٠٧

(٤) تاريخ سيستان : ٢٠٥

ولكن اليعقوبي يذكر انه كان "مستقيم الامور" — ولعله يعني انه كان كذلك في ولائه للدولة العباسية ، وكذلك كان فعلا لا يرد أمرا من أوامر الخليفة . كتب اليه المتوكل انه اذا ورد علي بن الجهم عليه يصلبه يوما ، فلما وصل بن الجهم الشاذياخ حبسه طاهر ثم أخرجه وصلبه مجردا نهارا كاملا ثم أنزل (١) . كما أطاع طاهر بن عبد الله المتوكل في قطع سروة بست بقرية كشمير الوحيدة في الدنيا وحملها الى حضرة الخليفة على ثلاثمائة جمل ، غير مبال بضجيج الناس وعويلهم وبكائهم ، ضاربا رغبة الشعب عرض الحائط حتى انه رد ما ضمنوا له من المال لينصرف عن قطعها لانه لم يجد بدا من الامتثال (٢) .

وكان طاهر بن عبد الله يحب العلماء ويحترمهم كما يحترم أساتذته كما سنرى عند دراسة الحياة الادبية والعلمية . ولما توفي طاهر في رجب سنة ٢٤٨ هـ بمدينة نيسابور كان له من العمر اربع واربعون سنة (٣) .

---

(١) البلدان : ٣٠٧ ، وفيات الاعيان : ٣ : ٤٠٢

(٢) ثمار القلوب : ٥٩٠

(٣) البلدان : ٣٠٧

٤ — ابو العباس محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر

(٢٤٨ هـ — ٢٥٩ هـ)

لما توفي طاهر بن عبد الله ، كان اصحاب المستعين ، من الاتراك ، قد أفـرخ روعهم ، ودبروا ان يخرجوا محمد بن عبد الله بن طاهر الى خراسان من العراق ، فقـال المستعين لمحمد بن عبد الله ان ينفذ الى خراسان . قال له محمد : ان اخي قد أوصى الي ابنه ، ولا آمن أن يكون في خروجي فساد البلد . فكتب المستعين الى محمد بـن طاهر بن عبد الله بولاية خراسان مكان ابيه [(١)] . وتوفي المستعين سنة ٢٥٢ هـ = ٨٦٦م فجاء المهتدى وأقر محمدا مقامه وذلك سنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٨م ، وكذلك فعل المعتمـد سنة ٢٥٧ هـ = ٨٧٠م .

وكان يعقوب الصفارى من الذين يحاربون الشراة بادئ أمره ، ثم قويت شكيمته وأخضع مدنا وبسط سلطانه فقرر القضاء على محمد بن طاهر [(٢)] . ومن الاسباب التي تذرّع بهـا يعقوب للقدوم الى نيسابور لجوء عبد الله السجزى الذى كان قد هرب منه ولجأ الى محمـد بن طاهر ، فأرسل يعقوب يطلب الى محمد تسليمه ، فلم يفعل ، فسار يعقوب نحوه الـى نيسابور [(٣)] . ولعل هناك عاملا آخر وهو ضعف محمد بن طاهر وخوفه من محاربة يعقوب ، وميل خاصته الى يعقوب ، وتهوين أمر يعقوب على محمد [(٤)] مع وجود بعض الاصـحاب المخلصين الذين ظل بعضهم على ولائه له حتى بعد قدوم يعقوب [(٥)] ، وقد استغل يعقوب

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٩٤ وتاريخ سيستان : ٢٠٥
(٢) تاريخ سيستان : ٢٢٥
(٣) الكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٨
(٤) المصدر نفسه : ٣٦٩
(٥) تاريخ البيهقي : ٢٧٠ — ٢٧١

اضطراب الامور على الطاهريين بخروج الحسن بن زيد الطالبي بطبرستان [1] ، ومقتل عدد من العلويين الذين ثاروا في جهات مختلفة من خراسان ، مثل جعفر بن محمد بقرية من قرى الري ، ومحمد بن عبد الله بن السرى وقزوين [2] .

ولما قبض يعقوب على محمد بن طاهر ، قيده وحمله [3] واهل بيته ، وكانوا نحوا من مائة وستين رجلا ، الى سجستان وسجنه في مسجد الجمعة [4] هناك وذلك سنة ٢٥٩ هـ الموافق ٢٧٢ م ، فكانت ولاية محمد بن طاهر الثاني احدى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام [5] . وظل سجينا بسجستان الى أن قصد يعقوب فارس سنة ٢٦١ هـ فحمل محمد بن طاهر معه مقيدا [6] وقصد بغداد ليحارب الخليفة سنة ٢٦٥ هـ = ٨٦٨ م فحمله كذلك [7] ، كأنه يريد الناس ليعتبروا بمحمد ، ولما حارب الخليفة وانهزم يعقوب ومن معه وقتل منهم خلق كثير ، أطلق محمد بن طاهر من حديده وخلع عليه وأنزل دار عمه ، محمد بن عبد الله المتوفي ، ورد اليه عمله بخراسان وأطلق له خمسمائة ألف درهم [8] .

---

(١) البلدان لليعقوبي : ٣٠٨ والكامل ٥ : ٢١٧

(٢) مقاتل الطالبيين : ٦٧١ - ٦٧٩

(٣) الكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٨ وتاريخ سيستان : ٢٢١

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٩

(٦) تاريخ سيستان : ٢١٦

(٧) شذرات الذهب ٢ : ٢٣١ والديارات : ٨٣ وكلاهما بشيء من الاختلاف في التاريخ .

(٨) الديارات : ٨٤

ومع أن الخليفة أطلقه ورد اليه عمله بخراسان كوال عليها لم يتوجه اليها لأن شخصيته كانت قد تحطمت وخسر وجهته بعد القبض عليه يطوف البلاد مع يعقوب أسيرا مقيدا [١] . بل ظل بدار السلام ولم يزل مقيما بها حتى مات . وولاه الخليفة شرطة بغداد ، فكان ينوبه الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم المصعبي [٢] ، فكان بذلك يحتفظ - اسميا - امارة خراسان [٣] وشرطة بغداد الى أن مات بها [٤] سنة ٢٩٧ هـ = ٨٧٢ م ، ودفن بجوار عمه محمد بن عبد الله بن طاهر [٥] ، وقد قتل على يديه احمد بن الخصيب الذى كان كاتبا لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وذلك سنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م [٦] ، وبذلك زالت دولة الطاهريين بخراسان التي حافظت على ولائها التام للدولة العباسية ، ولم يعد محمد بن طاهر لاسترداد ملكه الا انهم احتفظوا بمنصب صاحب الشرطة الذى كان متداولا بين ابناء ابراهيم المصعبي وطاهر بن الحسين حتى انتهت ذلك أيضا بموت عبيد الله بن عبد الله وذلك سنة ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م ، فطويت بذلك صفحات تاريخ هذه الاسرة التي عاشت قرابة قرن واحد ، وانتهى بذلك حكمهم نهائيا .

---

(١) المنتظم ٦ : ٩٦

(٢) المنتظم القسم الثاني من ٥ : ٨١

(٣) نفس المصدر والنجوم الزاهرة ٣ : ٦٥

(٤) المنتظم ٦ : ٩٦ وشذرات الذهب ٢ : ٢٣١ وتاريخ بغداد ٥ : ٣٧٧ والنجوم الزاهرة ٣ : ١٧٧

(٥) تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٧

(٦) الفهرست : ١٢٤

الفصل الثالث

نظرة في الدولة الطاهرية

الفصـــــل الثالث

نظـــرة في الدولـــة الطاهــــرية

تولى خراسان من الطاهريين خمسة ولاة ، فكان يتتابع افراد من اسرة واحدة على حكمها مع استقلالهم النسبي في تصريف أمورها ، هو الذى يجعلنا نعد الطاهريين " دولة " هذا على ولاء افرادها جميعا للخلافة العباسية ، وقد مر بنا كيف استغل هؤلاء الولاة في التصرف بأمور خراجها ، وكان يبلغ في مجموعه اربعين مليون درهم ، بل كانت الدولة ترضى منها بالهدوء دون أى شيء آخر ، بل هي تزودها بمبلغ من المال يبلغ احيانا ثلاثة عشر مليون درهم سوى الهدايا ، وتؤيد قوة الوالي فيها احيانا بجيش من عندها • ولكن قوة آل طاهر في خراسان كانت ايضا مستمدة من قوة الخليفة في بغداد ، لهذا كان الطاهريون في ابان حكمهم قادرين على تعقيب الشراة والخارجين على الدولة ، ولكن ظهور الصفاريين كقوة جديدة تتحدى الخلافة العباسية نفسها أثبتت ان الطاهريين لم يكونوا من القوة بحيث تقوى في مواجهة الصفاريين دون عون الخلافة •

ولو حاولنا ان نتلمس الاسباب التي أدت الى زوال الدولة الطاهرية لوجدنا هــذا السبب في طليعتها • فالدولة الطاهرية لا تستمد القوة من ذات وجودها في خراسان ، بل تستمد قوتها من سند الخلافة العباسية لها ، فاذا ضعف السند امام ثائر قوى ضعفت الدولة التي تعتمد على عونه ، ولكن يضاف الى ذلك ان الطاهريين أفنوا كثيرا من قوتهــم في تعقيب الشراة والخارجين ضد الدولة ، لا في ولايتهم وحسب بل الولايات المجاورة التي كان يندبهم الخليفة لتهدئة الثورات فيها ، وربما قدّرنا ان هذه الثورات قد كانت امتحانــا

عسيرا للجيش المستأجر ، وان هذا الجيش لم يكن يحمل من الاخلاص في نفوس افراده مما يشجعه على اخماد تلك الثورات دائما .

أضف الى ذلك ان كثيرا من الخارجين على الدولة العباسية في الولايات الشرقية كانوا من العلويين ، ففي ايام عبد الله بن طاهر خرج محمد بن القاسم العلوى بالطالقان يدعو للرضا من آل محمد فندب له الخليفة المعتصم لمحاربته ، حتى قبض عليه (١)، ثم خرج في ايام عبد الله ايضا يحيى بن عمر العلوى فقبض عليه عبد الله بن طاهر وسلمه الى عمر بن الفرج الرخجي فضربه ثماني عشرة مقرعة وحبسه بالمطبق ، ثم أطلق سراحه فعاد الى دعوته فقبض عليه احد الطاهريين وقتله (٢) ، ويحيى بن عمر هذا هو الذى رثاه ابن الرومي بجيميته المشهورة .

وفي أيام طاهر بن عبد الله خرج علوى آخر هو ابراهيم بن محمد فقتل (٣) ، وثار جعفر بن محمد العلوى بالري فقتله والي طاهر هناك (٤) ، كما قتل يحيى بن علي بقرية من قرى الري ، الى غير ذلك من احداث كلها تشير الى ايقاعهم بالعلويين ممن خرج على الخلافة العباسية . وهذا نفسه قد باعد الشقة بين آل طاهر الحكام وبين الناس المحكومين ، اذ لا ريب في ان هناك جهات كثيرة في الولايات الشرقية كان أهلها علوى الهوى وكان يسوءهم ان يتصيّد الطاهريون آل علي دون رأفة بحجة اخلاصهم للدولة . فقد ترضى الدولة عنهم ولكن فئة غير قليلة من الشعب المحكوم اصبحت تتمنى زوالهم ، وعبرت

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٥٧٧
(٢) المصدر نفسه : ٦٣٩ - ٦٦٤
(٣) المصدر نفسه : ٦٧١
(٤) المصدر نفسه

الحكايات الشعبية من مثل هذا الشعور ، اذ يروى لنا صاحب تاريخ سيستان ان يعقوب بن الليث الصفارى حين تخلص من قتل زنبيل في بست خرج الى بعض اطرافها فدخل عمارة لصالح بن النضر قد أخذت تميل الى الخراب ، فقرأ كاتبه على بعض جدران القصر بيتين ترجمها لليث الى الفارسية ، وهي :

صاح الزمان بآل برمك صيحة ... خرّوا لصيحتها على الاذقان

وبآل طاهر سوف يسمع صيحة ... فضبا يحل بهم من الرحمن

فقال يعقوب : لقد أخرجنا الله تعالى الى دار خربة ليطلعنا على مظالم آل طاهر ، يسلطنا عليهم فنكفي المسلمين شرهم (١) .

وهنا يحسن بنا ان نتناول قضية مذهب الطاهريين ، فقد ذكر المرحوم السيد محسن الامين " ان طاهر بن الحسين وذريته كلهم شيعة ، نص عليه ابن الاثير في كتابه الكامل في حوادث سنة ٢٥٠ هـ (٢) ، ولما رجعت الى ابن الاثير وجدته يقول : " والطاهرية كلها كانت تتشيع " (٣) فما هو الصحيح في هذا الصدد ، وأين هذا التشيع من تعقبهم للعلويين والقضاء عليهم خدمة للدولة العباسية ؟

هنا نعود الى محاولة المأمون ان يعهد بالخلافة من بعده لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، اذ يورد البيهقي رواية تدل على ان هذه البيعة لم تتم الا بعد استشارة طاهر بن الحسين ، بل ان طاهرا كان هو الرسول الذى قال لعلي بن موسى : "اني أول

---

(١) تاريخ سيستان : ٢٠٢

(٢) اعيان الشيعة ٣٦ : ٣٢٤

(٣) الكامل في التاريخ (حوادث سنة ٢٥٠ هـ)

من يبايعك بأمر من مولاى أمير المؤمنين واذا بايعك هذه البيعة يبايع معي ١٤٢ ألف فارس وراجل يأتمرون بأمرى ، فمد الرضا عليه السلام يده اليمنى ليتقبل البيعة كالمعتاد فمد اليه طاهر يده اليسرى ، فسأله الرضا : ما هذا ؟ فأجاب : ان يمناى مشغولة ببيعة مولاى أمير المؤمنين ويسراى فارغة ولذلك قدمتها اليك ، فأعجب الرضا بهذا الجواب وتقبل منه البيعة " [١].

وفي كتاب " نسمة السحر " انه لما خرج ابو السرايا العلوى أراد الحسن بن سهل ايفاد طاهر بن الحسين لمحاربته فجاءته رسالة تذكره بتشيّع طاهر وفيها :

أتبعث طاهرا لقتال قوم بحبهم وطاعتهم يدين

فبعث بدلا منه هرثمة بن أعين [٢] .

كذلك نجد اسحاق بن ابراهيم المصعبي (وهو قريب آل طاهر) ينهي يحيى بن هرثمة عن ايذاء علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا ويقول له : " يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله (ص) والمتوكل من تعلم ، وان حرضته على قتله كان رسول الله خصمك [٣] .

كذلك كان علي بن الجهم مولعا بهجاء آل طاهر ، وكان ينسبهم في هجائه الى الرفض [٤] . ويذكر ابن خلكان ان طاهر بن الحسين كان من الشيعة ومن محبي آل البيت [٥].

فما هو وجه الحق في جميع ذلك ؟

---

(١) تاريخ البيهقي : ١٤٨ - ١٤٩
(٢) مقاتل الطالبيين : ٥٣٥
(٣) مروج الذهب ٤ : ١٧١
(٤) طبقات ابن المعتز : ٣٢٠
(٥) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٣

لا ريب في ان سرور طاهر بن الحسين ببيعة الرضا انما كانت صدى لارادة الخليفة نفسه ، والرواية واضحة حين تقول على لسان طاهر : "ان يمناى مشغولة ببيعة مولاى أمير المؤمنين" — ومعنى ذلك ان اخلاص طاهر في الدرجة الاولى هو للمأمون لا لعلي بن موسى الرضا عليه السلام . كذلك لا نستطيع ان نقول ان محاولة طاهر الاستقلال بخراسان كان من اسبابها غضبه لنقض بيعة الرضا ، لأن اسبابها لدينا واضحة معروفة . واذا فرضنا ان طاهرا كان يخفي في نفسه بعض الميل للعلويين فان ظروف الحياة العسكرية والسياسية معا اضطرته لمداراة هذا الشعور وعدم اظهاره وان كل ما غلب على تصرفاته هو الولاء التام للخلافة العباسية . اما خلفاؤه فليس لنا ان نفترض انهم ورثوا شيئا من الميل للعلويين فقد كانوا مثل طاهر لا يقدمون على ارادة الخليفة شيئا ولو كانوا يؤمرون بقتل أى علوى . هذا وان اعتماد الخليفة عليهم في مطاردة العلويين يدل على ثقته بأنهم وقفوا جهدهم على خدمته دون سواه ، وان تنكيلهم بالعلويين ليدل على أنهم لم يكونوا على شيء من الميل الشيعي لآل البيت ، ومن المستبعد ان نفترض بأنهم كانوا يتصرفون في الظاهر بوحي المصلحة ويضمرون عقيدة توالي آل علي عليه السلام . وهذا يفسر لم وجد الطاهريون أنفسهم من بعد في خراسان وليس هناك عطف كبير على دولتهم ، بل استطاع الصفارى ان يستولي على خراسان من يدهم بسهولة . وقد يضيف الى ذلك ان آخر الطاهريين لم يكن من حيث الحزم والسياسة والقدرة على ضبط الامور بمستوى الامراء الذين سبقوه فلم يستطع مقاومة الصافريين ، وزاد من حرج الموقف ان جهوده كانت موزعة ضد عناصر مختلفة من الخارجين على الدولة العباسية . اما الظلم الذى وجه الى الطاهريين فانه قد يعبر عن مشاعر علوية كانت تقاومهم في الخفاء ، كما يعبر عن ضغط أحسه الشعب لأن حروب الطاهرين كانت تكلف نفقات كثيرة ، وكثرة النفقات تؤدى الى وضع الضرائب الباهظة ، وهذا بدوره من أكبر الاسباب التي تثير تذمر الناس .

وقد نتصور ان دولة ابناؤها من الفرس ، وأقامت في بيئة فارسية ، قد أخذت بالتقاليد الفارسية في الحكم وشؤون الادارة والايين وما الى ذلك ، ولكن المصادر لا توضح لنا شيئا كثيرا من هذه الناحية ، ثم ان الاخذ بالتقاليد الفارسية في عهد قيام الدولة الطاهرية لم يعد قاصرا على المناطق الفارسية وحدها بل كانت قد اصطبغت به الدولة وأنظمتها كما اصطبغت به الاجناس المختلفة في شتى انحاء الدولة (وخاصة في العراق والولايات الشرقية) فليس من السهل هنا أن نميّز ما انفرد به آل طاهر في هذا الصدد . الا ان الجاحظ يؤكد لنا ان آل طاهر قد ترسموا التقاليد الفارسية ترسما دقيقا وذلك حيث يقول : " ولا نعلم احدا اقتفى آثارهم (الفرس) الا عبد الله بن طاهر "(١) .

والجاحظ يشير الى المهرجان والنيروز والى الهدايا وما يلبسه الاكاسرة في مثل هذين اليومين والى ما يفرقونه على الناس، ويقول : ان عبد الله بن طاهر كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان " حتى لا يترك في خزائنه ثوبا واحدا الا كساه ، وهذا من أحسن ما حكي لنا من فضائله "(٢) . ولنا ان نعد كثيرا من الشؤون الحضارية التي أخذ بها الطاهريون أنفسهم مستمدة من الفرس، فكان طاهر بن الحسين يهوى اللعب بالصوالجة (٣) - وهي لعبة عرفها القدماء ، وكان عبد الله بن طاهر يحب اللعب بالشطرنج (٤) . وعلى مثل هذا كان ابنه عبيد الله ، وكان ذات مرة يلعب الشطرنج على رهن مقداره خمسون رطلا من الثلج ، فغلب عبيد الله فطلب الى أبي العيناء ان يذهب ليحضر الثلج ، فمضى أبو العيناء مشيرا الى ابن ثوابه وقال له : ان الامير عبيد الله يدعوك ، فلما دخل ابن ثوابه على الامير قال ابو العيناء مشيرا الى ابن ثوابه " قد جئتك بجبل همدان وما سبذان

---

(١) و (٢) التاج في اخلاق الملوك : ١٥٠

(٣) تاريخ بغداد ٩ : ٣٥٤

(٤) الاغاني (ط . دار الكتب) ٥ : ٣٥٣

ثلجا فخذ منه ما شئت »[١] . وشهر عن طلحة بن طاهر غرامه بالصيد بواسطة الجوارح [٢] .

ونقدر ان الخراج الكبير الذى كانت تقدمه ولاية خراسان قد مكن الطاهريين — بعد الانفاق على الجيش وشؤون الادارة — من الاهتمام بالمنشئات العامة والخاصة ، وقد أشرنا الى شيء من هذه المنشئات فيما سبق ، وهنا نتوسع بعض الشيء في الحديث منها .

فقد كانت للطاهريين خزانة للكتب عامرة تجمع عددا كبيرا من الكتب النفيسة النادرة ، وتعد الوحيدة من نوعها [٣] ، وقد تكون هذه المكتبة تأسست قبل عهد عبد الله بن طاهر ، ولكنه يعزى اليه الفضل في أنه جعلها عامرة جليلة [٤] ، وكانت هذه الخزانة تحتوى على نسخة من كتاب العين [٥] .

وقد بلغت حركة الطاهريين في الناحية العمرانية أوجها في أيام عبد الله بن طاهر اذا استتب فيه الامن ، وانضبطت الاحوال ، وكان عهد ابيه واخيه طلحة تمهيدا لعهده ، وكان عبد الله نفسه ذا شغف خاص بالعمران ،لا اثناء ولايته على خراسان وحسب ، بل اثناء اعماله الاخرى في خدمة الخلافة . فانه لما فتح كيسوم ، مدينة نصر بن شبيث ، أحدث فيها المياه والبساتين ورمّ ما هدم منها وجدّد عمرانها وأحدث القنوات فيها (سنة ٢٠٩ هـ — ٢١٠ هـ) [٦] ، وفي مصر قام باصلاحات كثيرة ، فزاد في جامع الفسطاط مساحة تعادل مثله [٧] .

---

(١) معجم الادباء (ط . مرجليوث) ٧ : ٦٤
(٢) كتاب بغداد : ٩٣
(٣) الفهرست : ٤٢
(٤) الاغاني ٦ : ١٧٥ — ١٧٦
(٥) الفهرست : ٤٢
(٦) معجم البلدان مادة كيسوم
(٧) الانتصار لابن دقماق ٤ : ٥٩ — ٦٠

وكان عبد الله بن طاهر يجلب النباتات التي لا توجد في منطقة ويأمر بغرسها واستصلاح الاراضي ، فهو الذى أدخل زراعة البطيخ الى مصر حتى صار ينسب اليه ويعرف بالعبدلي [١] ، ولما ولي الاقسام الشرقية ، أى الجبال وآذربيجان اتخذ الدينور مقرا له وبنى فيها قصرا ظل يعرف باسمه الى ايام ابي حنيفة الدينورى الذى رآه ووصفه [٢] ، وفي خراسان - ايام ولايته عليها - تابع هذا النشاط العمراني ، فأنشأ رباطا بموقع فراوة في طريق خوارزم ليقيم فيها المرابطون لحماية البلاد من الاتراك ، وأقام في ذلك الرباط ألف رجل ، ثم توسع هذا الرباط حتى أصبح مدينة [٣] ، كذلك فانه بنى رباط كوفن على ستة فراسخ من ابيورد ، وكان لهذا الرباط جامع في وسطه ، وهو مزود بأربعة أبواب [٤] ، وقد أشرنا فيما تقدم الى قصور له بالشاذياخ وقصور بميان وهي التي ذكرها شاعره عوف بن محلم الخزاعي كما تقدم [٥] ، ولطاهر بن على بن طاهر رباط سمّي باسمه تحوّل من بعد فأصبح مدينة فربر المشهورة بأعنابها [٦] ، أما أثر الطاهريين ببغداد والعراق فانها ايضا كثيرة ، ولكنها خارجة عن نطاق هذا البحث [٧] .

واما عناية الطاهريين باللغة والشعر والادب والغناء وسائر العلوم ، فسوف يتناولها الحديث في فصل آخر .

---

(١) تاريخ بدائع الزهور لابن اياس ١ : ٣٣ ووفيات الاعيان ٢ : ٢٧٤

(٢) الاخبار الطوال : ٤٠٢

(٣) معجم البلدان مادة فراوة

(٤) معجم البلدان مادة كوفن

(٥) فوات الوفيات للصفدى ٢ : ١٤٨ ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٤ ومعجم الادباء ٢ : ٩٨

(٦) بلدان الخلافة الشرقية : ٤٨٦

(٧) معجم البلدان مادة سامراء واللباب لابن الاثير مادة الطاهرى .

الكتاب الثاني

دور الطاهريين في الحياة الادبية

تمهيد في العوامل المساعدة في نشأة الطاهريين وثقافتهم

١- البيئة :

لم يمر على الفتح الاسلامي لايران أكثر من سنتين الا وكانت لغة الاسلام هي الواسطة الوحيدة لنشر الآراء والافكار والعقائد والحركة الفكرية (١) ، اللهم الا عند من تمسكوا بالديانة الزردشتية ولم يدينوا بالدين الجديد وهم قلائل . ودخل الفرس في دين الله افواجا وتعلموا القرآن وما يتصل به من احكام . وكانت خراسان من المراكز المهمة فيقال انه خرج زردشت من الشرق ، وكان الاشكانيون من اقسام ايران الشمالية ومنها شمالي خراسان . ولما أسلم اهلها بدأوا يقطفون ثمار العلم والادب في لغة الاسلام ، وبرز من خراسان جمع كثير من العلماء والفقهاء والادباء وخدموا التراثين العربي والفارسي ، ولمعوا في الحقول السياسية والعسكرية وغيرها ، ولهذا فاننا نرى خراسان هي الاولى التي رفعت راية الاستقلال بعد الفتح الاسلامي ونجحت في ذلك فمنها كان الطاهريون ، والصفاريون والسامانيون وفيها تأسست الدولة الغزنوية والسلجوقية والخوارزمشاهية ومنها خرج كثير من رجال الفكر والادب ومفاخر ايران في الميدان الثقافي لا مجال لذكرهم في هذا الوجيز . والسبب في ذلك هو ان خراسان - كما قلنا - كانت وريثة حضارة عريقة راقية فاحتفظت بما كان لها واضافت الى ما لديها . فلقد كانت بمكتبة رأس الجسر ببخارا كتب جمة قيمة وبينها ديوان شعر باللغة العربية للملك الساساني بهرام كور (٢) الذى نشأ في الحيرة عند المناذرة وبذلك عاشر العرب واتصل بشعراء العصر الجاهلي الذين كانوا يغدون الى بلاط النعمان والمنذر ،

---

(١) التاريخ الادبي لايران - ادوارد براون : ١٧٢
(٢) لباب الالباب - عوفي : ١٩ - ٢١

ورأى هذا الديوان نور الدين محمد بن محمد عوفي البخارى صاحب لباب الالباب ونقل لنا من شعر بهرام أبياتا اربعة في كتابه ، مما يدل على ان خراسان كانت مهد خزائن الكتب قديما وحديثا ، ولم تكن بخارا وحدها صاحبة المكتبات وراعيتها ، فقد كانت — وهي من بلاد الله الواسعة يومذاك — تضم مكتبات نفيسة وبها من الكتب المتقدمة والمتأخرة ، اذ كانت تحتوى على كتب الفرس الاوائل وما قبل الاسلام — ومنها ما تركها يزدجرد قائمة الى ذلك اليوم — ثم الكتب الاسلامية [(١)] . اذ كانت مدن ايران ولا سيما خراسان منها تزخر بالمكتبات ، فنجد ياقوت قد أخذ اكثر ما أراده في تأليف معاجمه للادباء والبلدان كان من خزائن مرو ، وحينما فارقها كانت تضم عشر خزائن لم ير مثلها في الدنيا كثرة وجودة . ففي مكتبة العزيزية اثني عشر ألف مجلد تقريبا ، وخزانة الكمالية ، وخزانة شرف الملك المستوفي ابي سعيد محمد بن منصور في مدرسته ، وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين ، وخزانة في مدرسة العميدية ، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين ، والخزائن الخاتونية في مدرستها والضميرية في خانكاه هناك . وكانت الكتب بهذه المكتبات سهلة التناول ، فقد ذكر ياقوت انه كان لا يفارق منزله منها مئة مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكان يرتع فيها ويقتبس من فوائدها بحيث انساه حبها كل بلد وألهاه من الاهل والولد [(٢)] هذا وان كان يشير الى عصر متأخر عن عصر الطاهريين فانه قد يستأنس به للدلالة على هذه البيئة العلمية التي كانت عليها حال خراسان عامة ومرو خاصة ، ولا شك ان نيسابور كانت تفوق اخواتها من هذه الناحية والنواحي الاخرى فليست هي بالقصية النائية البعيدة المنزوية ، بل تقع في القلب والمركز فهي كملتقى للقوافل من جهة موقعها ، وهي كمصيف من حيث الجمال

---

(١) كتاب بغداد : ٨٧

(٢) معجم البلدان مادة مرو .

الطبيعي والطقس حيث قورن صباحها بمساء بغداد ولطافة لياليها ، فقال الشاعر الفارسي : " على الصباح نشا بور وخفتن بغداد " ، كما لها موقع استراتيجي ايضا ، ثم اتخاذ الطاهريين نيشابور عاصمة لهم كان من أهم العوامل في توسيع هذه المدينة التي احتضنت العلماء في كل فن ، وتأسست بها مدارس ومكتبات وكل معاهد التعليم ، وكان من اساتذة مدرستها فيما بعد الامام الغزالي الذى استقدمه فخر الملك بن نظام الملك الى نيسابور للتدريس بمدرسته [١] . كما انشأ الطاهريون انفسهم مكتبة عظيمة بخراسان [٢] أشرنا اليها من قبل .

وكان من اهل خوارزم علماء فقهاء واذكياء ، كما خرج من طوس ما لا يسع مقالنا ذكرهم ، ومن بلخ وسمرقند وهراة . اما الرى فانها من امهات المدن وواسطة عقدها [٣] وقد ذكرنا هذه المدن لانها كانت تحت نفوذ الطاهريين منذ نشأة دولتهم وضمن رقعتهم وداخل حدود ولايتهم للدلالة على ان الطاهريين نشأوا في مراكز العلم وكانت تتوفر لديهم منابع الثقافة بأنواعها . ولذلك كان لهم النصيب الأوفر في التسلح بسلاح العلم والادب ومسايرة الركب التقدمي في العصر الذهبي يومذاك . اما من نشأ منهم في بغداد فتلك هي العاصمة العباسية وقبلة العلماء والقصاد ومجمع طلبة العلم وأساتذته .

٢- الاسرة الطاهرية ومكانتها :

لم تكن هذه الاسرة خاملة وضيعة ، فقد سبق أن قلنا انها تنسب الى رستم الدستان

---

(١) معجم الادباء (مادة طوس)
(٢) الفهرست : ٤٢٠
(٣) معجم الادباء (مادة خوارزم ، سمرقند ، بلخ ، نيسابور والرى) .

أو الى ملوك بني ساسان . وكان زريق مولى طلحة الطلحات الجواد الاديب فجوده مضرب الامثال وهو أحد اجواد العرب الثلاثة أو الخمسة . ولا نشك في أدبه لأن أباه كان كاتبا على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، فهو الوالي وابن الكاتب حريص على نشر ثقافة الاسلام وتعليم القرآن في البلدان المفتوحة ، فمن هم أقرب اليه من أهله وحاشيته ومواليه ؟ فمعلم زريق الاول — ان لم يكن قبله احد — في العربية كان سيده طلحة ، وانتشر المعلمون والمقرئون في الامصار ، واتصل الفرس بالعرب وتأدب الناس بأدب القرآن وثقافة الاسلام فضلا عن الثقافة الفارسية ، ومع الزمن هجرت الفارسية عند البعض وفقدت قداستها عند البعض الآخر من الذين أسلموا من الفرس ولم يقدّر لها النجاح آنئذ لتقف امام تيار العربية — لغة الاسلام والدين الجديد — الجارف ، كما وجدنا الدواوين قد عربت من قبل صالح بن عبد الرحمن السجستاني مولى بني تميم مع رفضه مئة ألف درهم من الفرس للامتناع عن التعريب [١] . فكان حافز الدين قويا يريدون نشره ونشر لغته مهما كلف الامر لأن الفرس متمسكون بالدين بطبيعتهم وهذا ما أثبته التاريخ [٢] عبر العصور . وعائلة بني طاهر كغيرها من الأسر الفارسية هرعت الى تعلم أدب القرآن ولغة الاسلام ولا سيما اتصالهم بولاة الامور كان عاملا مساعدا في ذلك ولا سيما فان احاطتهم بالعربية وآدابها تعود عليهم بالنعم كالولاية والنيابة كما صار لهم . ولكي يثبتون ولاءهم التام لأسيادهم فقد أقدم بعضهم على ابادة ما تبقى من الكتب التي نجت من أيدى الحدثان فوقعت في أيدى ابن طاهر ، عبد الله ، وآل مصعب الذين كانوا غرس يدى المأمون والخلفاء من بعده كما مر بنا قول المأمون في عبد الله واسحاق بن ابراهيم ، وكانت خراسان ذلك اليوم تعرف العربية جيدا [٣] .

---

(١) الفهرست : ٢٤٢ .

(٢) تاريخ ايران للمستشرق كريستن سن يبحث عن الدين في ايران .

(٣) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٧٧ — ٣٩٧

٣ـ الاتصال بفحول الادب :

وأخذ ابناء طاهر العلم من أفواه الرجال وتدربوا على أيدى اساتذة بارزين لا يقلّون أدبا وثقافة من اساتذة الخلفاء وابناء الخلفاء ، وسنأتي عليهم عند ذكر اخبار كل واحد من ابناء طاهر البارزين وافادتهم من رجال العلم والادب في حضرهم وسفرهم اذ كان كثيرا ما يرافقهم الشعراء والادباء في رحلاتهم سواء في الحرب أو في السلم . فلتقفوا الفصاحة طبعا وبيانا وجلسوا الى الرواة وسمعوا منهم فكان لكل ذلك أثر واضح في خلوص عباراتهم وانطباعهم على البلاغة وتذوقهم للآثار الادبية تذوقا دقيقا ، وفهمهم للحياة الادبية فهما واسعا عميقا وحبهم لهذه الحياة من الناحية العقلية والمعنوية ظاهر في وصاياهم وكتبهم ، ومن الناحية المادية في أشعارهم الغزلية والغناء وفي الجوارى أوضح ، اذ تلقوا صور هذه الحياة عند اساتذتهم ، والرواة والكتب ، والشعراء الذين يتصلون بهم ويمدحونهم أو يهجوهم احيانا والمجالس التي كانت تعقد عندهم أو عند اصحابهم واقرانهم أو مجالس الخلفاء . فأخذوا ورووا وكان يعجبهم ويلذهم حركات العقول ، ويصغون الى النوادر والطرائف وما دق ولطف من المحاورات . فاستطاعوا بذلك ان يداخلوا الشعراء والادباء ويستبطنوهم ، كما استطاعوا اولئك ايضا ان يظفروا بآل طاهر كبيرا الى حد بعيد ويفيدوا منهم .

٤ـ الاندية الادبية :

اذن فانهم احتفظوا بصفتهم العسكرية والادبية معا وظل لهم الحرص على تلقي الادب وفنون العلم والمشاركة في النشاط الادبي في تلك الفترة من الخلافة العباسية . ولا نشك ان دور هؤلاء كانت من الاندية الادبية الممتازة لما كان لها من المنزلة العالية . فقد كان السراة ببغداد يؤلفون طبقة كبيرة تستمتع بالجاه والترف المختلفة . ومن أسر

السراة أسرة آل طاهر أو المصعبيين ، وآل هاشم والربيعيين وغيرهم • فأسرة آل طاهر - والتي نحن بصددها - تعتبر من أول الاسر البغدادية التي كانت تعنى بمجالس الغناء وفن الموسيقى عناية ظاهرة ، كما يؤخذ من اخبار المغنين وخاصة اسحاق بن ابراهيم الموصلي الذى كان من أخص اصدقائهم ومن أكثر الناس صلة بهم •

٥- الاهتمام بالمجالس الغنائية :

وكانوا يهتمون بمجالس الغناء واقتناء الجوارى المغنيات والمباهاة بهن ، وكانوا يعلمونهن الاصوات والالحان فيجدون في هذه المجالس اشباعا لحاجاتهم العقلية وتحقيقا لما تتوثب اليه نوازعهم المستقرة في أعماقهم • كما كانوا يجدون فيها استجابة لروح المنافسة الاجتماعية الموجودة في ذلك المجتمع ، وسنوضح هذه النواحي بالتفصيل في الكلام عن كل واحد منهم •

ولعل طاهرا وابناءه واحفاده واخوانه ووالده وجده مصعب يؤلفون مدرسة أدبية اذا ما عرفنا أنهم كانوا كلهم ادباء ، واذن فنحن امام مدرسة في الادب بفنونه المختلفة من كتابة ونثر ويتمثلان في طلحة ومصعب ابني زريق ، وهما كاتبان في الدعوة العباسية ، ثم شعر ونثر وخطابة وحكم وامثال وتواقيع ، في طاهر وعبد الله وعبيد الله ومحمد وغناء وموسيقى في عبد الله وعبيد الله ومحمد بن الحسن بن مصعب وغيرهم •

الفصل الاول

الادباء والشعراء من آل طاهر في خراسان

١ـ طاهر بن الحسين ذو اليمينين

١- طاهر بن الحسين - ذو اليمينين

١- نظرة في شخصيته :

كان طاهر بن الحسين شجاعا ، أديبا ، له شعور حاد واحساس مرهف ، وكان صبورا على الشدائد ، ومحتملا لها ، لا يتحمل قول الزور ولكنه يتحمل الجوع والعطش كثيرا ويقنع ببسيط المأكول وما يسد جوعه ، يحسن القيادة والتعبئة وتوزيع الجيوش ، وكان بصيرا في الحرب ، دقيقا في رسم الخطط ، يفكر ثم يفعل ويسير على تصميم واضح فاذا دخل المعركة لا تهمه نفسه ولا يهمه شيء سوى بلوغ النهاية والمنال . وكان عاقلا مدبرا له بعد النظر في الامور ، سريع الانتقال في درك الاشياء ، ملمّا بمعالجة القضايا ، موصلا للأرحام ، حافظا للقرابة ومحافظا للصداقة ، محتاطا في الامور ، ذكيا متيقظا ، له احاطة بالقضايا العسكرية في عصره وسوق الجيوش مهيبا يوقع الرعب في قلوب اعدائه ، لينا مع الاحبة ، ابيا لا يتحمل انانية غيره وقصد السوء والغدر والنكاية حساسا لا تقبل نفسه التوهين والهجاء حتى من علي بن عيسى بن ماهان والمأمون والامين ، فكيف من صغار الناس؟ وكان عالي الهمة [١].

هذه الصفات بمجتمعها في شخصية طاهر بن الحسين هيأت له المقدرة - بمساعدة الظروف - حتى برع في قيادته وحروبه ، ونجح في تربية أولاده على فنون الحرب وفنون الادب وانما فقد حياته لابائه وأنفته ، ولمع اسمه على رأس قائمة آل طاهر في كلا المظهرين السياسي والادبي وخلّد اسمه في التاريخ .

---

(١) العقد الفريد ٢ : ١٩٦

٢- نشـــأته وثقافتـــه :

ولد في بوشـــنج عام ١٥٨ هـ = ٧٧٤ م ونشأ بها وترعرع ولم يدخل بغداد الا بعد مقتل الامين [١] ، فانه وان لم يقض صباه وأول شبابه في بغداد ولكن العصر ذلـك كان عصر القوة والرخاء والعلم والادب وعصر بني العباس الذهبي سواء في العاصمة أو في ما يتبعها من الولايات .

وليس بين أيدينا ما يشير الى طفولته ود ور صباه وليس هناك من اخبار عن حياتـه الاولى ما يعنينا على الاطلاع والاخبار عن تلك المرحلة الخطيرة من مراحل تكوينه الفكـرى والنفسي . فلعله دخل احد الكتاتيب في بوشـــنج أو تعلم على احد من شيوخ البلدة وحضر حلقات المسجد ثم المجالس التي يشترك فيها والده مع الشخصيات الاسلامية مـــن قادة وشيوخ ورجال خراسان ذلك اليوم وكانوا كلهم يعرفون العربية جيدا . وكان طاهر نفسه محدثا ، فحدث عن عبد الله بن المبارك ، وعن عمه علي بن مصعب وروى عنه ابنـاؤه عبد الله وطلحة [٢] .

ولكننا لا نعلم على التحقيق عن كيفية تعلمه ولا اصل امه وتربيتها ، ولا معلميه فـي بلده ولا اترابه ولداته في صباه ، ولا غير ذلك من العوامل التي لها الشأن الاكبر في تربية الملكات ، وتلقين الاخلاق والعادات التي ينشأ عليها الفتى فتطبع حياته بطابع خاص ، تتعذر في عقود العمر الآخرة احالتها واستحالتها ، ومن المعقول ان يكون قانون الوراثـة أورثته خصائص دم وحكمتها ، ونظامها وأدبها ، وضم اليها الثقافة العربية ، فجـــاءت

---

(١) تاريخ سيستان : ١٧٢ وكتاب الحيوان للجاحظ ٣ : ٣٢٧ والتاج في اخلاق الملوك : ٣١

(٢) تاريخ بغداد ٩ : ٣٥٣

منازعه خليطة نافعة ومداركه متينة رصينة .

وكان طاهر بن الحسين يحب مصاحبة اهل الادب والعلم ويأنس بهم فيجالسهم ويقربهم اليه فيتزود منهم في سفره وحضره [١]. ومن أحسن ما يروى في هذا هو انه لما نزل طاهر بمرو حين مضى الى خراسان ، طلب رجلا يحدّثه ليلة ، فقيل له : ما ها هنا الا رجل مؤدب ، فأدخل عليه ابو عبيد القاسم بن سلام ، فوجده أعلم الناس بأيام العرب وبأيام الناس والنحو واللغة والفقه . فقال له طاهر : " من الظلم تركك انت بهذا البلد " . فدفع اليه ألف دينار وقال له : انا متوجه الى خراسان الى حرب ، وليس أحب استصحابك شفقة عليك ، فانفق هذا الى أن أعود اليك . ولما عاد حمله معه الى سرّ من رأى ودخل بغداد [٢] .

وكان منهجه في تأديب ابنه لا يختلف من منهج يحيى بن خالد البرمكي الذى بعث الى الفضل يقول له : " عاود ما هو أزين بك ، فانه من عاد الى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه اهل دهره الا به " ، وكان قد بلغ يحيى ان ابنه متشاغل بالصيد واللذات وهو وال على خراسان ، فلما ورد الفضل كتاب والده لزم المسجد والجد طيلة النهار [٣].
أما عبد الله بن طاهر بن الحسين فكان قد انصرف ليلة من دار المأمون وقد غلب عليه النبيذ فبات في القبة الطاهرية من دار طاهر بمدينة السلام ، وكان أبوه بخراسان ، فتعلق طرف من الخيش [٤] وقد يبس بالشمعة ، فاحترقت القبة واحتمل عبد الله فأخرج منها . واتصل الخبر بطاهر ، فكتب الى عبد الله يعذله ويؤنبه ويقول : " لو ورد الخبر

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٨٦
(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥
(٣) وفيات الاعيان ١ : ٤٠٩ ومروج الذهب ٢ : ٢٨٢
(٤) نسيج من الكتان .

بوفاتك كان أسهل علي من وروده بفضيحتك ، وان يبلغ بك النبيذ مبلغا لا تحس معه باحتراق موضع انت فيه " . وأمره بالتجهز والخروج اليه . فأقلق عبد الله ذلك وكتمه جميع الناس وختم الكتاب وجعله تحت مصلاة وتبين الهم عليه . فسأله المأمون عن خبره فكتمه . ثم سأل من يخصه ، فأعلمه ان كتابا ورد عليه لا يعلم ما فيه . فأقسم عليه المأمون في احضار الكتاب ، فأحضره . فكتب المأمون الى طاهر كتابا ، فصفح طاهر عن ابنه [1]. هكذا كان طاهر يريد ابناءه ليعيشوا ولا يريد اشتغالهم بالشرب واللذات . ولتفكير انساني كهذا يحق ان يبقى مخلدا في صفحات التاريخ ما دام التاريخ حيا . ففضائل الانسان بمعالمه الانسانية . وبمطالعة نثره (رسائله وتوقيعاته وخطبه وأقواله) وشعره يتبيّن لنا فصاحة لسانه وبلاغة كلامه وأدبه الجم . ولقد عد البعض كتابه الرسالة أو الوصية الدينية والشرعية والسياسية في عداد المؤلفات والكتب .

٣- نثـــــره :

ويشمل هذا رسائله وتوقيعاته . ولطاهر بن الحسين رسائل عدة ، منتشرة في كتب التاريخ كالطبرى والكامل في التاريخ وتاريخ ابن خلدون الكبير وكتب الادب وكذلك توقيعاته . جمع ابن عبد ربه بعض ما توصل اليه منها ، وأقوال وخطب وحكم في مواقفه الحربية وأيام ولايته وقضائه . استطاع بعض المؤلفين القدماء أن يحفظوا لنا من ذلك ما أمكنهم . وكان من هؤلاء ابو حنيفة الدينورى وابو حيان التوحيدى وغيرهما [2] . واستطاع الدكتور صفوت في جمع شتات هذه الرسائل والتوقيعات بنسبة كبيرة وحفظها بصورة مجموعة في كتابه النفيس "جمهرة رسائل العرب" فأورد لطاهر بن الحسين ست قطع جزلة قوية كما أورد لعبد الله

---

(١) الديارات : ٨٦
(٢) الكامل في التاريخ وتاريخ الطبرى (حوادث سنة ٢٠٦ هـ) والعبر وديوان المبتدأ والخبر ١ : ٥٤٦ — ٥٩٩ ، كتاب بغداد : ٢٦ — ٣٤ ، اعلام النبلاء ١ : ١٩٥ العقد الفريد ٤ : ٢٢١ ، الاخبار الطوال : ٣٩٧ — ٣٩٨ ، البصائر والذخائر : ٦٩

بن طاهر ومحمد بن عبد الله وطاهر بن عبد الله وعبيد الله بن عبد الله . اما ما أورده ابن عبد ربه في " كتاب التوقيعات والفصول " فهي جملة كبيرة رائعة من التوقيعات وفصول العتاب والشكر وحسن التواصل والبلاغة وغيرها . وما ذكره الجهشيارى الذى يعنى عناية فائقة بالوزراء وكيف وصلوا الى مناصب الوزارة والاعمال الجسام التي قاموا بها ، وما اثر منهم من أدب رائع يستحق التبجيل والتسجيل فأورد تحفا غالية من الادب الرفيع . وسنعرض هذه النماذج الممتعة ـ كلها أو بعضها ـ القوية البيان ، الرصينة الاسلوب ، الحلوة العبارة وكلها من الجمان الرائع الفذ الفريد .

ولم يبق من طاهر سوى ما ذكرناه ولم يذكر له كتاب سوى كتاب الوصية الدينية والسياسية والشرعية ولعله هو الرسالة بعث بها الى ابنه عبد الله حين ولّاه المأمون أمر محاربة نصر بن شيث بالشام ـ والذى سميناه بالدستور الطاهرى ـ فلما رأى الناس هذا الكتاب تنازعوه وكتبوه وشاع أمره وبلغ المأمون خبره فدعا به فقرئ عليه . فقال : ما أبقى أبو الطيب ، يعني طاهر بن الحسين شيئا من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أوصى به .وأمر المأمون فكتب به الى جميع العمال في النواحي (١) .

ولعل الكتاب كان كبيرا بحيث عدّوه ضمن الكتب كما عدّوا صاحبه من جملة المؤلفين لأنّ ما نقله لنا ابن الاثير في كامل تاريخه هو بعض الكتاب وانه ثبت منه أحسنه (٢) . واننا نورد من هذا الكتاب نتفا لبيان اسلوبه وفهم محتواه . فانه كتب الى ابنه وقد بدأ باسم الله تعالى وأمره بتقوى الله وحده لا شريك له . ثم يأمره بحفظ الرعية وذكر المعاد ،ويأمره

---

(١) ايضاح المكنون عن أسامي الكتب والفنون في الذيل على كشف الظنون ٢ : ٧١١ ، وهدية العارفين ٦ : ٤٢٩

(٢) جمهرة رسائل العرب (الجزئين الثالث والرابع) ، ومعجم المؤلفين ٥ : ط .

بالعدل بين الرعية ، ومواظبة الفرائض والواجب الديني ، والاقتفاء بالسلف الصالح بعد الاخذ بسنن الرسول ، وايثار الفقهاء وكتاب الله والحث عليه ، ثم يأمره بالاقتصاد في الامور لا الافراط ولا التفريط ، وان لا يتهم احدا قبل أن يكشف أمره " فان ايقاع التهم بالبداء (وفي الطبرى بالبراء) والظنون السيئة بهم مأثم " . ثم يأمره بحسن الظن بالاصحاب . فان فيه " قوة وراحة " ، والرأفة بالرعية والنظر في حوائجهم واخلاص النية ويذكرهم بأنه " مسؤول عما صنع عند الله تعالى . ويأمره بالايفاء بالعهد ، وقبول الحسنة والاغماض من عيوب الرعية وقول الصدق ، واقصاء اهل النميمة ، ومواساة الضعيف وصلة الرحم ، وايثار الوقار والحلم والحذر من الحدة والطيرة والغرور ، واصلاح أمور الرعية ومعاشهم ، وعدم موالاة الفاسق وتحقير الانسان ورد السائل الفقير وخلف الوعد والاسراع الى سفك الدماء .

وخلاصة الكلام انه يحثه في هذه الوصية أو الرسالة بالعمل الصالح والحذر مما هو ذنب وقبيح . وفي آخرها ينصحه ثانية بالاعتصام بأمر الله تعالى . ثم يدعو له ويسأل الله ان يحسن عونه ورشده وتوفيقه وكلاءته ويختم رسالته .

والرسالة هذه وغيرها من رسالاته وتواقيعه في غاية البلاغة وجزالة الالفاظ مع سهولة العبارة وعذوبتها لا يسأم قارئها ولا يمل من اطنابها لأن الاطناب في موضعه حسن والايجاز في مقامه مستحسن .

وبقراءة رسالة طاهر هذه يتبين لنا مقدار ثقافة الرجل ومعرفته وقدرته على الكتابة واسلوبه النثرى ومنزلته الادبية ونوع تفكيره ودرجة اخلاقه فان المرء مخبوء تحت لسانه . وهنا تبدو معارفه الاجتماعية وما له من أدب رفيع . وله غيرها رسائل عدة منها ما كتبه لابراهيم

بن المهدي عندما فتح بغداد [١] . وكتب اليه بعض عماله كتابا وفيه : " قد وجهت الى الامير ثوب ديباج أحمر أحمر أحمر . فكتب اليه طاهر : " قد قرأت كتابك فعلمت انك أحمق أحمق أحمق ، فأقدم أقدم أقدم والسلام " [٢] . وكتابه الى المأمون بعد قتله علي بن عيسى [٣]، وكتابه بعد خروجه الى خراسان الى ابنه عبد الله ، وكان ببغداد ، حين غلب عليه النبيذ في مجلس المأمون [٤] ، وكتابه الى أبي عيسى بن الرشيد [٥] ، وكتابه الى المأمون حينما حمل الى مرو رأس الامين [٦] ، وكتابه الى يحيى بن حماد [٧] وعهده لابنه الذي أسلفناه وفصلنا الكلام فيه ودرسنا بعضه وذكرنا مصادره المختلفة ، وله كلام في تعبئة جيشه بالري ذكره الدينوري ، ابو حنيفة ، [٨] وآخر له في حربه مع ابن ماهان ايضا [٩] .

٤ـ اسلوبه في نثره :

جاء طاهر بعد أن كان ابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ قد اوضحوا مذهبهم الادبي فأخذ من كل شيء أحسنه ، فنرى فيما بلغنا من نثره الوضوح في انشائه والرقة في لفظه ، والترتيب من حيث المعنى ، واسلوبه أشبه باسلوب ابن المقفع وسهل بن هارون ، فباستطاعتنا المقارنة بين اسلوب طاهر وسهل بن هارون وابن المقفع ، وحتى الجاحظ لانه

---

(١) العقد الفريد ٤ : ٢٤١ وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٧٢

(٢) غرر الخصائص الواضحة : ١٧٥ وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٤٩٧

(٣) الوزراء والكتاب : ٢٠٥ تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٩٥ هـ) وكذلك في الكامل ومروج الذهب الفخري لابن الطقطقي : ٢٩٥ ، المثل السائر : ٣٣٩ ، وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٦٥

(٤) الديارات : ٨٦

(٥) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٧١ عن أدب الكتاب : ١٥١

(٦) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٦٦ عن تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٩٨ هـ) .

(٧) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٤٨١ عن كتاب بغداد : ٧١ ـ ٧٣ وعن اختيار المنظوم والمنثور ١ : ٣٦٣

(٨) الاخبار الطوال : ٣٩٧ ـ ٣٩٨

(٩) الديارات : ٩٢

متأثر به في قليل أو كثير ، وكانت أدوارهم متلاحقة متلاصقة . ولعله قد تأثر بالجاحظ من ناحية استعمال الجمل المقتضبة الوجيزة المتوازنة بعضها مع بعض ، والتي لم يلتفت فيها كثيرا الى السجع . ويظهر ان طاهرا يمتاز برقة العبارة وسلاستها . وكان يرغب في اللفظ السهل ويرغب عن التكلف ، فاسلوبه الكتابي يشمل الايجاز في الكلام ، والسلامة من الفضول ، والبراءة من التعقيد ، والبعد عن التكلّف ، والسهولة في الالفاظ ، واتزان العبارة وحسن السبك وعدم استعمال الغريب من المفردات . وهو في نثره — كما سنراه في شعره — رقيق اللفظ جزله ، واضح التعبير ، سائغ الفهم .

فأما من حيث المعنى فقد مر بنا عن كتابه لابنه ووصف المأمون لهذا الكتاب بأنه يجمع السياسة والاخلاق وحسن المعاشرة وغير ذلك حتى عد الكتاب " كتاب الوصية الدينية والسياسية والشرعية وعرف بهذا الاسم . وكان خبيرا بما يريد كتابته فقد قال لكتابه — وهو يحارب الامين — " اكتبوا الى عيسى بن الرشيد كتابا ، تتقربون به اليه وتتباعدون ولا تطمعوه ولا تؤيسوه " (١) . وقال المأمون لطاهر بن الحسين يوما : صف لي ابنك عبد الله قال : يا أمير المؤمنين ، ان مدحته عبته ، وان ذممته اغتبته ، ولكنه قدح في كف مثقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين (٢) . فأعجب المأمون كلامه .

٥ — نموذج من توقيعات طاهر بن الحسين (٣) :

ولقد احتفظت المصادر التاريخية والادبية جملة من توقيعات طاهر نوردها هنا وهي :

من طريف ما يروى انه كتب رجل الى طاهر بن الحسين رقعة يسأله فيها صلة . فوقع طاهر

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٣ : ٣٧٢ نقلا عن أدب الكتاب : ١٥١
(٢) العقد الفريد ٢ : ١٣٠
(٣) العقد الفريد ٤ : ٢٢١ وجمهرة رسائل العرب ٤ : ٤٥٢ — ٤٥٣ ، وكتاب بغداد : ٧٠ — ٧٣ ، ومعجم الادباء ١ : ٢٤ ، خاص الخاص : ٨٩

عليها ما مثاله : "ما شاء الله كان" فوقع الرجل في أسفلها : ان الله يشاء المعروف . فلما قرأها طاهر وجدها نعم الكلام فوصله (١) . ووقع في رقعة متنصح : سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين . وفي رقعة مستبطىء اياه في الجواب : ترك الجواب جواب .

ورفع اليه مستمنح كذب في عدد عياله وكان طاهر يعرفهم فوقع : لا جواب لكذاب .

ثم عاد وصدق في عددهم ، فوقع طاهر : الآن جئت بالحق . وأمر له بصلة .

ووقع في كتاب رجل تظلم من انصار نصر بن شبث واصحابه فوقع طاهر : طلبت الحق في دار الباطل .

ووقع في قصة قهرمان له سوء معاملة : اسمح يسمح لك .

ووقع في قصة رجل طلب قبالة بعض اعماله : القبالة مفتاح الفساد ولو كانت صلاحا ما كنت لها موضعا .

ووقع الى سندي بن شاهك ، وجاء منه كتاب يسأله الامان : عش ما لم أرك .

ووقع في قصة رجل شكى ان بعض قواده نزل في دار له وفيها حرمه : اذا رأيته في ناحية دارك فقد حل لك قتله .

ووقع في قصة رجل ان أخاه قتل في طاعة المأمون : سألك طاعة الله ، والله ولي جزاءه .

ووقع في قصة رجل ذكر انه قتل في يوم واحد عشرة من اصحاب المخلوع : لو كنت كما وصفت ، لم يخف علينا ما ذكرت .

ووقع في قصة رجل ذكر ان منزله أحرق بالنار : اخطأك من قصدك .

ووقع في قصة قوم شغبوا على عاملهم : الشغب للفرقة سبب ، فلتمح اسماؤهم ، وتحسن آدابهم ، ويقطع بالنفي آثارهم .

---

(١) البصائر والذخائر : ٢٥

ووقع في قصة محبوس : يخرج ولا يحوج .

ووقع في قصة محبوس آخر : يطلق ويعتق .

ووقع في قصة مستمنح : يبلّ حاله .

ووقع في قصة مستوصل : يقام أوده .

ووقع في قصة مستجير : أمنا جاره .

ووقع في قصة مستأمن : يؤمن سربه .

ووقع في قصة شاعر : يعجل ثوابه .

ووقع في قصة قاتل : لا يؤخر قتله .

ووقع في قصة لص : ينفذ حكم الله فيه .

ووقع في قصة ساع : لا يلتفت اليه .

ووقع في خزيمة بن خازم : الاعمال بخواتيمها ، والصنيعة باستدامتها ، والى الغاية ما جرى الجواد فحمد السابق وذم الساقط .

ووقع الى عباس بن موسى الهادى واستبطأه في خراج الكوفة :

وليس اخو الحاجات من بات نائما ولكن اخوها من يبيت على رحـل

ودخل على طاهر كاتب العباس بن موسى وكان ركيكا ، فقال : اخيك بن موسى يقرؤك السلام . قال طاهر : وما تلى من أمره ؟ قال : انا كاتبه الذى أطعمه الخبز . فوقع طاهر : يعزل العباس لسوء اختياره للكفاة .

وكتب أبو جعفر الى عمرو بن عبيد . . ابا عثمان ، أعنّي باصحابك ، فانهم اهل العدل ، واصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع طاهر في هذا الكتاب : ارفع علم الحق يتبعك أهله .

ومن توقيعاته الطويلة ما وقع على رسالة يحيى بن حماد الكاتب النيسابوري حين كتب اليه رسالة طويلة ، فوقع اليه : " قلة نظرك لنفسك حرمتك سني المنزلة ، فغفلتك عن حظك حطتك عن درجتك ، وجهلك بوضع النعمة احلّ بك الغير والنقمة ، وعماؤك عن سبيل الدعة اسلكك في طريق المشقة حتى صرت من قوة الامل معتاضا شدة الوجل ، ومن رجاء الغد معقبا بأياس الابد ، حتى ركبت مطية الخوف بعد مجلس الامن والكرامة ، وصرت موضعا للرحمة بعد أن تكنفتك الغبطة على اني أرى أمثل امريك ادعاهما للمكروه اليك وأنفع حالتيك أضيقهما متنفسا بقول القائل :

اذا ما بدأت امرءا جاهلا ... ببر فقصر عن حمله
ولم تلقه قائلا بالجميل ... ولا عرف العز من ذله
فسمه الهوان فان الهوان ... دواء لذى الجهل من جهله

وقد قرأت كتابك باغراقك واطنابك فوجدت ارجاه عندك آيسه لك ، وأرقه في نفسك اقساه لقلبي عليك ، ومن صافه ما اذهبت وخامره ما ذكرت ، خرس عن تشقيق وترويق الكذب والآثام ولعمروى لولا تعلقك مني بحرمة المعاينة ، واتصالك مني بسبب المفاوضة ، وانحائي بهما لمن نالهما بسط المنفعة ، وقبض الاذى والمعرة مع استدامتي النعمة بالعفو عن ذى الجريمة ، واستدعائي الزيادة بالتجاوز عن ذى الهفوة ، واستقالتي العثرة باقالتي الزلة ، لنالك من عقوبتي ما يؤذيك ومسك من سطوتي ما يتركك ، ويحسبك ما اجترت لنفسك من العجز ذلا وجهلا ، وما اخلدت اليه من الخمول وضعا ، وبما حرمته من الفضل عقوبة ونقصا ، وفي كفاية الله غنى عنك ، وفي عادته الجميلة عوضا منك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل أقوى معين وأهدى دليل (١) .

---

(١) كتاب بغداد : ٧١ — ٧٢ وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٤٨٢ من اختيار المنظوم والمنثور ١ : ٣٦٣

ومن كلامه : لا تستعن بأحد في خاص عملك الا من ترى ان نعمتك نعمته ، تزول عنه بزوالها عنك ، وتدوم عنده بدوامها لك ، ولا يكون هذا الا عند من أكمله الله بالعقل (١) .

ومن فصيح ما قال طاهر قبيل وفاته ، حين صعد المنبر يوم الجمعة فأمسك عن ذكر الخليفة قال : اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك ، واكفها مؤونة من بغى بها وحسد عليها من لم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين (٢) . ومن كلامه في الفارسية ليلة وفاته وكان آخر ما تكلم به حينما دخل فراشه قال : در مرك نيز مردى بايد " أي : في الموت أيضا يحتاج الى الرجولة (٣) .

٦- شعره :

كان طاهر بن الحسين كما أسلفنا يقول الشعر لكنه لم يكن شاعرا يتكسب بشعره فيتفوّق بمدحه ولم يتعلم تجريح الناس والايقاع بهم فيعد من اصحاب الهجاء ولم ينحز الى الجهة اللغوية فيستعمل الغريب وانما اطلاعه على الشعر ومعرفته به وقراءته لاشعار الشعراء وحفظه لها وتمرسه ومعاشرته للادباء ومنهم الشعراء ومنادمتهم له ، كل هذه العوامل وتردد الشعراء ببابه في امارته وولايته الشرطة وخراسان وذوقه وذكاؤه أثارت قريحته فقال الشعر . وكان طاهر ذا احساس مرهف وشعور عظيم بليغ فنمت تلك القريحة الوقادة وذلك الذوق والطبع فبدأ يقول الشعر ولا ندرى متى بدأ ذلك فليس بين أيدينا من شعره الا الضئيل اليسير وهذا النزر القليل لا يكفي للحكم عليه . اذ قد يجوز ان يكون الشعر الذى بين أيدينا مما بقي لطاهر هو من أحسن شعره أو من أرذله ، وفي كلتا الحالتين لا يمثله تمام التمثيل . ثم اننا

---

(١) كتاب بغداد : ٧٠
(٢) نفس المصدر وتاريخ الطبرى ٧ : ١٦٩
(٣) نفس المصدر

لا نجد شعره الا في كتب متفرقة للتاريخ والادب وغير ذلك ولا يدرى ما هو من صنعه وما هو لغيره أتي عليه في باب الاستشهاد وعلى هذا السبيل والتمثّل . انما المعلوم انه كان اديبا شاعرا يحب الادب وأهله . وكان لا ينفق عنده شيء من متعة الدنيا كما ينفق الادب [1].

فمما قاله في الفخر والاعتزاز لما قتل الامين ببغداد :

قتلت الخليفـــة في داره ... وأنهبت بالسـيف امواله

وفي نفس المعنى قال في موضع آخر :

ملكت الناس قسـرا واقتـدارا ... وقتلت الجبابرة الكبـارا

ووجهت الخلافة نحو مـرو ... الى المأمون تبتدر ابتدارا [2]

وكان اسماعيل بن جعفر بن سليمان واليا على البصـرة خليفة لطاهر بن الحسين فاساء اسماعيل محاورة محمد بن ابي عيينة ، حتى تباعد بينهما وقبح ، وأظهر اسماعيـل تنقصه وعيبه ، فخرج ابن ابي عيينة الى طاهر ليشكو اسماعيل ويسعى في عزله من البصرة ، فبعد ذلك عليه بعض البعد ، وسافر طاهر بن الحسين الى وجه أمر بالخروج اليه فصحبه ابن ابي عيينة في سفره ، فتذمّم طاهر من ذلك وأمر بايصاله اليه . فلما دخل ابن ابـي عيينة اليه ، سأله طاهر عن حوائجه ، وأدناه وأمره برفعها ، فأنشده ميميته التي مطلعها :

من أوحشته البلاد لم يقـم ... فيها ومن آنسته لم يـرم

وهي طويلة . فعارضه طاهر بن الحسين بميمية اخرى مرتجلا وقال :

من تستضفه الهموم لم ينـم ... الا كنوم المريض ذى السقم

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٨٦

(٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٦٠

ولم يزل قلبه يكابد مـــا تولد فيه الهموم من ألم
وقد سمعت الذى هتفت به وما باذني عنك من صمم
وقد علمنا ان لست تصحبنا لفاقة فيك لا ولا عـدم
الا لحق وحرمة وعلـــى مثلك رعى الحقوق والحرم
انت امرؤ لا تزول عن كرم الا الى مثله/من الكـــرم
وانت من اســرة جحاجحة فازوا بحسن الفعال والشيم
ان كنت مستسقيا سماحتنـــا منـا تجدك اليدان بالديم
أو ترم في بحرنا بدلوك لا نعدمك ملـئا لهدالى الوذم
انا اناس لنا صنائعنـــــا في العرب معروفة وفي العجم
مغتنمو كسب كل محمـــدة والكسب للحمد خير مغتنـــم (١)

ثم احتكم عليه ابو عيينة عزل اسماعيل بن جعفر عن البصرة ،فعزله عنها ، وأمر له بمئة ألف درهم ، فقال ابو عيينة قصيدة شكره لذلك (٢) .

وكان طاهر بن الحسين بخراسان قبل أن يتحرك به الحال يتعشق جارية في جيرانه يقال لها ديذاه . وكانت توصف بجمال عجيب . وكانت صناجة بنيسابور بارعة في صناعتهـا تنزل في موضع يقال له " دوران كوش" بنيسابور ، وكان طاهر بن الحسين يختلف اليها وفيها يقول طاهر :

فيا ليت شعرى هل أبيتن بعدها بليلة مســرور بحيث أريـد
وهل ترجعن خيلي الى ربطاتها ويجمعني والمأزقين صعـيد
وهل ترين ديذا مقامي وموقفـي اذا أضرمت نار وليس وقـود

---

(١) الاغاني ٢٠ : ٤٢ والشعر والشعراء ٢ : ٨٤٧
(٢) نفس المصدر .

ولما تحركت به الحال وصار الى مدينة السلام وقع في سجنه جار لديذا بجرم خفيف وطـــال حبسه ولم يعرف احدا يشفع فيه فاحتال بمن يرفع رقعة لطيفة فوصلت الى طاهر تخبره انـه حبس بجرم يسير وليس له أحد يسعى في أمره وتوسل اليه بجوار د يذا ، فلما قرأ طاهر الرقعة كتب في ظهرها :

ويا جارَ ديذا لا تخف سجن طاهر ولّيك لو تدرى عليك شـــفيق

أيا جار د يذا انت في سجن طاهر وانت لديذا ما علمت طليـــق

ثم كتب في اسفل البيتين : يخلّى سبيله ويعطى اربعة آلاف د رهم ، وعليه لعنة الله فقـــد حرّك منا ساكنا . وديذا هي الجارية التي كانت تنزل عند ميدان زياد وقال فيها طاهـــر بن الحسين قبل خروجه الى بغداد :

اما أنى لك ديذا ان تزوريـــــني يوما الى الليل أو/أن تســـتزيريني (١)

ولطاهر بيت شعر قاله لأسد بن ابي الاسد الذى التوى من الذهاب الى خوارزم وأراد افساد أمر الجند وقائدهم فقال طاهر :

لا تكونـــن جاهـــلا انت في البعـــث يا أسد (٢)

ولما كان طاهر ولي الرقـــة خرج يوما راكبا وهو يتمثل :

عليكم بداري فاهدموها فانها تراث كريم لا يخاف العواقـــبا

اذا هم ألقي بين عينيه عزمـه واعرض عن ذكر العواقـــب جانبا

---

(١) كتاب بغداد : ٦٧ - ٦٨ .

(٢) نفس المصدر : ٦٩

سأدحض عني العـار بالسيف جانبا   عليّ قضاء الله ما كان جالبـا [1]

وولي طاهر رجلا بعض النواحي فقال لكاتبه : اكتب عهده ، واترك في أسفل القرطاس فضلا . ففعل . فأخذ طاهر العهد وكتب في أسفله :

اعمل صوابا تنل بالحزم مأثرة   فلن يذم مع التقدير تدبير

فان هلكت مصيبا أو ظفرت بـه   فانت عند أولي الالباب معذور

وان هلكت على جهل وفزت بـه   قالوا : جهول اعانته المقادير

انكد بدنيا ينال المخطئون بها   حظ المصيبين والمغرور مغرور [2]

---

(١) كتاب بغداد : ٨٦ وتاريخ بغداد ٩ : ٣٥٤

(٢) لباب الالباب لاسامة بن منقذ : ٣٤١ - ٣٤٢

٢- عبد الله بن طاهر

١- شخصيته وثقافته :

ان رجلا يصفه المأمون بالحلم والتقوى والشجاعة [(١)] ، والمرزباني ببراعة الشعر وحسن الادب [(٢)] لا يحتاج الى كثير من تعليقنا وتعريفنا ، لأن المأمون هو الذى رباه وتبناه والمرزباني أعرف بأدباء عصره وشعرائهم . فلقد كان ابو العباس عبد الله بن طاهر أديبا ظريفا ، جيد الغناء ، وشاعرا متوسلا بليغا . نسب اليه ابو الفرج اصواتا كثيرة أحسن فيها ونقلها اهل الصنعة . وله شعر مليح ، ورسائل ظريفة [(٣)] . ويكفينا وصف طاهر لابنه عبد الله في كلمات لنتعرّف عليه . فقد قال المأمون لذى اليمينين يوما : صف لي ابنك عبد الله . فقال طاهر : " ان مدحته عبته ، وان ذممته اغتبته ، ولكنه قدح في كف مثقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين [(٤)] . فانه جمع بهذه الكلمات ثقافته وأدبه وشجاعته ونشاطه . أما المأمون فقد رأى عبد الله فوق ما قاله أبوه فيه [(٥)] .

ولقد تأدب عبد الله في صغره وقرأ العلم والفقه ، وسمع من وكيع ومن عبد الله المأمون ، وروى عنه ابن راهويه - وهو أكبر منه - ونصر بن زياد وخلق سواهم [(٦)] . وروى هو عمّن سمع منهم أبوه ، وكان من آدب الناس وأعلمهم بأيّام العرب وأجودهم قولا للشعر [(٧)] .

وكان يؤاخي اكفاءه ، ويصحب نظراءه ومن يأمن من غدره ، وغبّ أمره وبوائق شره ، وكان

---

(١) الديارات : ٨٨
(٢) اعلام النبلاء ١ : ١٩٢
(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٣
(٤) العقد الفريد ٢ : ١٣٠
(٥) اعلام النبلاء ١ : ١٨٠
(٦) النجوم الزاهرة ٢ : ١٩١
(٧) طبقات الشعراء : ١٨٦

خبيرا في استنقاء جلسائه واصحابه فقيل عنه انه لا دواء لمن لا حياء له ، ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا اخاء له ، ولا اخاء لمن أراد ان يجمع بين اهواء اخلّائه حتى يحبوا ما أحب ويكرهوا ما كره وحتى لا يرى من احد ختلا ولا زللا ولا تفريطا (١) .

ومن حسن أدبه كان يقول : ينبغي ان يبذل العلم لأهله وغير اهله ، فان العلم أمنع لنفسه من أن يصير الى غير اهله (٢) .

ومن اخلاقه وأدبه أنه قال له المأمون يوما في دابة له : "قد طالت صحبة هذه الدابة لك ؟" فقال عبد الله : "من بركة هذه الدابة طول صحبتها وقلة علّتها . قال المأمون : فكيف سيرها ؟ فقال : همها امامها ، وسوطها عنانها ، وما ضربت قط الا ظلما (٣) . وقد نسب — فيما مرّ بنا — هذا الكلام الى أبيه ايضا .

٢— نظـرته النقديـة :

وكان عبد الله ذا رأي في تفضيل العلماء ، أي انه كان يصرح برأيه في هذه الموضوعات كما رأيناه يختبر الشعراء ، فقال : "علماء الاسلام اربعة : عبد الله بن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معن في زمانه والقاسم بن سلام في زمانه" (٤) . وكان يقدّر للشعراء قيمة شعرهم ويقيم للجيد من ذلك وزنا . فقد كان ابن مطير الشاعر قد مدح أحد الولاة بأبيات جد ممتازة ، فأعطاه خمسة آلاف درهم . فلما أنشدها عبد الله قال لمطير : لقد أخطأت ، فما ثمن هذه الا مائة ألف (٥) .

---

(١) الموشي للوشاء : ٢٦
(٢) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٧١
(٣) ثمار القلوب : ١٩٨
(٤) طبقات النحويين واللغويين : ٢١٩
(٥) العقد الفريد ١ : ٣٦٥

وكان عبد الله يقول : آفة الشاعر البخل ، فقال له محمد بن عيسى .. وما مقدار ما يبخل به الشاعر ؟ قال : يقول احدهم من الشعر خمسين بيتا فيفسده ببيت يبخل ويطرحه (١) .

وكان يتتبع ادب القدماء وحكمهم . فقال له شيخ من الفرس : كانت الفرس تقول : لا توحش الحرفان أوحشته فلا ترتبطه . وكانت تقول : اذا نيك الله تعالى تحمل الشر فاني اذا رأيتك عاملا به رأيته واقعا بك (٢) .

وكان عبد الله ذكيا ، له طبع جيد في القضايا الادبية وهو يروى الشعر والاخبار ، ورجل كعبد الله له دربة كثيرة ، والشعر كما عرّفه ابو الحسن القاضي الجرجاني علم يشترك فيه هذه الاسس فمن اجتمعت له هذه الخصائل فهو المحسن المبرز (٣) . وعبد الله من المطبوعين ، ذوى الذكاء والطبع واهل الرواية والدربة ولذا قال فيه المأمون :

ويجلو أمورا لو تكلفت غـيره	لمات خفاتا أو يكاد يـذوب
فتى هو من غير التخلق ماجد	ومن غير تأديب الرجال اديب (٤)

٣- اسـلوبه في الشعـر والنثـر :

اما اسلوبه في النثر والشعر فهو امتداد لاسلوب العصر ذاته ، أولا لأنه لم يشتغل بالفلسفة حتى يغلب عليه طابع خاص ، وهو لم يعاشر ابا تمام ولم يفضله فينطوى الى التكلف وينخرط في التصنيع بل كان معاشرا لاسحاق الموصلي الذى كان شديد العصبية للاوائل *

---

(١) كتاب بغداد : ٩١ - ٩٢

(٢) نفس المصدر .

(٣) كتاب الوساطة : ٢١

(٤) الديارات : ٨٨ ، وكتاب بغداد : ٩٢

كثير الاتباع لهم . وهم بعيدون من التكلف والتصنع الا بعضهم . وما عدا اسحاق الموصلي فاننا نجد الشعراء الذين يرتادونه كان جلهم من المطبوعين ومنهم دعبل الذى كان يزدرى بشعر ابي تمام الصانع المخترع ويطعن (١) . اذن فشعر عبد الله بن طاهر مطبوع حسن ، جزل مع عذوبة وفيه الملاحة والظرف . ونثره سهل واسلوبه رائق وجمله قصيرة ومعانيها كثيرة ، بحيث يعجب المأمون من حسن تعبيره وبديع لفظه وشمول معناه . فلما وافى نيسابور كتب الى المأمون ان أمير المؤمنين أنهضني الى هذا الثغر وبسبب ما قد غلب عليه من أمر الحمراء ، وما أحدثته المارقة بها . فاني وافيت نيسابور فوجدت ما حولها مش المارقة ، ووجدتها أهم الكور ، والمهم انني أبدى وأدى . فأعجب المأمون من الكتاب بهذه اللفظة ، ولم يزل الكتّاب يتذاكرونها فيما بينهم (٢) .

٤- نثره :

ومن ظريف نثره ولطيف كلامه في الحب قوله عندما سأله المأمون عن ذلك ما هو ؟ فقال : اذا تفادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منها لمحة نور تستضيء بها بواطن الاعضاء ، فتحرك لاشراقها طبائع الحياة فيتصور من ذلك خلق حاضر للنفس ، متّصل بخواطرها يسمى الحب (٣) .

ولعبد الله كتب ورسائل بعث الى الخليفة أو الولاة أو من حاربهم ، هي في غاية الجودة وحسن الادب وردت بعضها في كتب التاريخ والادب ممتعة ، لذيذة ، غير مملة فمنها ما قل ودل ، ومنها كتابه الى اسحاق بن ابراهيم - وكان ببغداد - فبعث اليه عبد اللعين

---

(١) اخبار ابي تمام : ٦٣ - ٦٤ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٩٩ - ٢٠١ - ٢٤٤ .
(٢) الديارات : ٨٩
(٣) العقد الفريد ٢ : ٣١٧

طاهر بن خراسان ، يسأله ان يوجه اليه بأقلام قصبية . يتبين فيها كثرة ممارسته في صناعة الكتابة والادب ومعرفته بالاقلام وتمييزها واختيار الاحسن منها وهو وصف دقيق رائع للاقلام القصبية التي كانت تستعمل آنذاك ولا تزال تستعمل الى الآن في ايران لتجويد الخط ، فقال عبد الله : (١)

"أما بعد ، فانا على طول الممارسة لهذه الصناعة ، التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الاسم ، فحلّت محل الانساب ، وجرت مجرى الالقاب ، وجدنا الاقلام القصبية أسرع في الكواغد ، وأمر في الجلود ، كما ان التجرية منها أسلس في القراطيس وألين في المعاطف ، ونحن في بلاد قليلة القصب ، ردئ ما يوجد بها منه . وقد أحببت ان تتقدم في اختيار اقلام قصبية ، وتتألق في انتقائها قبلك ، تطلبها في مظانها ومنابتها ، من شطوط الانهار ، وارجاء الكروم . وان تتيمم باختيارك منها : الشديدة المجس ، الصلبة المعض ، النقية الخدود ، القليلة الشحوم ، الكثيرة اللحوم ، المكتنزة الجوانب ، الضيقة الاجواف ، الرزينة الوزن فانها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الحفي ، وان تقصد بانتقائك منها : الرقاق القضبان ، اللطائف المنظر ، المقومات الأود ، الملس العقد ، فلا يكون فيها التواء عوج ولا أمت . وضمّ الصافية القشور ، الخفية الابر ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الانابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتلّة القوام ، تكاد اسافلها تهتز من أعاليها ، لاستواء اصولها بروؤسها ، المستحكمة يبسا ، القائمة على سوقها ، قد تشرّب الماء في لحائها ، وانتهت في النضج منتهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وابان ينعها ، ولا تؤخر الى الاوقات المخوفة عاهاتها ، ومن خصر الشتاء وعفن الانداد . فاذا استجمعت عندك وأمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعا رفيقا تتحرز منه من ان تتشعث رؤوسها ، وتنشق اطرافها ، ثم عبّأت منها حزما

---

(١) زهر الآداب ٢ : ٢٤٨ ، وصبح الاعشى ٢ : ٤٥١ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢١ ، وأدب الكتاب : ٦٩ ، وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٥٣٤

فيما يصونها من الاوعية ، وعليها الخيوط الوثيقة ووجهتها مع من يؤدى الامانة في حراستها وحفظها وايصالها ، اذ كان مثلها يتوانى فيها لقلة خطرها عند من لا يعرف فضل جوهرها ، واكتب معه بعدتها واصنافها واجناسها وصفاتها على الاستقصاء ، من غير تأخير ولا توان ولا ابطاء ، ان شاء الله تعالى (١) .

ونجد في رسالة بلاغة الجاحظ من حيث الجمل المقتضبة ، وسهل بن هرون من حيث السلاسة والرقة ولا نرى روعة وصفه أقل مما فعله الجاحظ وابن هارون في وصف الكتابة والخط . ثم ادبه بقلة استعماله فعل الامر فانه لا يقول : "اجمع عندك" ، بل يقول : "اذا اجتمعت عندك" ، ودقته في الامر فانه يؤكد له ان يكتب بعدتها واصنافها واجناسها وصفاتها ليطلعه على جوانبها المختلفة . ولم تكن هذه هي الوحيدة من بلاغته وانما جميع رسائله بلغت أقصى الجودة والكمال . وقد ذكرنا في سيرته مع عماله من توانى في عمله كيف راسله في شدة وعنف وهو الحسن بن عمرو الثعلبي (٢) . واليك كتابه الى المأمون وقد أهدى اليه عبد الله فرساً فكتب الى المأمون : " قد بعثت الى أمير المؤمنين بفرس ، يلحق الارانب في الصعداء ويجاوز الضباء في الاستواء ، ويسبق في الحدود جرى الماء ، فهو كما قال تأبط شرا :

ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي   بمنخرق من شدة المتدارك (٣)

وكان عبد الله يقول في حسن العشرة والمودة والاخوّة : المال غاد ورائح ، والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة (٤) . وأدّب عبد الله بعض قواده ، فمات القائد ، فرفع اليه

---

(١) العقد الفريد ٤ : ١٩٩
(٢) المصدر نفسه ١ : ٥٩
(٣) زهر الآداب ١ : ٣٠٧ ، وثمار القلوب : ١٩٨
(٤) المستطرف ١ : ١٤٤

الناس يقولون : انه قتله ، فوقّع : انما أدبنا نوافق الادب الأجل (١) . وكتب اليه بعض قواده يسأله حطّ خراجه والزيادة في ارزاقه ، فوقع في كتابه :

أني القوم أبصرت ذا كلـــة فخيرا رأيت وخيرا يكون ؟ (٢)

وهناك كتابه الى عبيد الله بن السرى ونصر بن شيث (٣) وكتابه للمأمون بشأن نصـــر بن شيث (٤) ، وخطبته في الناس عندما تيسر لقتال الخوارج (٥) . وكتب اليه بعض عماله على العراق كتابا وجعل سحاءته غليظة ، فأمر بأشخاص الكاتب اليه ، فلما ورد عليه الكاتب قال له عبد الله : ان كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع الى عملك ، وان عدت الى مثلها عدنا الى اشخاصك لقطعها ، ولا تعظم الطينة جدا وطن كتبك بعد كتبك عناوينها ، فــان ذلك من أدب الكاتب ، فان طينت قبل العنان فأدب منتحل (٦) . وقيل انه كان قد وقّع : من سعى رعى ، ومن لزم المنام رأى الاحلام . وهي ترجمة ما وقّعه كسرى أنو شروان فانــه وقّع : هرك روذ خورذ وهرك خسبذ خواب پيند (٧) .

وهناك رسالته الى المأمون الذى يشكو اليه بعده من حضرته ويسأله الاذن له فـــي الالمام بها (٨) . ورفعت اليه قصة مضمونها ان جماعة خرجوا الى ظاهر البلد للتفرّج ، ومعهم صبي ، فكتب على رأسها : " ما السبيل على فتية خرجوا لمنتزهم يقضون أوطارهم ، على قـــدر

---

(١) خاص الخاص : ٨٩
(٢) المصدر نفسه : ٩٠
(٣) زهر الاداب ٣ : ٣٣١ ، وكتاب بغداد : ٧٧ — ٧٨ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١٤٩ ، وتاريخ الطبرى (حوادث سنة ٢٠٦ — ٢١٠) ، وجمهرة رسائل العرب ٣ : ٥٠٠
(٤) نفس المصدر .
(٥) العقد الفريد ٤ : ١٢٤
(٦) المصدر نفسه ٤ : ١٥٩ — ١٦٠
(٧) المحاسن والمساوئ للبيهقي : ٣١٠ ، والمحاسن والاضداد للجاحظ : ١٢٨
(٨) المنازل والديار : ١٨٠ ، وخاص الخاص : ٨٩

اخطارهم ،ولعل الغلام بن احدهم أو قرابة بعضهم . ومن كلامه : سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان في موضع واحد [١] .

ومن توقيعاته الى عمال شكاهم الرعية . قد قدمت اليكم الاعذار واحتجبت اليكم الانذار وليت العتاب بالغا ما أردت ولقد هممت بأن أجعل معاقدتي لكم معاقبة فلنتبهوا من سنتكم وانظروا لانفسكم واحسنوا بالاكرة فان الله تعالى جعل أيديهم لنا طعاما وألسنتكم سلاما ، وظلما حراما وما عند الله خير وأبقى أفلا تذكّرون [٢] .

٥- شــعره :

لعبد الله بن طاهر الامير الاديب شعر مليح [٣] ، قال ذلك في مواضيع مختلفة لسلطته الشعرية وشعره هذا يفسر نفسيته واخلاقه وغزارة أدبه . فهو يقول في الشجاعة والفخر ، والغزل والنسيب ، والعفو والمعذرة ، والوفاء والاخلاص، والجد والهزل ، والصداقة والمدح والوصف ، والافتعال والخجل ، وحسن المعاشرة والمودة والاخوّة ، وفي الصبر على المكاره والتسلّي عن نوائب الدهر ، والقناعة والبخل ولعله تطرّق الى جميع الموضوعات سواء وصلتنا نماذج منها ام لم تصل مما يدل على قدرته على قرض الشعر في المناسبة وبالبديهة فهو مطبوع في شعره يسير على مذهب القدماء ومنهجهم وهو من طبقة اسحاق الموصلي الذى كان يوالي القديم ويدافع عنه ويكره الاجهاد والاتعاب والتصنيع والتصنع فهو شاعر من طبعه يقول الشعر من فطرته دون أن يحمل نفسه المشاق في جمع ما أراد كما كان يفعل أبو تمام .

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٣
(٢) خاص الخاص : ٨٩ - ٩٠
(٣) المنتحل : ٢٢٢

ومن قول عبد الله بن طاهر في الفخر بنفسه وضعفه امام الغواني ا قوله :

نحن قوم تليننا الحـــدق النجـــل على اننا نلين الحديدا

طوع أيدي الظباء تقتادنا العـــين ونقتاد بالطعان الاسودا

نملك الصيد ثم تملكنا البيـــض المصونات اعينا وخدودا

تتقي سخطنا الاسود ونخشى سخط الخشف حين يبدي الصدودا

فترانا يوم الكريهة أحـــرا را وفي السلم للغواني عبيدا (١)

وهذا الشعر يجمع بين الرقة والشجاعة (٢) .

وقال عبد الله بن طاهر بن الحسين بيتين هما :

اغمدي السيف وقولي جم يا سيف طويلا

قد فتحت الشرق والغـــر ب وآمنت السبيلا

يريد بأنه أخمد فتن الغرب في الشام ومصر وفتن الشرق بالجبال وخراسان ، ثم ألقاهما على قينة ، وأمرهما ان تنشد المأمون بهما ، ثم أهداها للمأمون ، ففعلت ذلك (٣) .

وكان ابو دلف يتنقل من العراق الى جبال فارس، ففي الصيف يسكن الجبال وفي الشتاء يسكن العراق وذلك لبرد الجبال في الصيف وحر العراق في الشتاء وكان يقول :

وأني امرؤ كسروي الفعال أصيف الجبال وأشتو العراقا

وألبس للحرب أثوابهـــا واعتنق الدارعين اعتناقـــا

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٣ ، اعلام النبلاء ١ : ١٩٥ ، آثار الازهار ١ : ٢٩٠
(٢) المنتحل للثعالبي : ٣٣٢
(٣) كتاب بغداد : ٩٠

وبلغ قول ابي دلف عبد الله بن طاهر ، فنظم عبد الله يقول جوابا لقول أبي دلف :

ألم ترأنا جلبنا الخيول — من أرض بابل قبا عتاقا

فما زلن يخطرن بالدارعين — طورا حزونا وطورا رقاقا

الى أن درين بأذنابها — قلوب رجال أرادوا النفاقا

وأنت أبا دلف ناعما — تصيف الجبال وتشتو العراقا (١)

ولما دخل عليه دعبل الخزاعي يقول :

جئت بلاحرمة ولا سبب — اليك الا بحرمة الادب

فاقض ذمامي فانني رجل — غير ملحّ عليك في الطلب

انفصل عبد الله ودخل الى الحرم ووجه اليه بصرة فيها ألف درهم وكتب الى دعبل :

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا — ولو انتظرت كثيرهُ لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسل — ونكون نحن كأننا لم نفعل (٢)

وحدثت له مثل هذه الحالة حينما قدم عليه الشاعر المسّعر وقال أبياته ، فأجابه عبد الله بن طاهر :

لم أنس حظك فاستعن بالصبر — وافتح بشغلي عنك باب العذر

لا تيأسنّ اذا الامور تعسّرت — فاليسر منتظر خلال العسر (٣)

وبلغنا من شعره أبيات قالها في الشجاعة هي :

يبيت ضجيعي السيف طورا وتارة — يعضُّ بهامات الرجال مضاربه

---

(١) نزهة الابصار ٢ : ٤٧٥ ، الاغاني ١١ : ١١

(٢) الاغاني ٢٠ : ١٤٣ ، نشر النظم وحل العقد : ٣٢ يجيب بهما لشاعر آخر غير دعبل .

(٣) نشر النظم وحل العقد : ٤٦

أخو ثقة أرضاه في الروح صاحبا وفوق رضاه انني انا صاحبه
وليس أخو العلياء الا فتى لـه بها كلف ما تستقر ركائـبه [١]

وروى صاحب النجوم الزاهرة لعبد الله بن طاهر ثلاثة ابيات من الشعر هي :

نبّهته وظلام الليل منسـدل بين الرياض دفينا في رياحين
فقلت : خذ قال : كفي لا تطاوعني فقلت : قم . قال : رجلي لا تواتيني
اني غفلت عن الساقي فصيّرني كما تراني سليب العقل والدين [٢]

ولهذه الابيات حكاية طريفة جاء عليها صاحب كتاب العقد الفريد وذكر الابيات بترتيب آخر [٣]، وكان عبد الله بن طاهر قد حاصر عبيد الله بن السّرى بمصر سنة ٢٠٩ هـ ، فقال في وفاءه واخلاصه للمأمون :

بكرت تسـبل دمعا اذ رأت وشك براحي
وتبدّلت صـقيلا ويمينا بوشـاحي
وتماديت بسـير لغدو ورواح
زعمت جهلا بأنـي تعب غير مـراح
أقصرى عني فانـي سالك قصد فلاحي
انا للمأمون عبـد منه في ظل جنـاح
ان يعاف الله يوما فقريب مسـتراحي
أو يكن هلك فقولي بعويل وصـياح
حل في مصر قتيل ودعى عنك التـلاح [٤]

---

(١) المستطرف ١ : ٢٦٦
(٢) النجوم الزاهرة ٢ : ٢٠٠
(٣) العقد الفريد ٦ : ٣٤٥
(٤) كتاب بغداد : ٨٢ — ٨٣ ، ووفيات الاعيان ٢ : ٢٧٣ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٨٦

ولما فتح عبد الله بن طاهر مصر سنة ٢١٠ هـ ، أعطاه المأمون خراج مصر وضياعها لسنة ، فوهبه عبد الله كله وفرّقه في الناس ورجع صفرا من ذلك ، فغاظ المأمون فعله ، فدخل عبد الله بن طاهر الى المأمون يوم مقدمه من مصر سنة ٢١١ هـ وأنشد المأمون أبياتا قالها في هذا المعنى وهي :

نفسي فداؤك والاعناق خاضعة ... للنائبات أبيا غير مهتضم

اليك أقبلت من أرض أقمت بها ... حولين بعدك في شوق وفي ألم

أقفو مساعيك اللاتي خصصت بها ... حذو الشراك على مثل من الأدم

فكان فضلي فيها انني تبع ... لما سننت من الانعام والنعم

ولو وكلت الى نفسي غنيت بها ... لكن بدأت فلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال : والله ما نفست عليك مكرمة نلتها ولا احدوثة حسن عنك ذكرها ، ولكن هذا شيء ان عودت نفسك افتقرت ولم تقدر على لم شعثك واصلاح حالك . وزال ما كان في نفسه (١) .

وله من الدوبيت في فراق صاحبه وحبيبه ولا ندرى أيقصد بذلك المأمون ام غيره فقال :

أقام ببلدة ورحلت عنه ... كلانا بعد صاحبه غريب

أقل الناس في الدنيا سرورا ... محب قد نأى عنه الحبيب (٢)

وروى صاحب المستطرف عن ابن طاهر أبياتا قالها في العبر على لقاء الحبيب وهي :

حذّرتني وذا الحذر ... ليس يغنى من القدر

ليس من يكتم الهوى ... مثل من باح واشتهر

---

(١) الاغاني - دار الكتب ١٢ : ١٠٠ ، وط دار الثقافة ١٢ : ٨٥

(٢) المستطرف ٢ : ٢٢٢

انما يعرف الهـــوى · من على موه صـــبر
نفـس يا نفس فاصبرى · فاز بالصبر من صـــبر [١]

وكان ابو السمراء الشاعر قد كتب الى عبد الله بن طاهر أبياتا غزلية [٢] ، فوقّع عبد الله بن طاهر في ظاهر رقعته بديها ومعارضا له : [٣]

لا أشتكي من هواك الا · اليك لا ينفع التشكي
حلفت جهد اليمين الا · أزول الا اليك عنك
كلفتني السعي في طريق · ومن قليل الانيس ضنك
فرعت (بي) في أسار قلبي · ثم تشاغلت عند فكـــي

وكان عبد الله بن طاهر يقول في حسن المعاشرة والمودة والاخوة ومن قوله في ذلك :

خليلي للبغضاء حال مبيّنـــة · وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب ينكر · وما تعرف العينان فالقلب عارف [٤]

ولما أتاه نعى أبي عبيد القاسم بن سلام قال :

يا طالب العلم قد مات ابن سلام · وكان فارس علم غير محجام
مات الذي كان فيكم ربع أربعـــة · لم تلق مثلهم استار أحكام
خير البرية عبد الله أولهـــــم · وعامر ولنعم الثنى يا عـــام
هما اللذان انا فأفوق غيرهمـــا · والقاسمان ابن معن وابن سلام
فازا بقدح متين لا كفاء له · وخلّفاكم صفونا فوق أقدام [٥]

---

(١) المستطرف ٢ : ٧٩
(٢) نذكرها في الكلام عن أبي السمراء .
(٣) ذيل زهر الآداب : ٢٤٥
(٤) المستطرف : ١ : ١٤٦
(٥) طبقات النحويين واللغويين : ٢١٩ - ٢٢٠

وقال عبد الله بن طاهر في الصداقة والصديق :

وما المرء الا اثنان هذا موكل ... بما يعجب الاخوان ان قال أو فعل

فينزل محمودا اذا حل منزلا ... ويرحل مفقودا اذا قيل قد رحل

فاما الذي لا خير فيه فانه ... وان أطعم السلوى وألعق في عسل

يذبّب عن لحم العدو مخافة ... ويأكل من لحم الصديق اذا أكل

وما قلبه الا وعاء معطّل ... من الود محشو من الغل والدغل

ومن قلّ منه الود للناس لم ينل ... من الناس الا مثل ذلك أو أقل (١)

وقال كذلك في المعنى نفسه :

طلبت أخا محصنا صحيحا مسلما ... نقيا من الآفات في كل موسم

لأمنحه ودي فلم أجد الذي ... طلبت ، ومن لي بالصحيح المسلّم

فلما بدا لي انني غير مبتلي ... من الناس الا بالمريض المسقم

صبرت ومن يصبر يجد غب ضرة ... ألذ وأشهى من جني النحل في الفم

ومن لم يطب نفسا ويستبق صاحبا ... ويغفر لاهل الود يُصرم ويصرم (٢)

وقال عبد الله بن طاهر في القناعة أبياتا هي :

كيف عيش امرئ له كل يوم ... علم دون بلدة منشور

واذا الريح حرّكت صوت طبل ... من بعيد فقلبه مذعور

يا غنيا من العساكر والبعث هنيئا لك المقيل الوثير

من له كسرة يعيش عن النا ... س غنيا فذاك الامير (٣)

---

(١) الصداقة والصديق : ٢١٢

(٢) نفس المصدر : ٤٦٨

(٣) نثر النظم وحل العقد : ٨٠

كما قال يمدح الفقر ويذكره بقوله :

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى ... ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره ألا يرى ما يسوءه ... فلا يتخذ شيئا ينال به فقدا (١)

ونسب اليه الزجاج أبياتا في ذم البخل والمماطلة وهي :

الا انما الانسان غمد لقلبه ... فلا خير في غمد اذا لم تكن نصل

ولا خير في وعد اذا كان كاذبا ... ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

فان تجمع الآفات فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل (٢)

وقال يصف الذئب :

بهم بني محارب مزداره ... أطلس يخفى شخصه غباره ... في شدقه شفرته وناره (٣)

ويظهر انه كان سريع البداهة كما ذكرنا في بعض المواقف ومنها ان رجلا كتب اليه يقول :

اذا كان الجواد له حجاب ... فما فضل الجواد على البخيل ؟!

فأجابه عبد الله بقوله :

اذا كان الجواد قليل مال ... ولم يقدر تعلّل بالحجاب ! (٤)

---

(١) المستطرف ٢ : ٦١

(٢) أمالي الزجاج : ٧٥

(٣) الكامل للمبرّد ط : المستشرقين ١ : ٢٠٨

(٤) المحاسن والمساوئ : ١٧٦

وقال في الاخوانيات والاخلاص للصديق والوفاء له وعدّه الثعالبي من أحسن ما سمع وما قيل :

أميل مع الذمام (١) على دعمي (٢) وأقضي للصديق على الشقيق

وان ألفيتني ملكا مطاعـــا فانك واجدي عبد الصديق (٣)

وقال عبد الله بن طاهر لاسحاق الموصلي يوما : يا أبا محمد ، اني قد عملت أبياتا فاسمعها ، قال الموصلي : هاتها ، أعز الله الامير ، فأنشده عبد الله :

ألا من لقلب مسلم للنوائب أحاطت به الاحزان من كل جانب

تبيّن يوم البين ان اعتزامه على الصبر من بعض الظنون الكواذب

حرام على دامي فوءادي بسهمه دم صبّه بين الحشى والترائــب

أراق دما لولا الهوى ما أراقه فهل بدمي من ثائر أو مطالب (٤)

وذكر ابن الاثير لعبد الله بن طاهر أبياتا ظريفة وهي :

اسم من أهواه اسم حسن فاذا صحفته فهو حسن

فاذا اسقطت منه فــاءه كان نعتا لهواه المختزن

فاذا اسقطت منه يــاءه صار فيه بعض اسباب الفتن

فاذا اسقطت منه راءه صار شيئا يعترى عند الوسن

فاذا اسقطت منه ظــاءه صار منه عيش سكان المدن

---

(١) الذمام الحق والحرمة ويجمع على أذمة ، وقد تكون الذمام جمع ذمة وهي العهد والكفالة والمعنى أميل مع الحق .

(٢) قال الثعالبي : هكذا وجد في الاصل ولكن يلوح انها محرّفة (ابن عمي) وبذلك يستقيم المعنى وهو اني أميل على ابن عمي اذا كنت محقا وكان مبطلا ، ولاستواء الصديق والشقيق عندي في المنزلة أقضي للأول على الثاني لا يصدني من ذلك الاخاء .

(٣) أحسن ما سمعت للثعالبي : ٣٦

(٤) الاغاني ط : دار الثقافة ٥ : ٣٧٨

فسروا هذا فلن يعرفه　　　غير من يسبح في بحر الفطن

وكان هذا الاسم اسم ظريف غلامه (١) .

وقيل انه كان بالجانب الشرقي من بغداد محلة تسمى باب الطاق ، كان بها سوق الطير ، فاعتقدوا ان من تعسّر عليه شيء من الامور فاشترى طيرا من باب الطاق وأرسله ، سهل عليك ذلك الامر . قال القزويني : وكان عبد الله بن طاهر طال مقامه ببغداد ، ولم يحصل له اذن الخليفة ، فاجتاز يوما فرأى قمرية تنوح ، فأمر بشرائها ـ وكان صاحبها يمتنع من بيعها الا بخمسمائة درهم ـ وأطلقها ثم أنشأ يقول :

ناحت مطوّقة بباب الطـــاق　　　فجرت سوابق دمعي المهراق

كانت تغرد بالأراك وربمــــا　　　كانت تغرّد في فروع الســاق

فرمى الغراق بها العراق فأصبحت　　　بعد الأراك تنوح في الاشواق

فجعت بافراج فأسبل دمعها　　　ان الدموع تبوح بالمشـــتاق

تعس الغراق وتب حبل وتينه　　　وسقاه من سم الأسى ود ساق

ماذا أراد بقصده قمريـــــة　　　لم تدر ما بغداد في الآفـــاق

بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي　　　من فك اسرك ان يحل وثاقي (٢)

ويظهر انه كانت له قصيدة ضاعت ولم تصل الينا وقد قالها يفخر فيها بمآثر ابيه واهله ويفتخر بقتلهم المخلوع وكان مطلعها :

مدمن الاغضاء موصـــول　　　ومديم العتب محلول (٣)

---

(١) كامل التواريخ ٥ : ٢٧١

(٢) آثار البلاد : ٣٩٦

(٣) معجم الادباء ـ دار المأمون ١٢ : ١٩٤ ، والاغاني ـ دار الكتب ١٢ : ١٠٣ ولهذه القصيدة قصة طويلة ذكرها أبو الفرج .

ولم يكن عبد الله بن طاهر يقول الشعر فحسب وانما كان يتمثل بكثير مما قاله الشعراء ويستشهد بأبيات لهم وقد أوردنا تمثله ببيتين من الشعر في الرقة حين فرّق الاموال ووزّع الجوائز (١) ، كما تمثل بقول أبي كبير الهذلي لما قارب مدينة الري وسمع ورشانا في بعض الافصان يصيح ، فتذكر عبد الله بن طاهر هذه الابيات فقال :

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر، وغصنك ميّاد ، ففيم تنوح ؟
أفق لا تنح من فير شيء ، فانني بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب ، فها انا أبكي والفؤاد جريح

ثم طلب الى عوف بن محلّم ليجز ذلك فأجازه .

---

(١) معجم البلدان - مادة الري .

٣- محمد بن طاهـــــر الثانــــي

كان محمد بن طاهر الثاني من أهل الادب ، يكرّم الادباء ويقرّبهم . سمع اسحاق بن راهويه (١) ومحمد بن يحيى الزهري . وروى عنه احمد بن حاتم المروزي (٢) . وكان يجالس الادباء كثيرا ويقدّر مقامهم ، وله شعر رقيق عذب يدل على روحه الادبية ولكن لـــم يصلنا من شعره الا أبيات قليلة فمنها ما قال :

عيون اذا عاينتها فكأنمــــا ... دموع الندى من فوق اجفانها در

محاجرها بيض واحداقها صـــــــــفر وأجسامها خضر وانفاسها عطر

بروضة بستان كأن نباتــــه ... تفتّح وشي حين باكره القــطر(٣)

ولقد أورد صاحب المستطرف أبياتا في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي من نوائب الدهر نسبها الى ابن طاهر فرجحنا ان تكون لمحمد بن طاهر وليس لجده عبد الله بن طاهر الذى كان في رفاه ونعمة وعزة وجاه . أما الابيات فهي :

حذرتني وذا الحـــذر ... ليس يغني من القدر

ليس من يكتم الهـــوى ... مثل من باح واشتهر

انما يعرف الهـــوى ... من على مرّه صــــبر

نفس يا نفس فاصـــبري ... فاز بالصبر من صـــبر (٤)

---

(١) شذرات الذهب ٢ : ٢٣١
(٢) تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٧
(٣) البصائر والذخائر : ١٨٥
(٤) المستطرف ٢ : ٧٩

الفصل الثاني

الطاهريون والغناء

اهـــتمام الطاهـــريين بالغنـاء

يعدّ الغناء وما يصحبه من الآلات الموسيقية من مظاهر الحضارة والترف عنـــد الشعوب وخاصة في بلاطات الملوك والامراء . وقد شاع في العهد العباسي ببغداد كثيرا وتبعتها الولايات والمدن الاخرى . وقلّد العمال روءساءهم في ذلك . وكان من أمـــر ذلك شيوعه بعد أن جلبوا القيان والمغنين واهتموا باقتناء الجوارى المغنيات والمغنـــين وتهافتوا على شرائهم وتنافسوا في اقتناء أحسنهم وأجودهم ودفعوا لذلك أموالا طائـــلة وأسرفوا في ذلـــك .

١ـ طاهـــر بن الحســـين والغنـــاء :

ومن هذه المدن هي نيسابور بخراسان ، وخراسان كما نعلم هي مهد حضارة قديمة وعريقة ، وقد ذكرنا ان طاهر بن الحسين كان بخراسان ، قبل أن تتحرك به الحال ، يتعشق جارية في جيرانه يقال لها " ديذا " وكانت صنّاجة بنيسابور بارعة في صناعتها ، فنزل موضعا يقال له " دروان كوش" وفيه تغني ، ولعل هذا الموضع هو ميدان زياد . ولما تحركـــت بطاهر الحال أصبح له عدد من الجوارى ، بالقبة الطاهرية من داره بمدينة السلام (١) . ويبدو أن بلاطه بخراسان كان يضم عددا من الجوارى ولا بد انه كان فيهن عدد مـــن من المغنيات . وكان احمد بن سعيد المالكي ، احد قواد طاهر ، مغنيا منقطعا الـــى طاهر وولده (٢) وله اخبار في الاغاني .

---

(١) الديارات : ٨٦

(٢) الاغاني ـ دار الكتب ٦ : ١٧٧

٢- طلحة بن طاهر والغناء :

وكان طلحة كأبيه يحب الجوارى المغنيات - غير مفرط في ذلك شأنه شأن ابيه - والمغنين وكانت جوارى أبيه يخرجن اليه . فذكرت خزامى جارية العباس بن جعفر الاشعثي الخزامي اليمامية لطلحة جارية مغنية قدم بها من العراق . فأمر طلحة باحضارها ، فأحضرت مع مولاها ، فأدخلت وقعد مولاها خارج الدار فنوولت العود وقيل تغني ، فاندفعت تغني :

شوقي اليك جديد	في كل يوم يزيد
والعين بعد دموع	مثل السحاب يجود

وهي تبكي ودموعها على عودها تقطر . فقال لها طلحة : ويحك مالك تبكين ؟ فقالت : انها تحب مولاها ومولاها يحبها . فقال طلحة : فلم يبيعك ؟ قالت : الخلّة ، فأمر بشرائها فاشتريت باثني عشر ألف درهم ، ودفع المال الى المولى . ثم أمر بمسئلته عن الخبر فوافق قول الجارية ، فأمر طلحة بتسليم الجارية اليه وترك المال عليه [1] .

وكان اذا عزم على الشرب بعث الى مغن أو مغنية وقد بعث الى محمد بن المثنى بن الحجاج مرة وقال له : بالله غنيني فغناه :

اني لأكنى بأجبال عن أجبلها	وباسم أودية عن اسم واديها
عمداً ليحسبها الواشون غائبة	اخرى ويحسب اني لا أباليها

فقال له طلحة : أحسنت ، والله ، أعد . فما زال يعيدهما عليه حتى حضرته العتمة . فقال طلحة لخادم له : هل بالحضرة من مال ؟ قال الخادم : مقدار سبع بدر . فقال طلحة : تحمل معه . فلما خرج محمد بن المثنى ، تبعه جماعة من الغلمان يسئلونه ، فوزّع المال فيهم :

---

(١) كتاب بغداد : ٩٤

فرجع الخبر الى طلحة ، فكأنه وجد عليه من ذلك ، فلم يبعث الى محمد ثلاثا . فجلس ابن المثنى ليلة فتناول الدواة وأنشأ يقول :

ملّمني جودك السماح فما ... أبقيت شيئا لدى من صلتك

تمام شهر الا سمحت بـــه ... كأن لي قدرة كمقدرتـــك

تتلف في اليوم بالهبات وفي الـــساعة ما تجتنيه في سنتك

ولست أدرى من أين ينفق لو ... لا أن ربي يجزى على هبتك

فلما كان في اليوم الرابع ، بعث طلحة الى ابن المثنى ، فدخل فسلّم ، فرفع طلحة صوته الى محمد ثم قال : اسقوه رطلين فسقي . ثم قال طلحة : غني ، فغناه محمد بهذه الابيات الاربعة . فقال له طلحة : أدن . فدنا محمد . فقال له : اجلس . فجلس . فقال له : أعد الصوت . فأعاده ففهمه ، فلما عرف معنى الشعر قال الخادم له : احضرني محمد - يعني الطاهرى - فقال له ما عندك من مال الضياع؟ قال ثمانمائة ألف . قال : احضرنيها الساعة . فجيء بثمانين بدرة . فقال : غلمان ؟ فاحضر ثمانون مملوكا . فقال : أوصلوا المال . ثم قال لابن المثنى : يا محمد ، خذ المال والمماليك لا تحتاج أن تعطيهم شيئا [1] .

٣- عبد الله بن طاهـــر والغنـــاء :

كان عبد الله بن طاهر - كما وصفه الثعالبي [2] - اديبا ظريفا جيد الغناء ، ويقع في الذروة من آل طاهر في اهتمامه بجميع النواحي ولا سيما الشعر والغناء فكان حبه لـــه كثيرا بحيث قال له المأمون : ليس فيك عيب الا أنك تحب الشعر وأهله [3] . واهتم بالمغنين

(١) كتاب بغداد : ٩٥ ، ومن الاغاني - ط - دار الكتب ١٦ : ٣٣٦ نسبها الى اسحاق الموصلي .
(٢) المنتحل : ٢٣٢
(٣) كتاب بغداد : ١٦٤

والمغنيات اهتمامه بالادباء والشعراء وكان متضلعا في فنون الغناء استاذا بارعا وفنانا قديرا ، عالما بالغناء والالحان والاصوات معلما حاذقا وصانعا ماهرا . وكان مجلسه ندوة للموسيقى والغناء ومجمعا لأهل الادب يرتاده فحول هذا الفن كاسحاق ابن ابراهيم الموصلي الذى كان على صلة وثيقة به وكذلك مخارق وعلوية وغيرهم من أمراء الغناء في ذلك العهد ، وكان لعبد الله هذا رأيه واجتهاده في هذه الامور .

وكان اسحاق الموصلي كثير الملازمة لعبد الله بن طاهر ، ثم تخلّف عنه مدة ، وذلك في أيام المأمون ، فقال عبد الله لجاريته لميس : خذى لحن اسحاق الموصلي في : أماوى ان المال غاد ورائح . فاخلعيه على : وهبّت شمال آخر الليل قرة [1] ولا ثوب الا بردها وردائيا . والقيه على كل جارية تعلّمينها وأشهريه ، وألقيه على من يجيده من جوارى زبيدة ، وقولي : أخذته من بعض عجائز المدينة ، ففعلت ، وشاع أمره حتى فنّى به بين يدى المأمون ، فقال المأمون للجارية : ممن أخذت هذا ؟ فقالت : من دار عبد الله بن طاهر من لميس جاريته ، وأخبرتني انها أخذته من بعض عجائز المدينة . فقال المأمون لأبي محمد ، اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، ويلك ! قد صرت تسرق الغناء وتدعيه ، اسمع هذا الصوت ، فسمعه اسحاق ، فقال : هذا وحياتك لحني ، وقد وقع علي فيه نقب من لص حاذق ، وأنا أغوص عليه حتى أعرفه ، ثم بكّر اسحاق الموصلي الى عبد الله بن طاهر فقال : أهذا حقي وحرمتي وخدمتي ! تأخذ لميس لحني فتغنيه في " وهبّت شمال .. " وليس بي ذلك ، ولكن بي أنها فضحتني عند الخليفة وادّعت انها أخذته من بعض عجائز المدينة ، فضحك عبد الله وقال : لو كنت تكثر عندنا كما كنت تفعل لم تقدم عليك لميس ولا غيرها ، فاعتذر فقبل عذره عبد الله وقال لاسحاق : أى شيء تريد ؟ قال اسحاق : أريد أن تكذب

---

(١) قرة : باردة .

لميس نفسها عند من ألقته عليها ، حتى يعلم الخليفة بذلك ، قال عبد الله بن طاهر : افعل ، ومضى اسحاق الى المأمون وأخبره القصة ، فاستكشفها من لميس حتى وقف عليها . وجعل المأمون يعبث باسحاق بذلك مدة .

وكان لحنه في الرمل ، وهو رمل نادر ، ابتداؤه صياح ، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سجحة [١] .

وهكذا أراد عبد الله تأديب اسحاق الموصلي بمعاودته وزيارته وأن يبرهن له ولغيره أنه ان لم يكن أقدر من اسحاق في صنعته فانه لا يقل عنه فرمى بسهمه عصفورين . وليست هذه المرة التي بها يبرهن على اسحاق وغيره بل كانت صنعته دائمة وقد قال لاسحاق يوما : اني قد عملت ابياتا فاسمعها . قال : هاتها . فأنشد عبد الله بن طاهر صوته :

ألا من لقلب مسلم للنوائب	أحاطت به الاحزان من كل جانب
تبيّن يوم البين ان اعتزامه	على الصبر من بعض الظنون الكواذب
صوت : حرام على دامي فؤادي بسهمه	دم صبه بين الحشا والترائب
أراق دما لولا الهوى ما أراقه	فهل بدمي من ثائر أو مطالب

فقال اسحاق لعبد الله : ما سمعت أحسن من هذا قط . فقال عبد الله لاسحاق : اصنع فيه . فصنع فيه لحنا ، وأحضره عبد الله وصيفة له . فألقاه اسحاق عليها حتى أخذته . فقال عبد الله لاسحاق : انما اردت ان أتسلّى به في طريقي لمحاربة بابك الخرمي — وتذكرني به الجارية أمرك اذا غنته . فكان كلما ذكر عبد الله ، أتى اسحاق برّه ، الى أن قدم ، عدة دفعات . وكان خفيف رمل [٢] .

---

(١) الاغاني (ط — دار الكتب) ٥ : ٣٣٦ — ٣٦٨ و (ط — دار الثقافة) ٥ : ٣٣٤
(٢) نفس المصدر ٥ : ٤١٣ — ٤١٤ نفس المصدر ٥ : ٣٧٨

ففي الصنعة الاولى أثبت حذقه في التقليد وفي الثانية مهارته في الصنعة والعمل .
ولم تتوقف قدرته عند حديهما بل تجاوز الى صنعة الالحان "الاصوات" والغناء" التغني .(١)
فنجده يصنع صوتا ثقيلا ، أولا بالوسطى في :

أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى ... ولا المال الا من قنا وسيوف

والشعر لاخت الوليد بن طريف الشارى . فعبد الله كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر
ولطف مكان من الخلفاء ، يستغنى به عن التقريظ له والدلالة عليه — على حد قول أبي الفرج —
وأمره مشهور عند الخاصة والعامة ، وله في الادب والغناء المحل الذى لا يدفع (٢) . وقد
عمل صوته أيضا في شعر مسعود بن شداد أو غيره وهو :

هلا سقيتم بني سهم اسيركم ... نفسي فداؤك من ذى غلّة صادى (٣)
والغناء فيه خفيف ، ثقيل بالبنصر ، صنعه ونسبه الى مالك بن أبي السمح .

ولكنه مع احاطته بالغناء والاصوات فان عبد الله لم يكن يحب ان يشيع عنه شيء من هذا
ولا ينسب اليه لانه كان يترفّع عن الغناء ، وما جس بيده وترا قط ولا تعاطاه ، مع علمه في هذا
الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا يعرفه كبير أحد . فبلغ من علم ذلك ان صنع أصواتا
كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذن عنه وغنّين بها ، وسمعها الناس منهن وممن أخذ عنهن
فكانت داهـــة جارية لآل الفضل بن الربيع قد أخذت صوت عبد الله المنسوب الى مالك بن
أبي السمح من جوارى عبد الله ، وهي لا تدرى انه من صنع عبد الله ، وكانت ترغب الى عبـــد

---

(١) الاغاني (ط — دار الكتب) ١٢ : ٩٣ و (ط — دار الثقافة) ١٢ : ٨٥
(٢) نفس المصدر ١٢ : ١٠٦ — ١١٠ " " ١٢ : ٩٧ — ١٠١
(٣) نفس المصدر ١ : ٩٦

الله بن طاهر كثيرا ، فلما ندب المأمون عبد الله الى مصر أخذ عبد الله داحة هذه معه وكانت تغنيه بذلك الصوت ، ولم يفش عبد الله لها الامر ، وأخذه المغنون أيضا عنها ورووه لمالك مدة . ثم قدم عبد الله العراق ، فحضر مجلس المأمون وغنى الصوت بحضرته ونسب الى مالك فضحك عبد الله كثيرا . فسئل عن القصة فصدّق واعترف بصنعته ، فكشف المأمون عن ذلك ، فلم يزل كل من سئل عنه يخبر عمن أخذه عنه فتنتهي القصة الى داحة ثم تقف ولا تعدوها . فأحضرت داحة وسئلت فأخبرت بقصته ، فعلم انه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على اسحاق الموصلي وطبقته انه لمالك .

نرى في هذا أيضا مهارة عبد الله واستيلاءه على الصنعة بحيث لا يتردد اسحاق بقبول الصوت من صنع مالك بن أبي السمح حتى يعلم أنه لعبد الله ، ولم يعجب اسحاق شيء منه عجبه من عبد الله وحذقه بمذاهب الاوائل وحكاياتهم (١) .

والاصوات التي غنّى فيها عبد الله كثيرة . وكان ابنه عبيد الله اذا ذكر شيئا منها قال : الغناء للدار الكبيرة يعني لأبيه عبد الله ، واذا ذكر شيئا من صنعته قال : الغناء للدار الصغيرة .

ومن صنعة عبد الله بن طاهر في الالحان غناء لابن طنبورة خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى . أما لحن عبد الله فيه فثاني ثقيل بالبنصر وهو :

راح صحبي وعاود القلب داء ... من حبيب طلابه لي عناء

حسن الرأى والمواعيد لا يلغي لشيء مما يقول وفاء

من تعزّى عمّن يحب فاني ... ليس لي ما حييت عنه عزاء

---

(١) الاغاني (ط ـ دار الكتب) ١٢ : ١١٢ و (ط ـ دار الثقافة) ١٢ : ١٠١

وكان عبد الله نسبه الى جاريته لميس (١)

ولعبد الله لحن آخر يقول فيه :

فمن يفرح ببينهم فغيري اذ غدوا فرحا (٢)

وغناؤه في شعر منصور النصري :

يا زائرينا من الخيام حيّاكما الله بالسلام
يحزنني ان اطفأتما بي ولم تنالا سوى الكلام
بورك هارون من امام بطاعة الله ذي اعتصام
له الى ذي الجلال قربي ليست لعدل ولا امام

وهذا الغناء رمل (٣) .

وكان يعرفه المأمون والمعتصم ويعرفون مكانته وولعه بغنه وحبه له ، فكان عبد الله قد وجد على بساط طبري اصبهذي أهدى اليه من طبرستان بيتين من الشعر هما :

لجّ بالعين واكف من هوى لا يساعف
كلما كف غربها هيجته المعازف

فقال لاسحاق الموصلي ان يغنيه فيهما ففعل ، فأعجب بالصوت ووصله بصلة سنية ، وكان يشتهيه ويقترحه ، فطرحه اسحاق على جواري عبد الله ، وشاع خبر اعجاب عبد الله به ، فبينا المعتصم يوما جالس يعرض عليه فرش الربيع ، اذ مر به بساط ديباج في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما بيتان آخران هما :

---

(١) الاغاني - دار الكتب ٨ : ٢٦٩
(٢) الاغاني - دار الثقافة ١٢ : ١٠٣
(٣) الاغاني - دار الكتب ١٣ : ١٣٩

انما الموت ان تفـــــارق من انت آلـــف
لك حبّـــان في الفـــؤاد تليد وطـــارف

فأمر المعتصم بالبساط فحمل الى عبد الله بن طاهر ، وقال المعتصم للرسول : قل لعبـد الله اني قد عرفت شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلما وقع البساط أحببت ان أتم سرورك به . فشكر عبد الله ما تأدّى اليه من هذه الرسالة وأعظم مقداره وقال لاسحاق الموصلي : لسروري بتمام الشعر أشد من سروري بكل شيء . فألحقهما اسحاق في الغناء بالبيتـين الاولين بأمره (١) .

ولقد جمع عبد الله بن طاهر يوما بين المغنين وأراد اختبارهم فأخرج بدرة دراهم سبقا لمن تقدم منهم وأحسن ، فحضره مخارق وعلوية وعمرو بن بانه ومحمد بن الحارث بسخو .

فغنى علوية فلم يصنع شيئا ، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيله . فامتدت الاعين الى مخارق وعمرو . فبدأ مخارق فغنى : اني امرؤ من خيرهم عمي وخالي مـــن جذام ، فلما جاء دور عمرو نهنه مع انقطاع نفسه حتى غنى :

يا ربع سلامة بالمنحنى بخيف سلع جادك الوابل

وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فبكى طربا وقال : أحسنت والله واستحققت ، فان اعطيته والا فخذه من مالي ، يا حبيبي عني أخذت هذا الصوت وقد - والله - زدت علـيّ فيه وأحسنت غاية الاحسان . فقال له عبد الله : من حكمت بالسبق فقد حصل له . وأمـر بالبدرة فحملت الى عمر بن بانة . فبلغ الخبر اسحاق الموصلي وأيّد تفضيل عمرو بن بانـة على منافسيه (٢) .

---

(١) الاغاني - دار الكتب ٥ : ٤٢٨ - ٤٢٩ و (ط - دار الثقافة) ٥ : ٣٩١
(٢) الاغاني (ط - دار الثقافة) ١٥ : ٢١٦ و (ط - دار الكتب) ١٥ : ٢٧٥

نجد عبد الله هنا أديبا ناقدا وفي كل حالاته — وقد رأيناه مع الشعراء في بحث الادب كذلك — ولكني أشك في حكمه هنا بالذات هل صدر عن ايمان وعقيدة أو أنه احتاط في الامر وصانع ولم يرد تجريح ابراهيم بن المهدي وهو عم الخليفة واثارة غضبه وكرهه ضده — وقد رأينا ابراهيم كيف ذم طاهرا فيما سبق بقوله .

— لانني أرى عبد الله يقول : لو اقتصرت على رجل واحد لما اخترت سوى علويه ، لانه ان حدثني ألهاني وان غناني أشجاني ، وان رجعت الى رأيه كفاني [١] . فكيف يناقض قوله فعله ؟ بقي لنا ان نقول : فكيف يفضل اسحاق الموصلي عمرو بن بانه على علويه ؟ فأرى ان سببه عداؤه لعلوية وكرهه له فلعله كان على خلاف مع علويه أو حقده له والدليل على ذلك هو أنه لما أخبر بذلك قال له ولعمرو بن راشد الخنّاق لو شاء عبد الله لكان في راحة من ذلك لأن مخارق فهو أحسن القوم غناء اذا اتفق له ان يحسن وقلما يتفق له ذلك ! وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل وأملحهم اشارة بأطرافه ووجهه في الغناء ، وليس له غير ذلك ، وأما عمرو بن بانه فأعلم القوم وأرقاهم ، واما علويه فمن أدخله ابن الزانية ! مع هؤلاء [٢] . واسحاق ذا نفسية حاسدة حاقدة نجده يحسد تلميذه زرياب ذا المواهب في الغناء فيحس زرياب حسد استاذه ويسير الى الاندلس خشية ايقاعه به فيحدث هناك انقلابا في الغناء ويخلّد في تاريخ الاجيال الى يومنا هذا .

ومما صنعه عبد الله ونسب الى غيره هو الخفيف الثاني المنسوب الى فليح وقد غيّر — كما ظن ابو الفرج — في دور الطاهرية فكان يغنّى في زمان أبي الفرج هكذا :

أيا جارتا دومي فانك صادقة ومومومقة فينا كذلك وامقة

---

(١) الاغاني (ط — دار الثقافة) ١١ : ٣٢٠ و (ط — دار الكتب) ١١ : ٣٤٢

(٢) الاغاني (ط — دار الكتب) ١٥ : ٢٧٥

ولم نفتترق ان كنت فينا دنيئة ولا أن تكون جئت فينا ببائقة (١)

وكان عبد الله لا يكتفي بالقليل في الأدب والغناء فكان يحاول التفوق دائما أصنعه هو أم صنعه له غيره ولذا فقد أمر اسحق بن ابراهيم ليصنع له لحنا يجمع النغم العشر فصاغ اسحق بأمر عبد الله لحنه في :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد تليع تزينه الاطواق
وشتيت كالاقحوان جلاه الطل فيه عذوبة واتساق

فلم يكن في غناء العرب جميعا صوتا بطوله (٢) .

ولعبد الله بن طاهر أخبار كثيرة في الغناء والموسيقى مبعثرة في الكتب المطبوعة والمخطوطة التي وصلت الينا ام لم تصل . كما عمل يحيى المكي – وهو الامام في الغناء والموسيقى يومئذ – كتابا في الغناء والنغم يضم نسب الصوت للمتقدمين وأهداه الى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ حديث السن ، فاستحسنه عبد الله وضمّ الكتاب الى خزانته (٣) .

اما اقتناؤه الجوارى ، فلم يكن لعبد الله بن طاهر جارية واحدة كلميس ، كذلك لم يتصل به ويرغب فيه مغن واحد أو جارية كداحة ، بل كانت من الجوارى الاديبات والمغنيات أسراب بحيث غفل التاريخ ذكر كثير منهن أو ضاعت المصادر التي كتبت عنهن الا ما يلتقط من بطون الكتب كشذرات منثورة وقطعات مبثوثة . وقد ذكرت بعض المصادر نتفا عن جواريه دون ذكر اسمائهن . فنجد في كتاب المستجاد قصة عن جارية كانت حظيّة عنده

---

(١) الاغاني (ط – دار الكتب) ٩ : ١٢٢ – ١٢٣
(٢) نفس المصدر ٩ : ٦٠
(٣) نفس المصدر ٩ : ١٧٥ – ١٧٦

ثم وهبها لكاتب عنده [١] . ونقع على اسم جارية اخرى وهي محبوبة أهداها عبد الله بن طاهر من جملة اربعمائة جارية الى المتوكل ! [٢]

والمعروف عن عبد الله أنه اذا بلغه عن جارية اديبة مغنية أقدم على شراءها مهما كلّفت . وكان من اصحابه ابو السمراء يبلغه بذلك ويبحث له عن مثل هذه الجوارى . فدخل ابو السمراء نزل نخاس في شراء جارية ، فسمع في بيت ، بازاء البيت الذى كان فيه ، صوت جارية وهي تقول :

وكنّا كروح من قطاني مفـازة لدى خفض عيش معجب مونق رغد
أصابهما ريب الزمان فأفردا ولم نر شيئا قط أوحش من فـرد

فقال ابو السمراء للنخاس : أعرض علي هذه الجارية المنشدة . فقال النخاس : انها شعثة مرهاء حزينة ، اشتريتها من ميراث فهي باكية على مولاها . ثم لم يلبث ابو السمراء أن أنشدت الجارية :

وكنا كغصني بانة وسط روضة نشم جنى الروضات في ميشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيا فردة باتت تحن الى فـــرد

فكتب ابو السمراء الى عبد الله بن طاهر يخبره بخبرها . فكتب عبد الله اليه أن ألق عليها هذا البيت ، فان أجابت فاشترها ولو بخراج خراسان ! والبيت :

بعيد وصل قريب صـــد جعلته منه لي ملاذا

فألقاه عليها ابو السمراء . فقالت الجارية في سرعة :

---

(١) المستجاد من فعلات الاجواد : ٢٣٢
(٢) نهاية الارب ٥ : ١١٢

وعاتبوه فذاب عشـــقا　　　ومات وجدا فكان ماذا

فاشتراها ابو السمراء بألف دينار وحملها الى عبد الله ، فماتت في الطريق قبل أن تصل اليه ، فكانت احدى الحسرات الى عبد الله بن طاهر (١) .

ومن علو شأن الرجل وترفعه عما يسيء سمعته ويضر بجواريه واخلاقهن نجده يستحي أن يعرف عنه انه سمع مثل عبيدة الطنبورية مثلا لتفاهة شخصيتها والاباحية غير المحدودة التي عرفت بها . ولعل عبد الله كان عن شغف اليها ورغب في الاستماع الى غنائها — كلما كان يحضر لغناء شارية ولكنه يبتعد عن الطنبورية لانحلال اخلاقها وسمعتهـــا السيئة مع أنها كانت ابنة صباح مولى أبي السمراء الغساني صديق عبد الله ولكن مســـألة الاتصال بمثل الطنبورية ومن لف لفها والاستماع اليها ، أو ظهور الرغبة في مجالسها أمـر كان يتوقّاه بعض الشخصيات المعروفة كعبد الله بن طاهر واسحق بن ابراهيم المصـــعبي وغيرهما من الامراء والاشـــراف . ولذلك لا نجد في الاخبار ذكرا للطنبورية ونظائرها فـي مجالس عبد الله أو حضور عبد الله في مجلس فنّت فيها الطنبورية وأمثالها (٢) .

٤ — طاهـــر بن عبد اللـــه :

أما طاهر الثاني فيظهر أن بلاطه لم يخل من الجوارى والمغنيات وان صحّ رأينـا فيما أبديناه في الكلام عن أبيه عبد الله من افتراضنا اهداء محبوبة للمتوكل مع اربعمائـــة جارية اخرى كان من قبل طاهر وليس من جانب ابيه فقد توصلنا الى هذه الغاية بـــأن بلاطه كان يموج بالجوارى بحيث يهب أو يهدى اربعمائة منهن الى الخليفة دفعة واحدة

---

(١) الامالي ٢ : ٢٣
(٢) نهاية الارب ٥ : ١١٤

أو دفعات . وهذا ليس بغريب فان طاهرا ربيب مدرسة عبد الله الاستاذ البارع كما انه أخو عبيد الله المتفوّق على أهل عصره .

واختفاء اخبار مجالس غنائه لا يدل على عدم وجود ذلك اذ الشرب يستدعي الغناء ومجالسه فهو شاعر اديب من جهة ، ويهوى الصيد ويقيم مجالس الشرب فيغنيه فيه مغن أو مغنية على أقل تقدير . وصادف ان خرج مرة الى الصيد وقد خرج معه علي بن الجهم مرافقا له واتفق لهم مرج كثير الطير والوحش ، وكانت ايام الزعفران ، فاصطادوا صيدا كثيرا حسنا ، وأقاموا يشربون على الزعفران واستأنسوا يومهم وقضوه في مرح وارتياح . ولقد وصف لنا ابن الجهم ذلك المنظر والمنتزه ومواقف الصيد دون وصف مجلس الشرب ولكن اثبات الشيء لا ينفي ما عداه . فقال ابن الجهم :

وطئنا رياض الزعفران وأمسكت	علينا البزاة البيض حمر الدرارج
ولم تحمها الادغال منا وانما	أبحنا حماها بالكلاب النوابح
بمستروحات سابحات بطونها	على الارض امثال السهام الزوالج
ومستشرقات بالهوادى كأنها	وما عقفت منها رؤوس الصوالج
ومن دالعاتٍ السنا فكأنها	لحى من رجال خاضعين كواسج
فلينابها الغيظان غليا كأنها	أنامل احدى الغانيات الحوالج
فقل لبغاة الصيد هل من مفاخر	بصيد وهل من واصف أو مخارج ؟
قرنّا بزاة بالصقور وحوّمت	شواهيننا من بعد صيد الزمامج [1] .

---

(١) الاغاني (ط ـ دار الثقافة) ١٠ : ٢٣٦

هذه قطرة من بحر طربه لم نعثر على أكثر منها وكما يقول المثل الفارسي : مشت نمونه خرواري " ، أي ان الحفنة تنبيء عن أطنان لانها النموذج والمسطرة لذلك أوردنا ذكر مجلس من مجالسه وما وصل الينا خبره .

٥- محمد بن طاهر الثاني :

ومحمد بن طاهر الثاني هو الآخر ممن ضمرت أخباره وضاعت واختفت الا ان أبا الفرج احتفظ بشيء يسير جدا يدلنا على كثير اذ الذرة ام الاشياء فنقل خبرا واحدا من كتاب محمد بن طاهر يوحي هذا الخبر بوجود كتاب في الاغاني لمحمد هذا رآه الاصبهاني ونقل عنه ، ولكن طمرته الايام فاختفى من الانظار . أما الخبر فهو لا يخص آل طاهر مطلقا وانما هو من اخبار الرشيد منقول في ذلك الكتاب (١) .

ولعل محمدا - ولا مجال للشك فيه - كان تالي تلو أبيه وجده وعمه عبيد الله ومحمد بن عبد الله يقتني الجواري الغانيات ويحضر في مجلسه المغنيات أو يحضرهن هو فلا فرق فيه اذ الغرض حبه لهذا الفن وتشاغله به وبأخباره .

---

(١) الاغاني (ط - دار الكتب) ١٠ : ١٧٥ - ١٧٧

الفصل الثالث

الادب والعلم في ظل بني طاهر

تشجيع الطاهريين للآداب والعلم

تشـــجيع الطاهـــريين للآداب والعلوم والتأليف

١- نظـــرة عامـــة :

لقد كان الطاهريون من خيرة المشجعين للآداب والعلوم ، فضلا عن اشتغالهـــم بالآداب ، وكانوا يهتمون بالعلماء والادباء فيغدقون لهم الاموال ومن ذلك ، ما أشرنا اليه قول ابن المعتز في طاهر بن الحسين حيث قال : "انه لا ينفق عنده شيء من متعـــة الدنيا كما ينفق الأدب [١] ." ولم يكن هؤلاء يسعفون الشعراء المادحين فحسب وانما كانوا ينفقون في ترويج العلم والادب فلقد أمر طاهر بن الحسين الفرّاء أن يصنع لابنـــه عبد الله بن طاهر كتاب البهّي [٢]. ومن جليل أعماله في هذا السبيل هو أنه حمل أبا عبيد القاسم بن سلام من مـــرو بخراسان وأخذه معه الى بغداد فأصبح هذا فيما بعـــد من مشاهير العلماء والمؤلفين [٣] . والتاريخ يشهد ببرّه واحسانه لأهل العلم والادب .

وكان طلحة بن طاهر يحب العلماء أيضا ويكرّمهم ، كما كان يكرّم اصحاب الشعر والغناء ، فلما قدم سيبويه الى بغداد ، وناظر الكسائي وأصحابه فلم يظهر عليهم ، سأل عن مـــن يبذل من الملوك ويرغب في النحو . فقيل له : طلحة بن طاهر . فشخص اليه الـــى خراسان ، ولكنه لما انتهى الى ســاوه - من نواحي قـم - مرض مرضه الذى مات فيه [٤].

أما الامير عبد الله بن طاهر الذى كان له اطلاع كثير بالشعر والادب فقد كان يمتحن

---

(١) طبقات الشعراء : ١٨٦
(٢) معجم الادباء - مرجليوث - ٢ : ١٣٧
(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥
(٤) نزهة الالباء في طبقات الادباء : ٤١

الشعراء أحيانا . فلما وفد اليه عدة من الشعراء وعلم أنهم على بابه قال لخادمه وكـــان أديبا : اخرج الى القوم وقل لهم : من كان منكم يقول كما قال كلثوم بن عمرو في الرشـــيد فليأت والا فليرحل . فدخل أربعة . ثم خرج الخادم ثانية وقال : من يضف الى هـــذا البيت على حروف قافيته بيتا ؟ وهو :

لم يصح للبين منهم صرد   وغراب لا ولكن طيطوى

فقال رجل من اهل الموصل :

فاستقلوا بكرة يقدمهم   رجل يسكن حصنى نينوى

فقال عبد الله للرسول : قل له لم تعمل شيئا ، فهل عنده غيره شيء ؟ فقال ابو السـناء القبسي :

ونبيطيّ طغا في لجة   صاح لما كظه التعطيط وى

فصوّبه عبد الله وأمر له بخمسين دينار .

وقال عبد الله بيتا هو :

قنبرة تنقر في قرية   وسط قراح لبنى منقر

ثم قال للشعراء : من كان منكم يجيب ببيت مثله فيه خمس قافات وخمس راءات ؟ فقـال بعض الشعراء :

مرت به منقر واستأنست   بقمرى ينقر مع قـــنبر

فصوبه عبد الله وأجازه (١) . كما رأيناه استرذل شعر روح الشاعر واستضعفه ورده عليه (٢) فله اذن آراءه النقدية .

---

(١) كتاب بغداد : ١٦٤

(٢) معجم الادباء ٦ : ٩٥ ، وطبقات ابن المعتز : ١٩٠

وكان يحيط به أنصار الشعر المطبوع حتى أنه كان يعتمد عليهم في الحكم بجودة الشعر ورداءته ولذلك فقد رسم في أمر من يقصده من شعراء الاطراف ان يؤخذ المديح منه فيعرض على ابي سعيد المكفوف مؤدب ولده أولا (١) ، وقيل على أبي العميثل (٢) ، وقيل على كليهما (٣) ، فما كان منه يليق بمثله أن يسمعه من قائله في مجلسه أنفذه ابو سعيد اليه — والقائل له معه ، فأنشده اياه في مجلسه . وما لم يكن بالجيد أو كان مهجّنا لم يعرضه ولم ينفذه أو تقدم بين القاصد به .

وتشير الروايات الى أن ردودا حصلت فعلا من قبل هؤلاء الحكام والمعتمدين ، فلما رحل أبو تمام — وكان امام مذهب الصناعة والتصنيع في الشعر — بلاط عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التي أولها :

أهنّ عوادى يوسف وصواحبه فعزما فقدما أدرك الثأر طالبه

رفعت القصيدة الى أبي سعيد ، وكان خبر أبي تمام عنده ، فلما قرأ الكاتب عليه أول بيت منها اغتاظ لذلك ، وقال للكاتب : ألقها ، أخزى الله حبيبا ، يمدح مثل هذا الملك الذى فاق أهل زمانه كمالا بقصيدة يرحل بها من العراق الى خراسان ، فيكون أولها بيت نصفه مخزوم والنصف الثاني مويص ! وتمكّن له في نفس أبي سعيد كراهة ذلك . ثم ان أبا سعيد — وقيل أبا العميثل (٤) — لقي أبا تمام ، فقال له : يا أبا تمام ، لم لا تقول من

(١) الموشح للمرزباني : ٤٩٩

(٢) سر الفصاحة للخفاجي : ٢١٦

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزقي نقلا من كلام التبريزى ١ : ٣ — ٤

(٤) سر الفصاحة للخفاجي : ٢١٦

"قال التبريزى في شرح ديوان الحماسة أن أبا العميثل وأبا سعيد قد أسقطا البيت الاول من قصيدة أبي تمام بعد أن سمعا ما تلاها من الابيات بقوله :

وركب كأطراف الاسنّة عرّسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

واستحسنا هذين البيتين وما بعدهما من الابيات وعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر وأخذا له ألف دينار ."

الشعر ما يفهم ؟ فقال له أبو تمام : وأنت يا أبا سعيد لم لا تفهم من الشعر ما يقال (١).

ويبدي الخفاجي رأيه في قولهما فيقول : ان الذي قاله أبو تمام وأبو العميثل صحيح ، لأن أبا العميثل طلب من أبي تمام اذ كان حاذقا في صناعة الشعر ، وقد قصد مثل عبد الله بن طاهر بالمديح ، أن يكون شعره مفهوما واضحا يسبق معناه لفظه ، فكان هذا من أبي العميثل صحيحا في موضعه ، وطلب أبو تمام من أبي العميثل اذ كان يدّعي علم الشعر ويتحقق بالادب ، ويخدم عبد الله بن طاهر في اعتراض قصائد الشعراء وترتيبهم على مقدار ما يستحقه كل منهم بحظه من الصناعة ، ان يكون يفهم معاني الشعر ، ويطّلع على الغامض والظاهر منها ، وكان هذا من أبي تمام صحيحا أيضا ، وكانا فيه بمنزلة من يقول لصاحبه : لم فعلت ذلك الفعل وهو قبيح ؟ فيقول : كما فعلت أنت ذلك الفعل الآخر وهو قبيح ، فيكون كل واحد منهما قد أجاب من طريق الجدل ، وان كان لم يدلّ على أنه اصاب وأخطأ صاحبه (٢).

ولقد حدث مثل هذا في موضع آخر وهو أن شاعرا من البصرة يقال له روح قدم على عبد الله بن طاهر فامتدح عبد الله بقصيدة ومدح عوفا بن محلم بأبيات ، فأنزله ابن محلم الخزاعي عنده وأحسن اليه .

ولما سمع أبياته وجدها ضعيفة جدا ، فقال لروح : أنشدني ما قلت في الامير - واستدل بما سمع ضعف نمط الرجل - فأنشده روح القصيدة . فقال له عوف : لا توصلها اليه ، فان الامير بصير بالشعر ، وهو يقول منه الجيد القوى ومثل هذا الشعر لم يقع منه موقعا ينفعك ولكني أقول فيه مدحة فانتحلها والقه بها . فأبى روح وظن ان محلما يقول

---

(١) الموشح للمرزباني : ٥٠٠

(٢) سر الفصاحة للخفاجي : ٢١٧

ذلك حسدا ، وكان الرجل رقيعا لا يفطن لعيب نفسه ، فقال له عوف : فشأنك اذا وما تريد . فأنشد روح قصيدته عبد الله . فقال له عبد الله : بمثل هذا الشعر يلقى الامراء والملوك ؟ أيقبل مثل هذا حر ؟ وردّها عليه . فصار روح الى عوف وشكا اليه . فقال له عوف : ألم أنصحك ؟ ألم أقل لك : انه لا يقبل مثل هذا الشعر ؟ فلما دخل عوف على عبد الله بن طاهر قال له عبد الله : ويحك يا أبا محلم ، أما سمعت شعر هذا القادم علينا فينا ؟ قال عوف : بلى ، أعز الله الامير ، قد سمعته ونصحت له فلم يقبل وقال في ذلك عوف :

أنشدني روح مديحا لـــه	فقلت شعرا ؟ قال لي : فآيش؟
فصرت لما ان بدا منشدا	كأنني في قبة الخيــــش
وقلت زدني وتغممتـــه	والثلج في الصيف من العيش (١)

وكان عبد الله يشجع المؤلفين ليؤلفوا له كتبا ويبذل لهم بسخاء فكان ممن يشجع حركة التأليف فقد طلب عبد الله الى الفرّاء أن يكتب له كتبا فألّف له كتبا منها كتاب المذكر والمؤنث وكتاب البهيّ (٢). فاستحسنه وسرّ به كثيرا وضمّه الى خزانته (٣) .

وهو الذى جلب معه العلماء والادباء الى نيشابور حين ولى عليها أمثال : الحسين بن الفضل البجلي ، أبو سعيد العزير ، ابو اسحاق القرشي ، أيوب الرهاوى ، عرام ، أبو العميثل ، عوف بن محلّم ، ابو العيسجور ، أبو العجنس ، عوسجة وابو الغدافير وغيرهم كثير (٤) . فتوسعت الحركة العلمية بنيشابور أكثر من ذى قبل وكان من متطلبات ذلك

---

(١) أورد الخبر بالتفصيل طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٩٠ ، ومعجم الادباء (مرجليوث) ٦ : ٩٥

(٢) معجم الادباء (مرجليوث) ٧ : ٢٧٨ و ٢ : ١٣٧

(٣) الاغاني (ط ـ دار الكتب) ٦ : ١٧٥ ـ ١٧٦

(٤) معجم الادباء ٣ : ١٧ ـ ٢٤

انشاء مكتبة كبيرة تضم مختلف الكتب رائجها ونادرها فأسس مكتبة راقية - مع وجود مكتبات أخرى تزخر بالكتب وجلب اليها أنواع الكتب فسميت بخزائن الطاهرية ظلت عامرة الى نهاية العصر الطاهرى بل وما بعد ذلك . فلم نكن نعثر على كتاب العين للخليل الا في هذه الخزائن (١) ، وله أعمال جليلة كبيرة في المضمار الادبي .

ولجمعه العلماء في بلاطه بخراسان قصة طريفة هي أنه لما قلّده المأمون ولاية خراسان وناوله العهد بيده قال عبد الله : حاجة يا أمير المؤمنين . قال المأمون : مقضية . قال : يسعفني أمير المؤمنين في استصحاب ثلاثة من العلماء . قال : من هم ؟ قال : الحسين بن الفضل البجلي وأبو سعيد الضرير وأبو اسحاق القرشي . فأجابه المأمون الى ذلك . فقال عبد الله : وطبيب يا أمير المؤمنين ، فليس في خراسان طبيب حاذق . قال : من ؟ قال : أيوب الرهاوى . فقال : يا أبا العباس ، فقد اسعفناك بما التمسته وقد أخليت العراق من الافراد . وقدم عبد الله بمن معه من الافراد خراسان . فأما الحسين بن الفضل فانه بقي في نيسابور يعلم الناس العلم ويفتي الى أن مات ٢٨٢ هـ وقيل عنه أنه لو كان في بني اسرائيل لكان من عجائبهم . وأما ابو سعيد فصار بهم اماما في الادب وكان أديب النفس عاقلا يؤيد ذلك ماقاله عبد الله بن طاهر وذلك عندما حضر أبو سعيد مجلس عبد الله يوما قدّم اليه طبق عليه قصب السكر وقد قشّر وقطّع كاللقم ، فأمره عبد الله أن يتناول منه . قال أبو سعيد : ان لهذا لغاظة ترتجع من الافواه ، وأنا أكره ذلك في مجلس الامير أيده الله . فقال له عبد الله : تناول ، فليس بصاحبك من احتشمك واحتشمته ، أما انه لو قسّم عقلك على مائة رجل لصار كل رجل منهم عاقلا . ولقد كان أبو سعيد هذا يختار المؤدّبين لأولاد قواد عبد الله بن طاهر ويبيّن مقدار أرزاقهم ويطوف عليهم ويتعهد

---

(١) اخبار الخليل بن احمد الفراهيدى من الفهرست : ٤٢

من بين أيديهم من اولئك الصبيان ، فاستقبله يوما ، في ميدان الحسين ، بعض اولئك المؤدبين . فقال له : يا فلان ، من أين وجهك ؟ قال المؤدب : من شاذياخ . قال أبو سعيد : زد فيه ألفا ولاما ، فقال المؤدب : من شاذ ياخال . قال ابو سعيد : اللهم غفرا ، زدهما في أول الحرف ويلك ، فقال : ألف لام شاذياخ . فقال : صم صداك كم رزقك ؟ قال : سبعين درهما . فقال : يصرف ويبدل به غيره وهو صاغر صدّ (١) .

ولم يكن عبد الله قد استصحب معه العلماء فحسب وانما جلب معه جماعة من فرسان طرسوس وملطية وجماعة من ادباء الاعراب منهم عرام وأبو العميثل وأبو العيسجور وأبو العجنس وعوسجة وأبو الغدافير وغيرهم فتفرس أولاد قواده باولئك الفرسان وتأدبوا باولئك الاعراب (٢) .

وكان طاهر بن عبد الله يحب العلماء ويحترمهم ويحترم اساتذته فلما بلغه عن القاسم بن سلّام علة بعث بمتطبب اليه مع خادم له الى دار أبي عبيد القاسم بن سلّام ليداويه ويعالجه (٣) .

وكان عبيد الله بن عبد الله استاذا في الموسيقى يؤخذ برأيه وفي الشعر والنقد والادب كذلك وقد كان ينافس أخاه محمدا في تكريم العلماء كما فعل ذلك في ايصال الزبير بن بكار (٤)

وكذلك محمد بن عبد الله بن طاهر فانه كان يكرّم العلماء ويقدّر مقامهم فقد نرى

---

(١) الصاغر الصد : الذليل الظامىء .
(٢) معجم الادباء ٣ : ١٧ — ٢٣
(٣) طبقات النحويين واللغويين ٣ : ٤٠
(٤) الاغاني (ط — دار الكتب) ٩ : ٤٢ — ٤٣

تكريمه لأحمد بن يحيى ثعلب كثيرا ولا سيما ان ثعلبا كان معلم ابنه (١) .

٢- الاهتمام بالموسيقى :

ولاهتمام الطاهريين بالغناء شجعوا التأليف في الموسيقى فكان التراجمة عندهم يترجمون لهم الكتب الموسيقية (٢) ، ويقول أبو الفرج : ان كتاب يحيى المكي في الغناء - وهو من أول الكتب التي وضعت في هذا الباب - انما عمله لعبد الله بن طاهر ، وكان لا يزال شابا حديث السن (٣) .

وكان الطاهريون شديدي التعصب للغة العربية كثيرا لأنها لغة القرآن الكريم ولغة الصلاة والدين ولأنهم اعتقدوا بأن اللغة الفارسية أصبحت لغة الشرك وقد ولّى زمنها فكانوا لا يستعملونها - وكلهم يعرفونها ويتكلمون بها جيدا ، وقد حدا بالطاهريين ولا سيما أعقاب طاهر بن الحسين أنهم كانوا يمنعون نشر الكتب البهلوية ولم يهتموا بالفارسية والدّرية (٤) ، بحيث أمروا بحرق ما وجد مكتوبا بالفارسية أو القاءه في الآبار ، وقد بلغنا عن عبد الله بن طاهر ، أمير خراسان ، أنه كان جالسا ذات يوم بنيسابور فأتيه رجل ، وقد حمل معه كتابا ليقدمه الى الامير ، وأهداه كتابا فارسيا . فسأل عبد الله بن طاهر الرجل قائلا : ما هذا الكتاب ؟ فأجاب الرجل انه كتاب وامق والعذراء وفيه قصة لطيفة جمعها الحكماء لأنوشروان الملك . قال عبد الله : انا قوم نتلوا القرآن وليس لنا حاجة في ما سواه ، ولا داعي لمثل هذه الكتب لأنها من صنع المجوس وهو غير مقبول لدينا ، ثم أمر

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٣ - ١٦٤ ومعجم الادباء (مرجليوت) ٢ : ١٤٤
(٢) الاغاني ٥ : ٢٧٠
(٣) المصدر نفسه ٦ : ١٧٥
(٤) لباب الالباب - محمد عوفي - ط - ليون ٢ : ٢

بالقاء الكتاب في الماء (١) .

ولعل احراق الكتب والمكتبات كان عملا شائعا في تلك العصور تشفيا من عدو أو نكاية فيه فكان كل فئة تحرق كتب غيرها ففعل ذلك عبد الله وبعث الى الاطراف أنه من وجد شيئا من كتب المجوس فليعدمه (٢) . لذلك لم يجد هناك من أثر أدبي في اللغة الفارسية اللهم الا النادر اليسير لأن الشعراء لم يخوضوا فن الشعر باللغة الفارسية حتى أيام آل سامان والصفاريين وكل ما وجد من الشعر الفارسي في فترة آل طاهر مدوّنا لا يتجاوز عدد أصابع اليد وما عدا ذلك -ان كان هناك شيئا - فانه لم يدوّن (٣) فضاع شيئا فشيئا . ولم تظهر القومية الايرانية وآدابها وتقاليدها في الدولة الطاهرية كما لم ينبغ في هذا العهد من الشعراء الفارسيين سوى اثنين هما : حنظلة الباذغيسي ومحمود الورّاق الهروى (٤) .

٣- الادباء والعلماء الذين اتصلوا بالطاهريين :

كان عدد هؤلاء كثيرا ، ويكفي ان نعد هنا اسماء الذين اتصلوا أولا بطاهر بن الحسين ، لنستدل على أن كثرتهم تحول دون التصدى لدراستهم جميعا ، فممن خدموا طاهرا المخزومي الذى مدح طاهرا بقوله :

ولو رأى هرم معشار نائله   لقيل في هرم قد جن أو هرما (٥)

وخالد بن جيلوية (٦) ، واسماعيل بن جرير البجلي (٧) ، مقدسي بن صيفي القلوصي (٨) ،

---

(١) تاريخ الادب في ايران - الدكتور صفا : ٢٦
(٢) تاريخ التمدن الاسلامي - جرجي زيدان ٣ : ٤٥
(٣) الثقافة الايرانية وأثرها في الحضارة الاسلامية والعربية - الدكتور محمد محمدى : ٢٤
(٤) تاريخ الادب الفارسي - الدكتور رضا زاده شفق - ترجمة الهنداوى : ٢٢
(٥) كتاب الصناعتين : ٣٣٦
(٦) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٣
(٧) نفس المصدر
(٨) نفس المصدر ٢ : ٢٠٤

خزيمة بن الحسن [١] ، يحيى البوشنجي القصير ، وكان كاتبه وحاجبه [٢] ، والقاسم بن سلام ، وكان عالما ،[٣] والرقاشي [٤] ، وعوف بن محلم [٥] ، وابو العميثل ، وكان كاتبه وشاعره [٦] والصيني ، وكان شاعره [٧] ، واحمد بن سعيد ، وكان قائدا له ومغنيا [٨] ، وأبو زيد ، وكان كاتبه [٩] ، والعباس بن الفضل ، وكان من وجوه قواده [١٠] وابراهيم المروزي [١١] ، وأبو القاسم مسلمة بن محزم الذى مدحه [١٢] ، ودعبل بن علي الخزاعي [١٣] ، وسهل بن بشر بن حبيب بن هانيء ، ابو عثمان هانا ، الاسرائيلي [١٤] ، أيوب الرهاوى [١٥] ، وبا سيل [١٦] وغيرهم كثير [١٧] .

ولكني سأحاول في الصفحات التالية أن أترجم لأهم الادباء والعلماء الذين شجعهم الطاهريون وسأعرض اسماءهم حسب صلتهم التاريخية بامراء الدولة الطاهرية ، فاذا عاصر بعضهم غير واحد من اولئك الامراء استنفدت الحديث عنه في موضع واحد ، ولم أعرض لذكره

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٣٠١
(٢) كتاب بغداد : ٢٠
(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥
(٤) طبقات الشعراء ٢٢٧
(٥) نفس المصدر : ١٨٦ - ١٩٣
(٦) نفس المصدر : ٤٤٢
(٧) نفس المصدر : ٣٠٤ و ٤٤٤
(٨) الاغاني - دار الكتب - ١٢ : ١٠٣
(٩) الاغاني ١٠ : ١٣٧ وكتاب بغداد : ١٠٦
(١٠) الاغاني - دار الكتب ١٢ : ١٠٣
(١١) نفس المصدر ٣ : ١٩٩
(١٢) معجم الشعراء (كرنكو) : ٣٧٣
(١٣) الاغاني (ط - دار الثقافة) ٢٠ : ١٣٩
(١٤) تاريخ الحكماء : ١٩٦
(١٥) الفهرست : ٢٤٤
(١٦) نفس المصدر :
(١٧) العقد الفريد ٢ : ٣٤١ وتاريخ بغداد ٢ : ٣٥٥

من بعد . كما اني سأقتصر على من كان منهم بخراسان لأن كثيرا من الشعراء مدحوا طاهرا وهو ببغداد أو مدحوا عبد الله وهو بالشام ومصر ، فهؤلاء لا أعرض لذكرهم .

١- دعبل بن علي الخزاعي :

عندما هجا دعبل ابراهيم بن المهدى ببغداد ، وكان هجاؤه هذا ورثاؤه للامام الرضا قبله بما يضم من ذم الرشيد قد أثرا في نفس المأمون أثرا بالغا ، فطار دعبل عن وجه المأمون من بغداد الى خراسان . ولما جاء طاهر بن الحسين الى خراسان واليا فرح دعبل بقدومه لثقته به وأنسه اليه ولكن هذا تشاغل عنه وأطرحه زمنا يخاف ان يغدر به المأمون الى أن رضي المأمون من دعبل فوصله طاهر بعد أن أقرأه كتاب المأمون ونصحه بالرحيل الى بغداد [1] . ولقد كان انتظار دعبل بباب طاهر قد طال ولكنه لم يتعجل طاهرا السخط فيثيره على نفسه بل لجأ الى العتاب يتعطفه به ولكن عتاب الكريم الذى يعرف قدر نفسه ولا يحني رأسه لطاهر بل صوّر له أمله الواسع الذى حمله الى باب طاهر فقال :

أيا ذا اليمينين والدعوتين ... ومن عنده العرف والنائل
أترضى لمثلي اني مقيم ... ببابك مطرح خامل
رضيت من الود والعائدات ... ومن كل ما أمل الامل
بتسليمة بين خمس وست ... اذا ضمّك المجلس الحافل
وما كنت ارضى بذا من سواك ... أيرضى بذا رجل عاقل

---

(١) الاغاني ٢٠ : ١٣٩

وان ناب شغل ففي دون ما   تدبره شغل شـــاغل
عليك السلام فاني امـــرؤ   اذا ضاق بي بلد راحل [(١)]

واذا مدح دعبل طاهرا يوما فلأن طاهرا مولى خزاعة ودعبل خزاعي الاصل [(٢)]، لانـه عندما هجاه لم يدع مجالا للوصل بل استعمل أمر هجاء وأقذع ما في ذلك فقال :

وذى اليمينين وعين واحـــدة   نقصان عين ويمين زائـــدة
نزر العطيات ، قليل الفائـدة   أعضـه الله ببـظر الوالدة [(٣)]

وقد مرت بنا اقواله وذكرنا من شعره في طاهر فكان كله هجاء وما عدا ذلك فلم نجد لـــه كثيرا في طاهر وابنائه سوى هاتين القطعتين وفي الاولى يهجو طاهرا وأولاده ويقول :

تولى طاهرمن بعد ان قـــد   اقام فلا يســـام ويسوم
وابقى بعده فينا ثلاثـــــا   عجائب تستخف لها الحلوم
ثلاثة أعبد لأب وأم   تميّز عن ثلاثتهـــم أروم
فبعضهم يقول قريش قومـــي   وقد دفعه الموالي والصـــميم
وبعض في خزاعة منتمـــاه   ولاء غير مجهول قديـــم
وبعضهم يهش لآل كســـرى   ويزعم انه علج لئـــيم
لقد كثرت مناسبهم علينـــا   فكلهم على حال زنيـــم [(٤)]

ونجده يفعل ذلك مع عبد الله ويهجوه مرارا نأتي على هجائه له في بخله . وأما ما جاء

---

(١) العقد الفريد ١ : ٣١٤
(٢) الشعر والشعراء ٢ : ٨٢٦
(٣) الاغاني ٢٠ : ١١١
(٤) نفس المصدر ٢٠ : ١١٢

في مصادر متعددة (١) بأنه مدح دعبل عبد الله لزيادة نعمته والاعتذار اليه بقوله :

هجرتك ، لم اهجرك من كفر نعمة وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

فهذا مشكوك فيه ، لأن مصادر كثيرة اخرى نسبت هذه القصيدة الى علي بن جبلة كتب بها الى أبي دلف (٢) ، وأرى انها قيلت في أبي دلف لان لدعبل شعر منسوب اليه من أبي دلف يقول فيه :

الله أجرى من الارزاق اكثرها على يديك بخير يا أبا دلف الخ (٣)

وأما ما جاء في النجوم الزاهرة أنه لما توجه عبد الله بن طاهر الى خراسان قصده دعبل الشاعر ، وكان ينادمه في الشهر خمسة عشر يوما ، فكان يصله في الشهر بمئة ألف درهم وخمسين ألف درهم (٤) ، فان صح هذا - وقد مر بنا : "هجرتك لم أهجرك كفرا لنعمة . انها لعلي بن جبلة في أبي دلف وليس لدعبل - فذلك من خوف عبد الله لهجاء دعبل لأن دعبلا هجا الرشيد والمأمون والأمين وأباه طاهرا ، وكان يخفي خوفه ولا يقول لأحد ويتظاهر ويداري دعبلا ولم يبح بخوفه أحدا سوى الشاعر الضبي الذي كان أمينا لسره وذلك بعد العهود والمواثيق (٥) .

ومن ذلك ان عبد الله بن طاهر وعد دعبلا بغلام ، فلما طال عليه تصدى له دعبل يوما . وقد ركب عبد الله الى باب الخاصة ، فلما رآه دعبل قال : اسأت الاقتضاء ، وجهلت المأخذ ، لم تحسن النظر ، ونحن أولى بالفضل ، فلك الغلام والدابة لما ننزل ان شاء الله

---

(١) تاريخ بغداد ٩ : ٤٨٨ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٩٨
(٢) الاغاني ٨ : ٢٥٦
(٣) الاغاني ١٩ : ٣٠٥ ، كنايات الادباء : ٢٢ ، شعر دعبل للاشتر : ٣١٠ والمصادر الاخرى
(٤) النجوم الزاهرة ٢ : ١٩٨
(٥) الاغاني ٢٠ : ١٣٥

تعالى ، فأخذ دعبل بعنانه وأنشـده :

يا جواد اللسان من غير فعل ... ليت في راحتيك جود اللسان

عين مهران قد لطمت مرارا ... فاتقي ذا الجلال في مهران

عرت عينا فدع لمهران عينا ... لا تدعه يطوف في العميان

فنزل عبد الله عن دابته وأمر له بالغلام (١) .

كما دخل دعبل على عبد الله بن طاهر ببغداد فقال :

جئت بلا حرمة ولا أدب ... اليك الا بحرمة الادب

فاقض ذمامي فانني رجل ... غير ملح عليك في الطلب

فافتعل عبد الله ودخل الى الحرم ووجّه اليه بصرة فيها ألف درهم (٢) وكتب اليه :

أعجلتنا فاتاك عاجل برّنا ... ولو انتظرت كثيره لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ... ونكون نحن كأننا لم نفعل

وكان عبد الله يخاف دعبلا ولسانه كثيرا ولكنه لا يظهر ذلك لأحد الا انه باح بسره هذا للضبي شاعره المعتمد عليه وذلك بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق ومغلّظ الايمان (٣) .

وما قيل عن دعبل من انه مدح عبد الله بن طاهر بقوله (٤) .

عجبت لحراقة بن الحسـيـن ... كيف تسير ولا تغرق

وبحران : من تحتها واحد ... وآخر من فوقها مطبق

---

(١) العقد الفريد : ١ : ٢٩٠
(٢) الاغانـي ٢٠ : ١٤٣
(٣) نفس المصدر ٢٠ : ١٣٥
(٤) العقد الفريد ١ : ٣٦٤

وأعجب من ذاك عيـــد انها　　　وقد مسّها كيف لا تورق

وهذا مشكوك فيه أيضا ، لأن هذه الابيات لم تنسب الى دعبل سوى عند ابن عبد ربه فحسب ، اما ابن خلكان (١) وجماعة غيره نسبوه الى مقدسي الخلوقي في طاهر ، وعدد آخرون نسبوه الى عوف بن محلم في طاهر (٢) ونسبت الى علي بن جبلة (٣) أيضا والى ابي الشمقمق ، فالارجح انها ليست لدعبل .

وهناك أربعة ابيات انفرد بنقلها ابن عبد ربه ولم نجدها عند غيره وفيها مدح عبد اللـه بن طاهر بعد أن استقبله وهو خارج من الحّراقة برقعة فيها :

طلعت قناتك بالسعادة فوقها　　　معقودة بلواء ملك مقبل

تهتز فوق طريدتين كأنمـــا　　　تهفو فينصبها جناحا أجدل

ربح البخيل على احتيال عرضه　　　بندى يديك ووجهك المتهلل

لو كان يعلم ان نيلك عاجـل　　　ما فاض منه جدول في جدول (٤)

ولكن أقواله هذه — ان صحت نسبتها اليه — لمن العجب وتدل على ثنائية دعبـل في القول ولكن انفراد ابن عبد ربه في نقلها ونسبتها مما يثير الشك في القبول . ومع ان ابن عبد ربه مات ٣٢٧ هـ فانه لا يعتمد الا على النقل وقلما يذكر مصدر نقله الا بصورة عامة فمن أين أتى بهذه الابيات وممن تلقفها ؟ ولذلك نقلناها والعهدة عليه . ولعل ابن عبد ربه كان يريد نفي بذاءة لسان دعبل في عبد الله بن طاهر ، وان كان يقصد ذلك فانه ينافي

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٢ وتاريخ بغداد ٩ : ٣٥٣ والغرر والعرر : ٢٦٤ — ٢٦٥
(٢) طبقات الشعراء : ١٨٩ — ١٩٠ ومعجم الادباء ١٦ : ٢٤٠ وفوات الوفيات ٢ : ٢٣٢ وشرح شواهد المغني : ٢٧٨ ، ومعاهد التنصيص : ٣٧٥
(٣) الابانـــة : ٧٦
(٤) العقد الفريد ١ : ٣٦٤

ما نقله لنا عن دعبل وقصة غلام عبد الله [١] . وهب ان دعبلا مدح عبد الله بن طاهر في أبيات أو في قصيدة فليس قوله دليل على ايمانه بذلك لاننا نجده يذمه ويهجوه ويذكر بخله أكثر من ذكره جوده .

٢- أبو عثمان ، سهل بن بشر بن حبيب بن هاني ، ويقال هانا الاسرائيلي المنجّم :

كان صاحب تواليف في احكام النجوم وادعاء لعلم الحدثان ، وكان يخدم طاهر بن الحسين ، ثم الحسن بن سهل ، وتواليفه حسان مشهورة في الاحكام [٢] ، منها كتابه في المواليد وتحاويلها ، وكتاب تحويل سني العالم ، وكتاب المسائل والاختيارات [٣] .

٣- الرقّاشي :

وكان الفضل بن عبد الصمد الرقاشي مولى ربيعة ، من اهل السرى من العجم ، كثير الشعر ، قليل الجيّد ، وكان منقطعا الى البرامكة يمدحهم ويعيش بهم ، ولم ينساهم حتى بعد موتهم وزوال ملكهم [٤] . ولما زال أمرهم ، خرج الى خراسان واتصل بطاهر بن الحسين وما زال بها حتى مات [٥] . ويظهر انه كان عزيز النفس لأنه كان يظهر الغنى وهو فقير وكانت بينه وبين أبي نؤاس مهاجاة مستمرة قيل انها دامت حتى فرّق الموت بينهما [٦] .

٤- عوف بن محلّم الخزامي :

هو ابو عبد الله عوف بن محلّم الخزامي ، من بني سعد ، من اهل حرّان وقيل من

---

(١) العقد الفريد ١ : ٢٩٠
(٢) تاريخ الحكماء : ١٩٦
(٣) طبقات الامم : ٨٨
(٤) المنتحل : ٣٤١
(٥) طبقات ابن المعتز : ٢٢٦
(٦) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥

رأس العين [1]. وهو احد العلماء الادباء الرواة الفهماء والندماء الظرفاء والشعراء الفصحاء المحدثين ، صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس، وكان طاهر بن الحسين قد استخلصه واستخصه واختاره لمنادمته فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر ، فكان اذا سافر طاهر فهو عديله يحادثه ويسامره ، واذا أقام فهو جليسه يذاكره العلم ويدارسه . وسبب اتصال عوف بطاهر هو أنه كان طاهر ببغداد ايام الفتنة منحدرا حراقة له بدجلة فأنشد عوف :

عجبت لحراقة بن الحسـين كيف تعوم ولا تغرق
وبحران من تحتها واحـد وآخر من فوقها مطبق
واعجب من ذاك عيدانها وقد مسها كيف لا تورق

فقال طاهر : اعطوه ثلاثة آلاف دينار [2] وأدخله معه . وظل عوف مع طاهر اذ ضمه طاهر اليه فكان كلما استأذن طاهرا في الانصراف الى أهله ووطنه لم يأذن له طاهر ولا يجيبه الى ذلك بل يعطيه الجزيل ، حتى كثرت أمواله . فلما مات طاهر ظن عـوف أنه قد تخلّص وانه يلحق بأهله ، ويتمتع بما قد اقتناه في بلده ولكن عبد الله بن طاهـر لوى عليه يده ، وتمسّك به وأنزله فوق المنزلة التي كانت من أبيه ، فعاد معه عوف الى حاله التي كان عليها مع أبيه من الملازمة في الحضر والسفر [3] . ويظهر أنه التحق بعبد الله في الشام وأطلع على دقائق اخباره بدليل قوله :

شكرا لربك يوم الحسن نعمته فقد حماك بعز النصر والظفر
فاعرف لسيفك يوم الحصن وقعته فانه السيف لم يترك ولم يـذر

---

(١) طبقات الشعراء : ١٨٦
(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٣
(٣) ولعله طلبه عبد الله من خراسان لأنه حينما توفي طاهر سنة ٢٠٧ هـ كان بخراسان وعبد الله حينذاك كان قد خرج الى الشام لمحاربة نصر بن شبث . راجع كتاب بغداد : ٧٥ وغيره من المصادر .

حللت في فتح كيسوم فداك أبي مثواك في الحفو بين الوحل والمطر (١)

وتفسير ذلك انه موقى عبد الله — وكان يحم حمى الربع — في الليلة الاخيرة فوعك وعكـا شديدا والتمس ما يدفئه فلم يكن معهم . فقال : احفروا حفيرة بأسيافكم ، وأمر أن يجمع من مخالي الدواب التبن فيلقى في الحفيرة ففعل ذلك . ثم جلس فيها . وجاءت السماء بمطل شديد وريـق . فقال عبد الله : استروني بتراسكم ففعلوا (٢)

والدليل الثاني ما قاله عوف بن محلم في علة اعتلها عبد الله وهي حمى الربع :

فان تك حمى الربع شفك وردها فعقباك منها ان يطول لك العمر
وقيناك لو نعطى المنى فيك والهوى لكان بنا الشكوى وكان لك الاجر (٣)

وهذا تصريح من عوف بأن كان ممن حملوا التراس لوقاية عبد الله من المطر .

ثم نجده في مصر يقول :

يقول أناس ان مصرا بعيدة وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر
وأبعد من مصر رجال تراهم بحضرتنا معروفهم غير حاضـر
عن الخير موتى ما تبالي أزرتهم على طمع أم زرت اهل المقابـر (٤)

وكان عوف سخيا على الطعام جدا ، صاحب شراب ولهو وخلاعة وكان له اخوان يتمتع بهم ومعهم ، ويعاشرهم ويفضل عليهم وكان الشعراء الاصاغر يقصدونه ويمدحونه ، فيعطيهم ويصلهم ، ويتوسلون الى طاهر فيشفع لهم ويخرج جوائزهم وكذلك من عبد الله . وكان ينصح

---

(١) معجم البلدان — مادة كيسوم .
(٢) الديارات : ٨٦
(٣) الاغاني (ط — دار الكتب) ١٢ : ٨٦
(٤) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٤

الشعراء ألا يدخلوا على عبد الله ان كان شعرهم ضعيفا لأن عبد الله لا يقبل ذلك وحدث ذلك مع الشاعر روح (١) .

وقد عاشر عوف طاهراً وابنه عبد الله قرابة ثلاثين سنة ومن شعره فيهم :

وكنت اذا صحبت رجال قوم	صحبتهم ونيَّتي الوفـاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم	واجتنب الاساءة ان اساءوا
وانظر ما يسرّهم بـــعين	عليها من عيونهم غطـــاء (٢)

وفي عبد الله بن طاهر يقول عوف يمدحه ويذكره ويذكر أجواده في قصيدة منها :

اليك فما حظي لغيرى بصائر	ولا أجلي ان حمّ عني بقاصر
أعفّ واستغني واني لمقـــتر	فتستر عفاتي على مفاقـــرى
واني ليأتيني الغني غير ضارع	فأدنو به من صاحبي ومجاورى
لساني وقلبي شاعران كلاهمـا	ولكن وجهي مفحم غير شـاعر
ولو كان وجهي شاعرا اكسب الغنى	ولكن وجهي مثل وجه ابن طاهر
فتى يختشي ان يخدش الذم عرضه	ولا يتقي حد السيوف البواتر
غليل وقد أوردت دلوى ببحره	ولا عيب في ورد البحور الزواخر

(الى أن يقول :)

بنو مصعب للملك في السلم زينة	وفي الحروب دون الملك بيض بواتر
وحول رواق الملك من آل مصعب	ليوث لأعناق الليوث هواجـــــر
فما حال عن ورد الخليفة طاهر	ولا زال حتى غيّبته المقابـــــر

---

(١) طبقات ابن المعتز : ١٩٠ ، ومعجم الادباء (مرجليوث) ٦ : ٩٥

(٢) طبقات الشعراء : ١٩١

وخلّف عبد الله للملك ناصرا — وهل مثل عبد الله للملك ناصر ؟
فتى لو أسرّت نفسه كفر نعمة — لحاربها حتى تصح الضمائر [١]

وكان عبد الله بن طاهر قد عزم المسير الى الحج [٢] ومعه شاعره عوف بن محلّم فعادله في العمارية من مرو الى الري يسامره ويحادثه ، فلما شارفوا الري ، وقد أدلجوا سحرة ، اذا بقمري يغرّد على سروة بأشجى صوت وأرق نغمة ، فالتفت عبد الله الى عوف وقال : يا أبا محلّم ، أما تسمع هذا الصوت ؟ ما أرقه وأشجاه ! قاتل الله أبا كبير الهذلي حيث يقول :

ألا يا حمام الأيك فرخك حاضر — وغصنك ميّاد ففيم تنوح

فقال عوف : أحسن والله أبو كبير انه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعرا ما فيهم الا مغلق وما كان فيهم مثل أبي كبير وأخذ عوف يصفه . فقال له عبد الله تبريه ظاهرا وقال : أقسمت عليك الا أجزت شعر أبي كبير . قال عوف : أصلح الله الامير ، قد كبر سنّي وفنى ذهني وأنكرت كل ما كنت أعرفه . قال عبد الله : سألتك بحق طاهر الا فعلت ، وكان لا يسأل بحق طاهر شيئا الا ابتدر اليه لما كان يوجبه له ، فلما سمع عوف ذلك انشأ يقول :

أفي كل عام غربة ونزوح — اما للنوى من ونية فتريح
لقد طلّح البين المشت ركائبي — فهل أرين البين وهو طليح
وأرقني بالري نوح حمامة — فنحت وذو اللب الغريب ينوح
على انها ناحت ولم تذر دمعة — ونحت واسراب الدموع سفوح

---

(١) طبقات الشعراء : ١٨٨ – ١٨٩
(٢) فوات الوفيات ٢ : ١٤٨

وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون افراخي مهامه فسيح

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر وغصنك ميّاد ففيم تنوح

عسى جود عبد الله ان يعكس النوى فتلقى عصا التطواف وهي طريح

فان الغنى يدني الفتى من صديقه وعدم الفتى بالمغربين طروح

فاستعبر عبد الله ورق له وجرت دموعه لما سمع من تشوقه الى أهله وبلده فقال : يا أبا محلّم ، ما أحسن ما تلطفت لحاجتك ، واستأذنت في الرجوع الى أهلك وولدك ! واني والله بك لضنين ، وبقربك لشحيح ، ولكن والله لا جاوزت مكانك هذا حتى ترجع الى أهلك وولدك (١) . ثم أخرج عبد الله رأسه من العمارية وقال : يا سائق الق زمام البعير ، فألقاه فوقف ووقف الخارج ثم دعا بصاحب بيت ماله فقال : كم يضم ملكنا في هذا الوقت ؟ قال : ستين ألف دينار ، فقال : ادفعها الى عوف ، ثم قال : يا عوف لقد ألقيت عصا تطوافك فارجع من حيث جئت ، فأقبل خاصة عبد الله عليه يلومونه ويقولون : أتجيز ايها الامير شاعرا في مثل هذا الموضع المنقطع بستين ألف دينار ولا تملك سواها ! قال عبد الله : اليكم عني فاني قد استحييت من الكرم ان يسير بي جملي وعوف يقول : عسى جود عبد الله ، وفي ملكي شيء لا ينفرد به ، فقال له عوف : (٢)

يابن الذى دان له المشرقان وأكثر الامر به المغربان

ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وأبدلتني بالشطاط انحنا وكنت كالصعدة تحت السنان

---

(١) معجم الادباء (مرجليوث) ٦ : ٩٩ وطبقات الشعراء : ١٨٨ وفوات الوفيات ٢ : ١٤٩ ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٧ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٩٩ وتاريخ بغداد ٧ : ٤٨٦

(٢) فوات الوفيات ٢ : ١٤٨

وعوّضتني من زماع الفتى ... وهمتي هم الجبان الهدان
وقاربت من خطأ لم تكن ... مقاربات وثنت من عنان
فأنشأت بيني وبين الورى ... سحابة ليست كنسج العنان
ولم تدع فيّ لمستمتع ... الا لساني وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني على ... صنع الامير المستثير الهجان
وهمت بالاوطان وجدا بها ... وبالغواني اين مني الغوان
فقرّباني بأبي أنتما ... من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاى الى نسوة ... مسكنها حران والرقتان
سقى قصور الشاذياخ الحيا ... من بعد عهدى وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لي بها ... ان تتخطاها صروف الزمان (١)

وأجمعت المصادر على أنه مات ولم يصل الى/ بلده حتى ياقوت في معجمه للادباء ولكنه في معجم بلدانه ذكر أنه رجع عوف الى وطنه ، فسئل عن حاله فقال : رجعت من عند عبد الله بالغنى والراحة من النوى (٢) . وقيل أنه مات في حدود العشرين والمائتين (٣)، فاتصل الخبر بعبد الله فاشتد ذلك عليه وجزع له (٤) مما يدل على شدة علاقة عبد الله به وحبه له ، وتقديره لأديب عظيم مثله . ولعوف بن محلّم غير ما ذكر شعر في المصادر المذكورة الا اننا اخترنا ما كان له في طاهر وابنه .

---

(١) فوات الوفيات ٢ : ١٤٨ ، معاهد التنصيص ١ : ١٢٤ ـ ١٢٧ ، معجم الادباء (مرجليوث) ٦ : ٩٨ ، طبقات الشعراء : ١٨٨ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٩٩ ، شذرات الذهب ٢ : ٣٢ ـ ٣٣
(٢) معجم البلدان : مادة السرى .
(٣) فوات الوفيات ٢ : ١٤٩
(٤) طبقات الشعراء : ١٨٨

٥- أبو العميثل : عبد الله بن خليد :

كان أبو العميثل مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (١) . ولقد كان الرشيد قد أمر أن يبتاع له خويلد ، فسبق العباس بن محمد فاشتراه ، فطيّر له خوله الذين كانوا للعباس بن محمد بغيد وأيله (٢) . وأصل ابي العميثل من الري (٣) . وهو من الشعراء الفحول ، ذوي الفصاحة والبلاغة واللسن ، وكان فخم العبارة ، يفخم الكلام ويعرّبه ، بدوي الشارة ، مكثرا من نقل اللغة ، عارفا بها فكان شاعرا مجيدا (٤) . والعميثل في اللغة يأتي لمعان منها الاسد الضخم والسيد الكريم (٥) .

قدم ابو العميثل على المأمون بخراسان ، ايام الفضل بن سهل ، ثم أصبح كاتبا لطاهر وشاعرا له ويقال : ان طاهرا لم يجفه ، ولم يزل يكرّمه حتى مات طاهر . ومن أخباره مع طاهر انه دخل على طاهر ، وقد جلس طاهر للناس ، ولعله ألقى قصيدة ، فقبّل يد طاهر ، فقال له طاهر : ما أخشن شاربك يا أبا العميثل ! فقال ابو العميثل : أيها الامير ان شوك القنفذ لا يضرّ ببرثن الاسد (٦) . فضحك طاهر وقال : هذه الكلمة أعجب الي من قصيدتك . وأعطاه ألف درهم على قصيدته ، وثلاثة آلاف على كلمته (٧) . وينسب ذلك ابن خلكان الى عبد الله والأرجح مع طاهر عندي لكبر سنهما .

---

(١) طبقات الشعراء : ٤٤٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٦ ، والفهرست : ٤٨
(٢) كتاب بغداد : ١٦٤
(٣) طبقات الشعراء : ٤٤٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٦ ، والفهرست : ٤٨
(٤) البيان والتبيين ١ : ٢٢٩
(٥) خزانة الادب ٢ : ٤٨٥
(٦) طبقات الشعراء : ٤٤٢
(٧) نفس المصدر : ٢٨٧

ويظهر انه لما مات طاهر بخراسان أنحدر ابو العميثل الى بغداد لأننا نجد المأمون يقول لعبد الله بن طاهر : ليس فيك عيب الا انك تحب الشعر وأهله ! وقد أمرت احمد بن يوسف ان يضم اليك رجلا في ناحيتنا هو عندي أشعر من جرير . فضم اليه أبا العميثل . وخرج ابو العميثل خلف عبد الله بن طاهر الى مصر ، فقال قصيدة يصف فيها المنازل ، مثل قصيدة أبي النواس في الخصيب ، وأولها :

خليلي ان الهم لي غير وازع ... وقلبي عميد قلب هيمان نازع

ألم تراني كلما هبّت الصبا ... أصب ويقضيني شؤون المدامع

جعلت همومي حشو قلبي مشايح ... على الهم والوجناء حشو البراذع [1]

وكانت له منزلة عند عبد الله بن طاهر لأنه كان كاتبه وشاعره ومؤدب ولده بخراسان ومنقطعا اليه [2] ، وكان عبد الله يقبل نصحه ورأيه ، فلما وجد عبد الله على أبي تمام بخراسان [3] قال أبو تمام أبياته في قسوة الشتاء وقارس برده بخراسان وبلغت أبياته أبا العميثل ، أتى أبو العميثل أبا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليه من أجله ، وتضمّن له ما يحبه ، ثم دخل الى عبد الله بن طاهر فقال : أيها الامير ، أتتهاون بمثل ابي تمام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن له ما له من النباهة في قدره ، والاحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره والتوقّي لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن ، وفراقه السكن ، وقد قصدك عاقدا بك أمله ، معملا اليك ركابه ، متعبا فيك فكره وجسمه وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيا

---

(١) كتاب بغداد : ١٦٤

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٦

(٣) الاغاني (ط ـ دار الثقافة) ١٦ : ٣١٤

ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله في قومس :

يقول في قومس صحبي وقد أخذت   منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا   فقلت كلا ولكن مطلع الجود

فقال له عبد الله بن طاهر : لقد نبّهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ولك ولأبي تمام العتبى ، أُدعه يا غلام . فدعى - ابو تمام - له فنادمه يومه وأمر له - لأبي تمام - ألفي دينار وما يحمله في الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه ، وأمر ببذرقته (١) الى آخر عمله (٢) .

ولأبي العميثل من الاشعار الحسان ، فمن قوله في عبد الله بن طاهر :

يا من يحاول ان تكون صفاته   كصفات عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورة والذي   حج الحجيج اليه فاسمع أودع
أصدق وعف وبرّ واصبر واحتمل   واصفح وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد   واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي   وهديت للنهج الاسد المهيع (٣)

قال ابن خلكان : ولقد أحسن في هذا المقطوع كل الاحسان .

وقيل انه وصل الى باب عبد الله بن طاهر ، فرام الدخول اليه فحجب ، فقال :

سأترك هذا الباب ما دام اذنه   على ما أرى ، حتى يخف قليلا
اذا لم أجد يوما الى الاذن سلما   وجدت الى ترك اللقاء سبيلا

---

(١) البذرقة : الخفارة .
(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٦
(٣) نفس المصدر

فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر وأمر بايصاله على أى حال [١] .

ولابن العميثيل من الكتب ، كتاب التشابه ، كتاب الابيات السائرة ، معاني الشعر ، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه [٢] . وكان شعره في ألف جلد [٣] ، ومات سنة ٢٤٠ هـ [٤] .

٦- أبو عبيد القاسم بن سلّام :

كان والده مملوكا روميا لرجل من هراة من عمل خراسان ، فولد ابو عبيد بهراة في حدود سنة ١٥٤ هـ ٧٧١م ونشأ بها نشأة اسلامية . وشعر أبوه بذكاء ابنه ابي عبيد ، وكان قد أمره مولاه ان يخرج ابنه الى الكتاب ، فأخرج سلام ابا عبيدا مع ابن مولاه وقال للمعلم ، يوصيه لابنه ، برطانته العجمية : " علمي القاسم فانها كيّسة .. " !

ونبغ قاسم وعرف في خراسان فضله ، فعهد اليه بعض الخاصة بتأديب بنيهم ، على عادة العلية من الناس في تلك الايام ، يدفعون الى العلماء أولادهم ليثقفوهم ويهذّبوهم .

وعندما توجه طاهر بن الحسين الى مرو - مارا بهراة - طلب رجلا يحدثه ليلة ، فقيل له : ما هيهنا الا رجل مؤدب ، فأدخل عليه ابو عبيد القاسم بن سلّام ، فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو والفقه واللغة . فقال له : من الظلم تركك انت بهذا البلد ، ثم دفع اليه ألف دينار وقال له : أنا متوجه الى خراسان الى حرب وليس أحب استصحابك شفقة عليك ، فأنفق هذا الى أن أعود اليك . ولما عاد حمله معه الى سر من رأى ودخل بغداد [٥] .

---

(١) الفهرست : ٤٨

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٦ ، والفهرست : ٤٨

(٣) كتاب بغداد : ١٦٤

(٤) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٧

(٥) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥

ثم أن أبا عبيد أخذ يستزيد من العلم فسمع الحديث ودرس الادب ونظر في الفقه فأخذ الآداب من أبي زيد الانصارى وأبي عبيدة معمر بن المثنى والاصمعي واليزيدى وغيرهم من البصريين ، وأخذ عن ابن الاعرابي وابن زياد الكلابي ويحيى الاموى وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفّراء وبرع حتى عد أعلم الناس بلغات العرب يحتاج اليه ولا يحتاج اليهم بحيث عدّه احمد بن نصر الغروى أعلم من نفسه ومن الامامين الشافعي وابن حنبل . وقال ثعلب فيه أنه لو كان في بني اسرائيل لكان عجبا . ولذلك فقد قال هلال بن العلاء الرقي انه منّ الله على هذه الامة بأربعة في زمانهم : الشافعي بفقهه ، بحديث رسول الله (ص) والامام احمد بن حنبل في المحنة ، ولولا ذلك لكفر الناس ، وبيحيى بن معين لنفي الكذب عن حديث رسول الله (ص) وبأبي عبيد القاسم بن سلّام لتفسير الغريب من حديث رسول الله (ص) ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ وعدّه عبد الله بن طاهر رابع أربعة في زمانهم وهم : ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ،والقاسم بن معن في زمانه ، وأبو عبيد القاسم بن سلّام في زمانه . كما قال ابراهيم الحرجي : أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبدا ، تعجز النساء ان يلدن مثلهم ، احمد بن حنبل في علم الاولين والآخرين ، وبشر بن الحارث في العقل وأبو عبيد القاسم بن سلّام وهو كالجبل نفخ فيه روح . ومدحه الاصمعي ، ويحيى بن معين والامام احمد بن حنبل (١) والجاحظ .

وكان أبو عبيد ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بارع اذ كان فاضلا في دينه وعلمه ربانيا متفقا في أصناف علوم الاسلام من القرآءات والفقه والعربية والاخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل . وكان يقسّم الليل أثلاثا فيصلي ثلثه وينام ثلثه ويضع الكتب ثلثه .

---

(١) نزهة الالباء في طبقات الادباء : ٩٣ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ووفيات الاعيان ٣: ٢٢٥

وظل أبو عبيد على ولائه لطاهر بن الحسين ثم لابنه عبد الله من بعده فكان اذا ألّف كتابا أهداه الى عبد الله فيحمل اليه ابن طاهر مالا خطيرا استحسانا لذلك ، فلما أنجز كتابه " الغريب المصنّف " — وكان قد صرف في تأليفه ثلاثين سنة — عرضه على عبد الله ، فاستحسنه وقال : ان عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ألا يحوج الى طلب المعاش . ثم أمر له عشرة آلاف درهم في كل شهر . وبعث ابو دلف أحد أئمة البلاغة من الامراء الى عبد الله بن طاهر يستهديه أبا عبيد القاسم بن سلّام شهرين ، فأنفذه عبد الله ، فأقام ابو عبيد في كرج شهرين ، ولما أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها وقال : انا في جنبة رجل لا يحوجني الى صلة غيره . فلما عاد أبو عبيد الى ابن طاهر وصله بثلاثين ألف دينار . فقال ابو عبيد لعبد الله : أيها الامير ، قبلتها وقد أغنيتني بمعروفك وبرّك ، فرأيت ان أشترى بها سلاحا وخيلا وأوجّه بها الى الثغر ليكون الثواب متوفرا على الامير . ففعل عبد الله ذلك [١] .

وهكذا عاش أبو عبيد بين أشراف القادة والسادة ، يعرف لهم مقامهم ويعرفون له قدره ، يتهادونه ويبّرونه ، ويرغبون في الاخذ عنه ويعهدون اليه في تخريج ابناءهم . أما هو فلم تبطره الدنيا ولم تخلب لبّه المظاهر واشتهر بورعه وكرمه وعفة نفسه وجوده ، وكانت فيه عزة نفس العلماء ماثلة المثول كله ، فقد امتنع من حضور مجلس بعض الامراء ليأخذوا عنه فقال : العلم يقصد . فغضب صاحب الدار من قوله وقطع عنه الرزق ، ثم كتب الى صاحبه عبد الله بن طاهر بالخبر ، فكتب اليه عبد الله : قد صدق أبو عبيد في قوله ، وقد أضعفت له الرزق من أجل فعله فأعطه فائته وأدّر عليه بعد ذلك ما يستحقه [٢] .

---

(١) المصادر المذكورة .

(٢) نزهة الالباء : ٩٣ — ٩٧

وروى الناس من كتبه بضعة وعشرين كتابا في القرآن الكريم والحديث وغريبه والفقه والامثال ، وكتبه مستحسنة معروفة مطلوبة في كل بلد والرواة عنه مشهورون . غلب عليه جمع المتفرّق من الكتب وتفسيره ، وذكر الاسانيد ، وصنّف المسند على حدته ، وأجاد تصنيفه ورغب فيه اهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون اليه ، ومانى الشعر ايضا . أما كتابته فهي كتابة أرقى المؤلفين في القرن الثاني والثالث . زعموا ان كتابه "الغريب المصنّف" أجلّ كتبه وقيل ان كتابه "الاموال" هو أحسن ما صنّف في الفقه وأجوده ، وهذا الكتاب هو صورة ناطقة بعلمه وتحقيقه ، يرجّح من الآراء ما هو أولى بالترجيح ويبيّن عن رأيه في أحكام الاموال وصنوفها ، آخذا بالاقوال الصحيحة المأثورة عن صاحب الشرع ومشيرا الى عمل الصحابة والتابعين من بعده ، والى ما استخرجه الحكام والملوك من هذه الاموال بعد ذلك . وقد أورد كثيرا من الكتب والمعاهدات والعهود والاقطاع وذكر فصولا في الصدقات والغنائم والزكوات وثمار الارض وما يجبي منها وما لا يجبي والمعادن والركاز والمكاييل والمكوس والعشور ومخارج الصدقة وسبيلها التي توضع فيها والوقف ، وفي كل اولئك يتجلى نور العقل وبعد النظر ووفرة العلم . ومن تصانيفه "غريب الحديث" ، قيل أنه صنّفه للمأمون ، و "المقصور والممدود" في القراءات و "المذكر والمؤنث" وكتاب "النسب" وكتاب "الاحداث" وأدب القاضي" و "عدد آى القرآن" و "الايمان والنذور" وكتاب "الحيض" وكتاب "الطهارة" و "الحجر والتفليس" وكتاب "الشعراء" (١) .

٧– أيــوب الرهـــاوى :

ومن اختص بعبد الله بن طاهر هو أيوب الرهاوى ، وكان متطببه ، وكان معه في الشام (٢) .

---

(١) وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٧ ، والفهرست : ٧١

(٢) تاريخ الحكماء : ١٧٩

ثم أخذه عبد الله الى خراسان فيمن أخذ معه عندما انتقل اليها [١] . وكان أيوب حاذقا في الطب ، كما كان في نقل الكتب الى العربية [٢] .

٨- ابو السمراء :

هو العلاء بن عاصم بن عصمة العسكري ، كان نديم عبد الله بن طاهر يأنس به ،ويجاريه الشعر [٣] ، وهو الذي خرج مع عبد الله بن طاهر الى الشام فمصر فاعترضهم الاعرابي في الطريق فقال في كل واحد منهم شعرا [٤] ، ولما كان بمصر جاء معلى الطائي يمدح عبد الله ، وكان عبد الله لا يملك مالا ، فاستقرض من أبي السمراء [٥] . وكان عبد الله يناجي اسحاق بن ابراهيم المصعبي يوما وأبو السمراء حاضر فلما أتم عبد الله كلامه نصح أبا السمراء ببيتين من الشعر [٦] . وكان ابو السمراء متصلا بعبد الله ، فلما خرج عبد الله الى خراسان كانت بينهما مكاتبات - ولعل ابا السمراء ذهب الى خراسان لزيارة عبد الله أيضا - وكان عبد الله يعتمد عليه في بعض أموره منها أنه خوّله في شراء جارية اديبة له بعد أن أمر بامتحانها [٧] . ولذا فاننا نراه موضع ثقة عبد الله وليست لدينا فيما بين أيدينا أكثر من هذا :

ومن مكاتباتهما الشعرية ما كتب الى عبد الله :

تقول لما جعلت أبكي — سلوه بالله ممّ يبكي

---

(١) معجم الادباء ٣ : ٢٤
(٢) الفهرست : ٢٤٤
(٣) ذيل زهر الآداب : ٢٤٩
(٤) تاريخ الطبري ٧ : ١٨٢
(٥) الاغاني (ط - دار الكتب) ١٢ : ١٠٢
(٦) نفس المصدر ٢ : ٤٣٠
(٧) الامالي ٢ : ٣

فقلت أبكي لما أراه | عما قليل يقول منك
قالت فلا تخش قلت ما لي | قلب على الدهر يأتمنك
لا غرّني في الدهر منك ود | قالت ولا غرّني في التبكّي

فوقّع عبد الله بن طاهر ظاهرها بديها أوردنا ذلك في باب شعر عبد الله [1].

ومن جيد شعره في جارية له توفيت :

يقول لي الخلان لوزرت قبرها | فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر
على حين ان احدث فاجهل فقدها | ولم أبلغ السن التي معها صبر

٩- أبو تمـــــام :

ولما مدح أبو تمام المعتصم ببغداد بعد فتح عمورية ، أمر له المعتصم بدراهم كثيرة ، وصك ماله على اسحاق بن ابراهيم المصعبي . فدخل ابو تمام الى المصعبي وأنشده مديحا له ، فاستحسنه اسحاق وأمر له بدون ما أمر له به المعتصم قليلا وقال اسحاق لأبـي تمام : والله لو أمرلك أمير المؤمنين بعدد الدراهم دنانير لأمْرت لك بذلك [2] . ولـم يكن أحد أشغف بشعر أبي تمام من اسحاق بن ابراهيم المصعبي وكان يعطيه عطـــاء كثيرا . ودخل يوما أبو تمام على اسحاق المصعبي وأنشده مدحا له ، وجاء اسحاق الموصلي ، فأنشده أبو تمام عدة قصائد في المصعبي . فأقبل الموصلي على ابي تمام وقال له : أنت شاعر مجيد ، محسن ، كثير الاتكاء على نفسك ، يريد انه يعمل المعاني [3] .

---

(١) ذيل زهر الآداب : ٢٤٩
(٢) اخبار ابي تمام : ١٤٤
(٣) نفس المصدر : ٢٢١

ومن القصائد التي قالها في اسحاق المصعبي في ايقاع اسحاق بالمحمرة بهمدان ومطلعها : (١)

خشنت عليه اخت بني خشين ! وأوقع فيك قول العاذلين

أنأيا واغترابا ؟ أي صبر على البلوى يحرّس بين ذين

ومنها : سل الجبل الممنّع حيث اخنى عليه زخرفا نكد وحين .

وذلك بعد سنة ٢١٨ هـ لأنه توجه الى الجبال في شوال ٢١٨ هـ (٢) .

وقال اخرى مطلعها :

أصغي الى البين مغترا فلا جرما ان النوى أسأرت في عقله لمما

ومنها : قرّت بقرّان (٣) عين الدين واشتترت بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

ويوم خيرج والالباب طائرة لو لم تكن حامي الاسلام ما سلما

غادرت بالجبل الاهواء واحدة والشمل مجتمعا والشعب ملتئما (٤)

وقال يمدحه في قصيدة اخرى مطلعها :

قل للامير الذى قد نال ما طلبا ورد من سالف المعروف ما ذهبا

ومنها : في مصعبيين ما لاقوا مريدى ردى للملك الا اعادوا خده تربا (٥)

وفي قصيدة اخرى يقول :

نفسي فداؤك والجبال وأهلها في طرمساء من الحروب بهيم (٦)

---

(١) انظر ديوان ابي تمام : ٤٨٥
(٢) الكامل في التاريخ (حوادث سنة ٢١٨ هـ) .
(٣) معجم البلدان — مادة قرّان .
(٤) انظر ديوان ابي تمام : ٢٦٨
(٥) نفس المصدر : ٢٦
(٦) نفس المصدر : ٢٧١

ومع شغف اسحق الكثير لأبي تمام ومدح هذا لذاك نجد الشاعر يهجو ممدوحه عندما اختلف معه (١) في سر من رأى ، وهذا الانقلاب في الشعراء المدّاحين كثير ومنهم أبو تمام ! وله قصيدة اخرى في مدح اسحاق مطلعها :

قل للامير الذى قد نال ما طلبا ورّد ما سالف المعروف ما ذهبا

وأما اخباره مع عبد الله بن طاهر ، فبعد ان مدحه عند فتحه لمصر وايقاعه بأبن السرى في قصيدته التي مطلعها :

ومنها : توخوا أمان الاريحي بن طاهر فمن فارس يأتيه طوعا وراجل (٢)

وكان ذلك في شهر محرم سنة ٢١١ هـ .

نراه يتوجه الى خراسان عام ٢١٩ هـ فيسير الى الامير عبد الله بن طاهر حتى اذا بلغ الثغور قال فيها لاحد ممدوحيه :

انا راحل ببلاد مرو راكب في جودة الاشعار كل مجيد (٣)

وطلب من ممدوحه ، محمد بن المسهل ، فرسا يستعين به على قطع طريقه . ولما بلغ قومس ، وقد طالت عليه الشقة قال :

يقول في قومس صحبي ، وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود (٤)

حتى اذا ما وصل خراسان ، اجتمع الشعراء اليه ، وسألوه أن ينشدهم . فقال : قد وعدني

---

(١) ذكر ذلك الدكتور البهيهيتي في كتابه : ١١٨
(٢) كتاب ولاة مصر : ٢٥ ، وكتاب الولاة والقضاة : ١٨٢
(٣) ديوان أبي تمام قافية الدال .
(٤) ديوان ابي تمام : ١٢١

الامير أن أنشده غدا وستسمعونني ، فلما صار الغد دخل على عبد الله بن طاهر وأنشده هائيته الشهيرة ومطلعها : (١)

أهن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزما فقدما أدرك السؤل طالبه

اذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه ... فذروته للحادثات وغاربه (٢)

فصاح الشعراء بالامير أبي العباس : ما يستحق مثل هذا الشعر غير الامير أعزّه الله . وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي : لي عند الامير جائزة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل ، جزاء عن قوله للامير . فقال الامير : بل نضعفها لك ، ونقوم له بما يجب علينا .

وهذه القصيدة تنطق عزما ، واقداما وأملا ، وهو فيها يروّض نفسه على الرحيل في سبيل تحقيق أمله ، وقوة عزيمته فيها ، واختفاء ذلك الروح الحزين اليائس من غزلها ، ليس الا رد فعل لذلك النجاح الذى لقيه في سنيه التي قضاها في العراق والثغور .

وقد وصف فيها رحلته ، وخاطب عاذلته في جلد واصرار وأغلب الظن انها زوجه في لفظ عذب رقيق ووصف رائع أخاذ . وكأنه لم يوفّق لما أراد ! اذ أنه لما فرغ من قصيدته نثر عليه عبد الله بن طاهر ألف دينار فلم يمس ابو تمام منها شيئا ، والتقطها الغلمان . قال ابن خلكان (٣) : فوجد عليه عبد الله ، وقال : يترفع عن برى ، ويتهاون بما أكرمته به . فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك .

أما الصولي فيرى أنه لما اجتمع ابو تمام مع جماعة بين زائر وشاعر بباب عبد الله بن طاهر وحجبوا أياما كتب الى عبد الله أبياتا مطلعها :

أيهذا العزيز قد مسّنا الضـرّ ... جميعا وأهلنا أشتات

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٢ ، والاغاني ١٦ : ٣٠٨

(٢) ديوان أبي تمام : ٤٤

(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٢

فضحك عبد الله لما قرأ الشعر ، وقال : قولوا لأبي تمام لا تعاود مثل هذا الشعر فان القرآن أجل من أن يستعار شيء من ألفاظه للشعر ، ووجد عليه (١) .

كما ان الصولي نقل قدوم أبي تمام الى خراسان ووجد عبد الله عليه بصورة اخرى وذلك أنه لما جاء الى خراسان وأنشد عبد الله قصيدته أمر له طاهر بشيء لم يرضه ففرّقه ، فغضب عبد الله عليه لاستقلاله ما أعطاه وتفريقه اياه (٢) .

ويستدل الصولي لغضب عبد الله دليلا آخر وهو ان ابا تمام هوى بابرشهر وهي نيشابور مغنية تغني بالفارسية ، حاذقة طيبة الصوت ، فكان عبد الله كلما سأل عنه أخبر أنه عندها فنقص عنده (٣) .

ولا أرى لثلاثة من الادلة المذكورة سببا في ذلك ، لأنني قدمت في باب جود عبد الله أن ما ينثر على الشخص سواء كان شاعرا أو غيره لا يلتقطه المنثور عليه وعبد الله الذى عاش في العراق يعلم أنه ليس من العادة أن يجمعه المنثور وليست هذه أنفة من أبي تمام فلا يكون غضب عبد الله بهذا السبب .

وليس سببه تمثل أبي تمام بالقرآن في شعره لأن ذلك ليس فيه اهانة للقرآن وان عبد الله لما رأى شعره ضحك فكان الأجدر أن يغضب اذا رأى اسائته للقرآن .

ولم ينقص ابو تمام عند عبد الله بن طاهر عندما هوى جارية مغنية لأن عبد الله لا يهتم بأمر كهذا بل انه هو الذى كان قد بعث بجارية حسناء وضيئة الى محمد بن أبي حازم

---

(١) اخبار ابي تمام : ٢١١
(٢) نفس المصدر : ٢١٢
(٣) نفس المصدر : ٢١٣

الباهلي ، ولما وصفها في أبيات بعثها الى عبد الله بن طاهر ، بعث اليه بأخرى ظاهرها كباطنها ![1] . فكيف يغضب رجل هذه شيمته ! من أبي تمام لهواه جارية مغنية وهـذا مردود أيضا .

ولكني أميل الى الصولي في خبره أن عبد الله لما أمر له بما لم يرضه وفرّقه غضب عليه لاستقلاله ما أعطاه . وأرى استقلال ابي تمام – ان صح الخبر – عمل قبيح لأن عبد الله كان يردف عطاءه مرارا وتكرارا ثم تفريقه للعطاء بمثابة رد العطاء ولا سيما امام أعينه ورد الاحسان عمل قبيح ممن صدر . أما غضب عبد الله من أبي تمام فكان أقبح ، لأنني كما أسلفت في باب جود عبد الله بن طاهر ان الرجل كان ضيفا على أمير خراسان ويجب أن يغفر زلته ويعفو عنه ولا يجرجه ويؤلمه ويتركه في عسر وشدة .

وأما ما يرى الدكتور البهبيتي من أن غضبة عبد الله انما جاءت بعد مقدم ابي تمام خراسان وبقائه زمنا طويلا أو قصيرا . فجاب أرجاءها ومدح جعفر بن عمر الأزدي وصوّر خصومة الفرس والعرب . فهيّج عبد الله وغضبه عليه [2] فلا أرى ذلك سببا . لأن أبا تمام الذي ينزل ضيفا على أمير خراسان يجب أن يعرف – ولا سيما اذا كان موضع حفاوة وتكريم – أنه يجب أن لا يهيج مضيفه ومن حوله فاذا كان لأبي تمام معرفة بهذا الامر فالأرجح أن يكون مدحه لحفص قبل مجيئه لخراسان أو بعد عودته منها واذا كان في سفره هذا فالأرجح أن يكون غضب عبد الله أقدم وأسبق على مدح أبي تمام لحفص . لأن كسير القلب يهجو ويذم لا المكرّم . وحتى اذا كان ذمه لاهل خراسان في سفره اليها فلا أرى عبد الله من يغضب عليه لذلك . لأن عبد الله هو ذاك الذي هجاه محمد بن يزيد الحصني المسلمي

---

(١) طبقات الشعراء : ٣٠٨

(٢) أبو تمام الطائي للدكتور نجيب محمد البهبيتي : ١٢٢

وقد أفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد بقوله لعبد الله بمطلع :

يابن بيت النار موقدها   ما لحاذيه سراويل

فلما مضت الايام ووقع الحصني في قبضة عبد الله عفا عنه وسوّغه خراجه ثلاث سنين [١] .
فكيف يفعل بأبي تمام وهو ضيفه ونزيله وعبد الله لا يدين بالعنصرية ويحرق كتب الفرس ولا يهتم هو وأولاده برغباتهم وميولهم كما فعل طاهر بن عبد الله بن طاهر في قطع السرو وارساله الى المتوكل [٢] .

اذن فيكون غضب عبد الله بن طاهر اما عن تغريقه - كما ذكر الصولي - لما أمر له أو لسبب آخر نجهله .

ويظهر ان أبا تمام قد بعث برقعة فيها شعر الى عبد الله فوقّع له بشيء فتأخر عنه وطال بقاؤه في خراسان وحل عليه الشقاء فقال :

لم يبق للصيف لا رسم ولا طلل   ولا قشيب فيستكسى ولا سمل [٣] .

ولما حل به اليأس قال :

صريع هوى تغاديه الهموم   بنيسابور ليس له حميم [٤] .

وفي الدنيا غنى لم انب عنه   ولكن ليس في الدنيا كريم !

وأخيرا وسّط ابا العميثل بينه وبين عبد الله فأنشأ قصيدة مطلعها :

ليت الظباء ابا العميثل خبّرت   خبرا يروّى صاديات الهام [٥]

---

(١) معجم الادباء ١٢ : ١٩٤
(٢) ثمار القلوب : ٥٩٠
(٣) ديوان ابي تمام : ٣٧٨
(٤) نفس المصدر : ٣٨٠
(٥) نفس المصدر : ٢٨٠

فبلغت الابيات أبا العميثل شاعر آل طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليه من أجله ، وتضمن له ما يحبه ، ثم دخل الى عبد الله بن طاهر فقال له : أيها الامير ، أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ، فوالله لو لم يكن له ما له من النباهة في قدره ، والاحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره والتوقي لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن ، وفراقه السكن ، وقد قصدك عاقدا بك أمله ، معملا اليك ركائبه ، متعبا فيك فكره وجسمه وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيا ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله في قومس . ثم ذكره له البيتين اللذين قالهما ابو تمام في قومس .

فقال عبد الله بن طاهر لأبي العميثل : لقد نبّهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ولك ولأبي تمام العتبى ، أدعه يا غلام ، فدعى له فنادمه يومه وأمر له بألفي دينار وما يحمله من الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته الى آخر عمله [١] .

١٠ـ عيسى بن موسى الطيفوري :

خرج الى نيسابور أيام طاهر بن عبد الله ومدحه عند تقلده خراسان وأقام على بابه [٢] مدة .

١١ـ مدرك بن غزوان الجعفري ، وهو اعرابي حبس بنيسابور مع من حبس من الاعراب ، أيام المتوكل ، فصنع قصيدة خاطب فيها طاهر بن عبد الله ووصف حلمه وشجاعته [٣] .

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٣
(٢) معجم الشعراء (كرنكو) : ٢٦٢
(٣) نفس المصدر : ٤٠٧

١٢– علي بن الجهم : وقد كتب المتوكل فيه الى طاهر بن عبد الله بن طاهر أنه اذا ورد عليه ابن الجهم صلبه يوما ، ففعل ذلك طاهر ، وقال ابن الجهم في ذلك أبياتا ، وأكرمه طاهر بعد ذلك[١] .

١٣– الشاعر محمد بن سليمان الحرمي : كان في خدمة محمد بن طاهر الثاني الى أن زال حكمه على يد الصفّار[٢] .

١٤– ولعله كان يتردد الى حضرة محمد بن طاهر الثاني الشاعر محمود الوراق الهروى ويسمعه أبياته[٣] .

١٥– تمام بن أبي تمام الطائي : دخل على محمد بن طاهر لما ولي خراسان وأنشده :

هنّاك رب الناس هنّاكا ما من جزيل الملك أعطاكا
قرّت بما أعطيت يا ذا الحجى والباس والانعام عيناكا
أشرقت الارض بما نلته وأورق العود لنجواكا

فاستضعفت الجماعة شعره وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال محمد بن طاهر لعبد لله بن اسحاق ، وكان يعرفه الناس وهو على أمره : قل لبعض شعرائنا يجيبه . فغمز رجلا في االمجلس ، فأقبل على تمام فقال :

حيّاك رب الناس حيّاكا ان الذى أملت أخطاكا
مدحت خرقا منهبا ماله ولو رأى مدحا لواساكا

---

(١) وفيات الاعيان : ٣ : ٤٠
(٢) معجم الشعراء : ٤٠٤
(٣) مجمع الفصحاء ١ : ٥١١

فهاك ان شئت بها مدحة   مثل الذى أعطيت أعطاكا

فقال تمام : أعز الله الامير ، ان الشعر بالشعر ربا ، فاجعل بينهما رضخا من دراهم حتى يحل لي ولك ! فضحك محمد وقال : ان لم يكن معه شعر أبيه ، فمعه طرف أبيه ، اعطوه ثلاثة آلاف درهم ، فقال عبد الله بن اسحق : ولقول أبيه في الامير عبد الله بن طاهر :

أمطلع الشمس تنوى ان يؤم بنا   فقلت : كلا ، ولكن مطلع الجود .

ثلاثة آلاف اخرى ، قال محمد : ويعطى ذلك .

هؤلاء هم الذين استطعت أن أتبيّن لهم صلة بالدولة الطاهرية ، ولا ريب في أن خراسان في عهد الطاهريين جذبت اليها عددا اكثر من العلماء والادباء ، ولكن أخبارهم لم تصلنا .

وهذا كله قاصر على صلة الادباء بالطاهريين اثناء كونهم ووجودهم بخراسان ، فأما اذا أردنا دراسة الادباء الذين كانت لهم صلة بهم في غيرها فاننا لا بد أن ندرس العتابي والصيني وابن أبي عيينة وعبد الله بن السمط والبحترى وكثيرين غير هؤلاء توفروا على المدح والهجاء ، كذلك كان لا بد ان نذكر شعراء الشام ومصر الذين تصدّوا لعبد الله بن طاهر عندما دخل هذين القطرين ، ولكن ذلك كله خارج عن سياق هذا البحث .

---

(١) ابخار أبي تمام : ٢٦١ — ٢٦٢

الخـــاتمة

لقد استعرضت في رسالتي هذه الحياة السياسية والادبية والفكرية في العصر الطاهرى بخراسان فدرست نشأة هذه الاسرة منذ البداية في ذلك الصقع منذ أن قام الجد الاعلى وهو مصعب بن زريق بن ماهان وأخوه طلحة بن زريق ، مع من قام ، في نشر الدعوة العباسية سرا فعلانية . وتعرضت لكل الاخبار ، التي كان بالامكان الافاة منها ، فحلّلت هذه الاسرة تحليلا حتى نمت وتشعّبت وذاعصيتها في آفاق العالم الاسلامي شرقا وغربا يومذاك . وتطرّقت الى الاعمال الهامة والخدمات الجليلة التي قدمتها أسرة الطاهريين للخلافة العباسية والمحافظة على كيان هذه الخلافة واخلاصها ووفائها لها في قمع الثورات واخماد الفتن وتوطيد دعائم الخلافة واظهار الولاء التام للخليفة والخضوع له وتوسيع رقعة المملكة ومحاربة الزندقة والشراة والخوارج وغيرهم .

وشرحت كيف أدارت هذه الاسرة هذا القسم الشاسع المسمى خراسان وهو الثاني في الاهمية بعد الحضرة على حد قول المأمون (1) ، ثم كيف كانت السيادة وراثية تنتقل الى الابناء فالاحفاد . وكيف حافظت دولة الطاهريين على مركزها في قلب الخليفة ونفوذها على المنطقة بحيث لم تدع مجالا لذوى الاطماع من الفئات الاخرى أن يقفوا في وجهها لتضعف من توفقها السياسي وغير السياسي أو يفسدوا رأى الخليفة في هؤلاء الامراء . وقد أسهبت في الموضوع بحيث تناولت كل ما قدرت ان هذه الرسالة تتطلبه .

ثم انتقلت الى الناحية الادبية ، فبذلت ما أمكنني من الجهد في دراسة هذه الاسرة من الوجهة الادبية بفنونها والناحية الحضارية بصورة عامة من عادات وطقوس وتقاليد ،

---

(1) الديارات : ٨٨

ومذهب ، وهوايات ، وأدب من شعر ونثر وغناء وموسيقى . وأفردت فصلا كاملا للأسرة ذاتها في الادب وفصلا للغناء وبحثت ، مع قلة المصادر وندرة ما جاء في هذه المصادر والمراجع ، بحثا أرجوان يكون دقيقا . ثم انصرفت الى تشجيعهم للعلم والادب وأهلهما وأفردت لذلك أيضا فصلا خاصا بحيث شمل كيفية جلب هذه الاسرة للعلماء والادباء وجمعهم في بلاطهم وتهيئة الاجواء المناسبة واغداق الاموال والعطايا وتوفير وسائل الراحة وتنمية العقول من مدارس ومكتبات والسهر على كل واحد منهم كل حسب مقامه ومنزلته والعطف عليهم بحيث غدوا هؤلاء أوفياء لهذه الاسرة . فألّف هؤلاء العلماء والادباء للطاهريين كتبا وعلّموا ابناءهم وابناء شعبهم وتركوا تراثا انسانيا خالدا قد نستطيع ان نطلق على مجموعه بالتراث الطاهرى . وذكرت يسيرا — لقلة المراجع والمصادر — عن كيفية انشاء هذه الاسرة حلقات التعليم الابتدائي والمدارس والمعلمين والمؤدبين وهيئة التفتيش والاشراف على مدارس المدن وضواحيها والقرى واختيار المؤدبين وانتقاءهم بعد تثقيفهم وتعليمهم في دورات تدريبية . وعن كيفية تشجيع هذه الاسرة ، الفارسية الأرومة ، اللغة الاسلامية المطلقة وهي اللغة العربية آنئذ ، فكانت الثقافة العربية هي الغالبة بل الوحيدة في البلاط الطاهرى دون غيرها بحيث انهم عمدوا على ابادة ما وجد من الكتب الفارسية ، فكان للطاهريين اذن دور كبير ونشيط في نشر الثقافة العربية الاسلامية وآدابها .

وفضلا عن ان الطاهريين تركوا لنا نماذج مشرقة من نثرهم وشعرهم بحيث تنم عن روحهم الادبية وقرائحهم الوقّادة وأدبهم الجليل ، فانهم عنوا بتربية عدد غير قليل من أهل العلم والادب بتشجيعهم وتمويلهم وتزويدهم بما يحتاجونه فحافظوا على هذه الجماعة التي تربّى الاجيال وتخلق النفوس وتهذّب العقول والذين تركوا في المجال العلمي

والادبي آثارا جليلة . كما قمت بترجمة عدد من هؤلاء العلماء الافذاذ والادباء الذين عاشوا في ظل الامراء الطاهريين أو اتصلوا بهم .

وقد تسعفني الايام الى الاطلاع على مصادر اخرى - ان وجدت - مخطوطة أو مطبوعة لتصبح هذه الرسالة الصغيرة كتابا يتحدث عن اسرة حاكمة ادبية وعن أعقابها وذراريها فأقدمها الى المكتبة العربية والاسلامية علّها تستطيع أن تسد فراغا والله الموفّق .

المصـــادر

٠١ آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزويني المتوفي سنة ١٢٨٣ م . (٦٨٢ هـ) طبعة (دار صادر ودار بيروت) بيروت ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) .

٠٢ احسن ما سمعت لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) تصحيح محمد افندي وصادق عنبر — مطبعـــة الجمهور — الطبعة الاولى — القاهرة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) .

٠٣ اخبار ابي تمام لابي بكر محمد بن يحيى الصّولي المتوفي ٣٣٥ هـ (٩٤٦ م) تحقيق خليل محمد عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي — لجنة التأليف والنشر — القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

٠٤ الأخبار الطوال للامام ابي حنيفة ، احمد بن داود الدينوري ، المتوفي ٢٨٢ هـ . (٩٠٠ م) تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة الدكتور جمال الدين الشّيّال — طبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه (الطبعة الاولى) القاهرة ١٩٦٠م .

٠٥ أدب الدنيا والدين لأبي الحسن عليّ بن محمد بن حبيب البصري الماورديّ المتوفـــي ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) مطبعة الجوائب — القسطنطينية (الطبعة الاولى) ١٢٩٩ هـ. (١٨٨١ م) .

٠٦ أدب النديم لمحمود بن الحسين المعروف بكشاجم المتوفي ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) مطبعـــة بولاق بالقاهرة . ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) .

٠٧ أشعار اولاد الخلفاء واخبارهم لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفي ٣٣٥ هـ . (٩٤٦ م) نشرة ج .هيورث . د ن . مطبعة الصاوي — القاهرة ١٩٣٦ م .

٠٨ الاعلاق النفيسة لأبي علي احمد بن عمر ابن رسته المتوفي بعد سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م). (تحقيق ميخائيل جان دوغويه) مطبعة بريل — ليدن ١٨٩١ م .

٠٩ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمّد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ المتوفي ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) المطبعة العلمية — حلب (الطبعة الاولى) ١٩٢٣ م — ١٩٢٦ م .

١٠. الاغاني لأبي الفرج، علي بن الحسين الاصفهاني المتوفي ٣٥٦ هـ (٩٦٦م) طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ابتداء من سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧م) والاغاني طبعة دار الثقافة بيروت.

١١. الامالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادى المتوفي ٣٥٦ هـ (٩٦٦م) (الطبعة الثانية) طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦م).

١٢. الامتاع والمؤانسة لابي حيان علي بن محمد التوحيدى المتوفي ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) ضبط وتصحيح احمد امين واحمد الزين (الطبعة الاولى) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٩م والطبعة الثانية ١٩٤٢م.

١٣. الانتصار لواسطة عقد الامصار لابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي الشهير بابن دقماق المتوفي ٨٠٩ هـ (١٤٠٦م) (الطبعة الاولى) - مطبعة بولاق - القاهرة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١م).

١٤. ايضاح المكنون في الذيل علي "كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون" لاسماعيل باشا البغدادى - مطبعة المعارف اسطنبول ١٩٤٥م.

١٥. البخلاء لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ (٨٦٨م) تحقيق طه الحاجرى دار الكاتب المصرى بالقاهرة ١٩٤٨م.

١٦. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ (٨٦٨م) تحقيق الاستاذ حسن السندوبي (الطبعة الثانية) المطبعة الرحمانية ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢م.

١٧. التاج في أخلاق الملوك لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ (٨٦٨م) تحقيق الاستاذ احمد زكي (الطبعة الاولى) المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٢٢ هـ. (١٩١٤م).

١٨. تاريخ ابن خلدون الكبير للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي المتوفي ٨٠٨ هـ (١٤٠٥م) وهو المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر - مطابع دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦م.

١٩. تاريخ البيهقي لأبي الفضل محمد بن حسين البيهقي المتوفي ٤٧٠ هـ (١٠٧٧م)
ترجمه الى العربية يحيى الخشّاب وصادق نشأت ـ الناشر مكتبة الانجلو مصرية ـ
دار الطباعة الحديثة ١٩٥٦م .

٢٠. تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر (فارسي) لغياث الدين همام الحسيني وقد ألّفه سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٣م) .

٢١. تاريخ الحكماء لجمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفي ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م)
تحقيق جوليوس ليبرت طبع ليبزيك ١٩٠٣م .

٢٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي المتوفي ٩١١ هـ (١٥٠٥م) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (الطبعة الثانية) المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ مطبعة السعادة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩م) .

٢٣. تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفي ٣١٠ هـ (٩٢٢م)
مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧هـ (١٩٣٩م) .

٢٤. تاريخ سيستان (فارسي) تصحيح ملك الشعراء بهار ـ مطبعة فردين واخوه ـ
طهران ١٣١٤ شمسية (١٩٣٥م) .

٢٥. تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لأبي المعالي محمد بن رافع السلامي المتوفي ٧٧٤ هـ (١٣٧٢م) ذيل علي تاريخ ابن النجار ، انتخبه التقي الفاسي المكي ، صححه وعلّق حواشيه المحامي عباس العزاوى مطبعة الاهالي ببغداد ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨م) .

٢٦. تاريخ (الكامل في التاريخ) لأبي الحسن علي بن احمد بن الأثير المتوفي ٦٣٠ هـ (١٢٣٢م) تحقيق الشيخ عبد الوهاب النجار ـ ادارة الطباعة المنيرية بمصر
١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) .

٢٧. تاريخ كزيده (فارسي) لحمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر المستوفي القزويني ألفه سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩م) باعتناء ادوارد براون طبعة كمبريج لندن ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)

٠٢٨ تتمة اليتيمة لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) عني بنشره عباس اقبال — مطبعة فردين — طهران — ١٣٥٣ هـ ٠

٠٢٩ تجارب الامم لأبي علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه المتوفي ٤٢١ هـ (١٠٣٠م) تحقيق هـ٠ف٠ آمدروز مع ر٠س٠ مرجليوث — مطبعة شركة التمدّن الصناعية بمصر ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ٠

٠٣٠ تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لابي الحسن الهلال بن المحسن الصابي المتوفي ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) تحقيق عبد الستار احمد فرّاج طبعة دار احياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٥٨ م ٠

٠٣١ التنبيه والاشراف لابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودى المتوفي ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) وقد بناه المسعودى — كما قال في صفحة ٢٧٩ — على كتاب الاستذكار لما جرى في سوالف الاعصار — تصوير من طبعة المستشرقين تحقيق بارون روسن — مكتبة خياط — بيروت ١٩٦٥ م ٠

٠٣٢ تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر بن احمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران الدمشقي المتوفي ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) (الطبعة الاولى بنفقة المكتبة العربية بدمشق) مطبعة الترقي — دمشق ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ٠

٠٣٣ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم — دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م) ٠

٠٣٤ جمهرة انساب العرب لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي المتوفي ٤٥٦ هـ (١٠٦٣ م) تحقيق عبد السلام محمد هارون — دار المعارف بمصر ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) ٠

٠٣٥ الحيوان (كتاب الحيوان) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) تحقيق عبد السلام محمد هارون — مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (١٣٥٦ هـ — ١٣٦٦ هـ (١٩٣٨ م — ١٩٤٥ م)) ٠

٠٣٦ خاص الخاص لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابورى المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٦م.

٠٣٧ الخراج لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم (الطبعة الثانية) المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م). والخراج لمحمد ضياء الدين الريّس (الطبعة الاولى) مكتبة نهضة مصر ومطبعتها القاهرة ١٩٥٧ م.

٠٣٨ خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى المتوفي ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) (الطبعة الاولى) المطبعة الميرية، بولاق، ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م).

٠٣٩ الديارات لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفي ٣٨٨هـ(٩٩٨م) عني بتحقيقه ونشره كوركيس عوّاد عضو المجمع العلمي العراقي بدمشق وطبع بمساعدة ماليّة المجمع العلمي العراقي - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥١م.

٠٤٠ ديوان أبي تمام الطائي شرح وتحقيق المعلّم شاهين عطية بنفقة لطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية - المطبعة الادبية - بيروت ١٨٨٩ م.

٠٤١ ديوان البحترى تحقيق حسن كامل الصّيرفي طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٣م. وطبعة الجوائب (الطبعة الاولى) ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م).

٠٤٢ الذخائر والتحف للقاضي الرشيد ابي الحسن احمد بن الزبير المتوفي في القرن الخامس الهجرى تحقيق الدكتور محمد حميد الله - طبعة الكويت ١٩٥٩ م.

٠٤٣ رغبة الآمل من كتاب الكامل للسيد بن علي المرصفي المتوفي ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠م) (الطبعة الاولى) مطبعة النهضة بمصر ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م).

٠٤٤ زهر الآداب وثمر الالباب لأبي اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم الانصارى الحصرى القيرواني المتوفي ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م بتحقيق الدكتور زكي مبارك (الطبعة الثانية) المكتبة التجارية الكبرى - المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٩ م.

٠٤٥ سرّ الفصاحة للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفي ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) تحقيق علي فودة من علماء الازهر (الطبعة الاولى) مكتبة الخانجي، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م.

٤٦ · سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للوزير أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد البكرى الأونبي الأندلسي المتوفي ، تحقيق عبد العزيز الميمـــني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٦ م).

٤٧ · شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفـــلاح عبدالحيّ ابن العماد الحنبلي المتوفي ١٠٨٩ هـ (١٦٧٩ م) ، مكتبة القدسي – القاهرة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م).

٤٨ · شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفي ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون (الطبعـــة الأولى) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٥١ م .

٤٩ · الشعر والشعراء لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفي ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) ، تحقيق أحمد محمد شاكر – دار احيـــاء الكتـــب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٦ م).

٥٠ · صبح الأعشى لأحمد بن علي بن أحمد الفزارى المتوفي ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) مطبعة الأميرية بمصر ١٩١٣ م – ١٩١٩ م .

٥١ · الصداقة والصديق لأبي حيان علي بن محمد التوحيدى المتوفـــي ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ، عني بتحقيقها والتعليق عليها ابراهيم الكيلاني – دار الفكر – دمشق – ١٩٦٤ م .

٥٢ · الصّناعتين لأبي الهلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكرى الأهـــوازى المتوفي ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) ، تحقيق علي محمد البجاوى ومحمـــد أبـــو الفضل ابراهيم ، (الطبعة الأولى) دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر – ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) .

٥٣ · صورة الأرض لأبي القاسم محمد بن حوقل (الطبعة الثانية) مطبعة بريل – ليدن ، ١٩٣٨ م .

٥٤ . طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي المتوفي سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) ، تذييل الأب لويس شيخو اليسوعي — المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين — بيروت ١٩١٢ م .

٥٥ . طبقات الشعراء لأبي العباس عبدالله بن المعتز المتوفي ٢٩٦ هـ (٩٠٨م) ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، مطبعة دار المعارف — القاهرة ١٩٥٦م .

٥٦ . طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدى المتوفي سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (الطبعة الأولى) ، مطبعة الخانجي بالقاهرة — ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .

٥٧ . العقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب ابن حدير بن سالم القرطبي المتوفي ٣٢٧ هـ (٩٣٨ م) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٣٥٩ هـ (١٩٤١ م) .

٥٨ . العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفي ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) ، الطبعة الأولى) ، مطبعة أمين هندية بمصر ، ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ، و (الطبعة الثانية) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد — مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥م) .

٥٩ . العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول من خلافة الوليد ابن عبدالملك الى خلافة المعتصم ، مطبعة بريل — ليدن ، ١٨٧١م .

٦٠ . فتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى المتوفي ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) ، (الطبعة الأولى) ، مطبعة الموسوعات — القاهرة ، ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) .

٦١ . الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لفخر الدين محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقى المتوفي ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) ، تصحيح و . آلوارت . غوطا ، برئيس ١٨٦٠ م ، وشركة طبع الكتب العربية بالقاهرة ، ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م) ، ومكتبة العرب ، القاهرة ١٣١٩ هـ (١٩٠١م) .

٦٢ . فوات الوفيات لأبي عبدالله محمد بن شاكر الكتبي المتوفي ٧٦٤ هـ ، (١٣٦٢ م)، مطبعة بولاق ، ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م).

٦٣ . الفهرست لمحمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق ، ابو الفرج بن أبي يعقوب النديم المتوفي ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م)، من سلسلة روائع التراث العربي – مكتبة خياط – بيروت ، ١٩٦٤ م .

٦٤ . الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد المتوفي ٢٨٥ هـ (٨٩٨م)، تحقيق وليام رايت – طبعة المستشرقين – ليبزيك ، ١٨٧٤ م .

٦٥ . كتاب بغداد لأبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب المعروف بأبن طيفور المتوفي ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م)، تحقيق الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري – عني بنشره السيد عزت العطار الحسيني – مكتب نشر الثقافة الاسلامية ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م).

٦٦ . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة المتوفي ١٠٦٧ هـ (١٦٥٦ م)، صححه محمد شرف الدين يالتقايا – مطبعة المعارف باسطنبول ١٣٦٠ هـ (١٩٤١م).

٦٧ . لباب الآداب لأبي المظفر أسامة بن مرشد بن المنقذ المتوفي ٥٨٤هـ (١١٨٩ م) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (الطبعة الأولى)، مكتبة لويس سركيس،المطبعة الرحمانية – القاهرة ، ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م).

٦٨ . لباب الألباب لمحمد عوفي (فارسي) علّق عليه ادوارد براون – مطبعة لوزاك – لندن، ١٩٠٣ م – ١٩٠٦ م .

٦٩ . اللّباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير المتوفي ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م)، مكتبة القدسي – القاهرة، ١٣٥٧ هـ ، (١٩٣٨م).

٧٠ . لبّ اللباب في تحرير الأنساب لجلال الدّين عبدالرحمن السيوطي، المتوفي سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م)، تحقيق بطرس يوهانس فت ، مطبعة

لوختمانس – ليدن ، ١٨٤٢ م .

٧١ . لطائف المعارف لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ، مطبعة بريل – ليدن ١٨٦٧م .

٧٢ . لطائف المعارف (المنسوب) لأبي بكر محمد بن عبدالله بن طاهر المتوفي سنة ٢٥٣ هـ ، صورة دار الكتب المصرية (أدب ٢٢٩٢) .

٧٣ . المحاسن والأضداد لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) ، (الطبعة الأولى) محمود توفيق ، مطبعة الفتوح – القاهرة ، سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) .

٧٤ . المحاسن والمساوئ للشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي المتوفي ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م) ، تحقيق فردريك شوالي طبع ليبزيك ، ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م) .

٧٥ . المحبّر لمحمد بن حبيب البغدادي المتوفي ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) ، طبع حيدر آباد الدكن في الهند ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) .

٧٦ . مروج الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودى المتوفي سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (الطبعة الثالثة) ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) .

٧٧ . المسالك والممالك لابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى المعروف بالكرخي المتوفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى – تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني ، ومراجعة محمد شفيق غربال – وزارة الثقافة والارشاد القومي – القاهرة ، ١٣٨١ هـ (١٩٦١م) .

٧٨ . المستجاد من فعلات الأجواد لأبي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفي ٣٨٤ هـ (٩٩٤م) ، عني بتحقيقه الأستاذ محمد كرد علي – مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق – مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) .

٧٩ . المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي

المتوفي ٨٥٢هـ (١٤٤٨م)، مطبعة بولاق ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م).

٨٠ . المشتبه في أسماء الرجال لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفي ٧٤٨هـ (١٣٤٧م)، مطبعة بريل – ليدن، ١٨٦٣م .

٨١ . المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي ٢٧٦هـ (٨٨٩م)، تحقيق فرديناند وستنفلد، غوتنغتن، فاندنهوك وروبرخت، ١٨٥٠م.

٨٢ . معاهد التنصيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي، ألفه سنة ٩٠١هـ (١٤٩٥م، وتوفي سنة ٩٦٣هـ (١٠٥٥م)، مطبعة بولاق ١٣١٦هـ (١٨٩٨م).

٨٣ . معجم الأدباء للشيخ شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى المتوفي ٦٢٦هـ (١٢٢٨م)، تحقيق د . س . مرجليوث (الطبعة الثانية)، مطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٢٣م – ١٩٢٦م . وأخرى تحقيق أحمد فريد رفاعي، مطبعة دار المأمون القاهرة، ١٩٣٦م – ١٩٣٨م .

٨٤ . معجم البلدان لياقوت، طبع دار صادر ودار بيروت – بيروت، سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م).

٨٥ . معجم الشعراء لأبي عبيد الله بن عمران بن موسى المرزباني المتوفي ٣٨٤هـ (٩٩٤م)، تحقيق فريتز كرنكو، مطبعة القدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م).

٨٦ . مقاتل الطالبيين لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفي ٣٥٦هـ (٩٦٦م)، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر – طبع دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م).

٨٧ . المنازل والديار لأسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ

الكتاني ، عني بنشره انس خالدوف ــ تصوير أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي ــ معهد الشعوب الآسيوية ــ موسكو ، ١٩٦١ م .

٨٨ . المنتحل لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي المتوفي سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ، تحقيق أحمد ابو علي ــ المطبعة التجارية ــ الاسكندرية ــ مصر ، ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) .

٨٩ . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن علي الجوزى المتوفي ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) ، (المطبعة الأولى) ــ حيدر آباد الدكن في الهند ، ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .

٩٠ . الموشح لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني المتوفي ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) ، تحقيق علي محمد البجاوى ــ دار نهضة مصر ، مطبعة لجنة البيان العربي ــ القاهرة ــ ١٩٦٥ م .

٩١ . الموشى أو الظرف والظرفاء لأبي الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء المتوفي ٣٢٥ هـ (٩٤٦ م) ، طبع دار بيروت ودار صادر ــ بيروت ، سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

٩٢ . نثر النظم وحل العقد لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابورى المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ، (الطبعة الأولى) ، المطبعة الأدبية بمصر ، ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) .

٩٣ . النجوم الزاهرة لجمال الدين يوسف بن تغرى بردى المتوفي ٨٧٤ هـ ، (١٤٦٩ م) ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠ م .

٩٤ . نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار جمعه عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم المتوفي ١٣٦٢ هـ (١٩٤٤ م) ، مطابع دار العباد ــ بيروت ــ ١٩٥٧ م .

٩٥ . نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن

محمد بن الأنباري المتوفي ٥٧٧ هـ (١١٨١م)، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي - مطبعة المعارف - بغداد ، ١٩٥٩م .

٩٦ . نهاية الارب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفي ٧٣٣ هـ (١٣٣٢ م) ، (الطبعة الثانية) ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩م).

٩٧ . الوافي بالوفيات لصلاح الدين بن ايبك الصفدي المتوفي ٧٦٤هـ (١٣٦٢م) باعتناء هلموت ريتر - دار النشر فرانز شتاينر شبادن ، ١٣٨١ هـ (١٩٦٢م).

٩٨ . وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفي ٦٨١ هـ (١٢٨٢م)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، (الطبعة الأولى) ، مكتبة النهضة المصرية - مطبعة السعادة بمصر - ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨م).

٩٩ . ولاة مصر لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفي ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) ، تحقيق الدكتور حسين نصار - دار بيروت ودار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩م).

١٠٠ . الولاة والقضاة لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفي ٣٥٠هـ (٩٦١م)، مهذبا ومصححا بقلم رفن كست - مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ، ١٩٠٨ م .

١٠١ . هدية العارفين لاسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابائي البغدادي المتوفي ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠م)، طبعة المعارف العثمانية - مطبعة الحكومة - اسطنبول ، ١٩٥١م .

١٠٢ . يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر تأليف ابي منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي ٤٢٩ هـ (١٠٣٧م)، مطبعة الحنفية بدمشق ، ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م).

المـــراجـــع

١ . آثار الأدهار للجوزى (الطبعة الأولى) المطبعة السورية ١٢٩٣هـ (١٩٧٧م).

٢ . آثار الشيعة الامامية (فارسي) لعبد العزيز جواهر كلام – مطبعة المعارف – طهران ١٣٠٧ شمسية (١٩٢٨م).

٣ . أطلس خريطة العالم الاسلامي – هارى، هزارد – ترجمة ابراهيم زكي خورشيد – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ١٩٥؟م.

٤ . الاعلام للزركلي، (الطبعة الثانية)، مطبعة كونستاتيسو ماس – القاهرة سنة ١٩٥٤م – ١٩٥٩م.

٥ . أعيان الشيعة للمرحوم السيد محسن عبد الكريم الأمين العاملي – دمشق وبيروت، ١٩٣٦م – ١٩٦٠م.

٦ . بلدان الخلافة الشرقية للمستشرق الانكليزى كي لسترنج نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد – مطبوعات المجمع العلمي العراقي – مطبعة الرابطة – بغداد، ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م).

٧ . تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار – مطبعة دار المعارف بمصر – ١٩٦٢م.

٨ . تاريخ الأدب الفارسي (فارسي) للدكتور رضا زاده شفق – استاذ جامعة طهران – ترجمة محمد موسى الهنداوى، دار الفكر العربي، مصر ١٩٤٧م.

٩ . تاريخ الأدب في ايران للدكتور ذبيح الله صفا استاذ جامعة طهران – (الطبعة الثانية)، طبعة جامعة طهران، ١٣٢١ شمسية (١٩٤٢م).

١٠ . تاريخ الأدب في ايران للمستشرق الانكليزى ادوارد جرانفيل براون، أستاذ جامعة كمبردج سابقا، نقله الى العربية الدكتور ابراهيم الشواربي أستاذ اللغات الشرقية بجامعات مصر، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م).

١١ . تاريخ تطور النثر الفارسي ، سبك شناسي (فارسي) ، للأستاذ المرحوم ملك الشعراء بهار ـ أستاذ جامعة طهران ـ مؤسسة أمير كبير للطبع والنشر ، طهران ١٣٣٧ شمسية (١٩٥٨م).

١٢ . تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ـ دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

١٣ . تاريخ الشعوب الاسلامية كارل بروكلمان ترجمة الدكتور نبيه فارس ومنير البعلبكي ، (الطبعة الأولى) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٨م .

١٤ . الثقافة الايرانية وأثرها في الحضارة الاسلامية والعربية للدكتور محمد محمدى ، مطبعة بيمان ـ طهران ١٣٢٣ شمسية (١٩٤٤م).

١٥ . دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وغيره ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٣٣م .

١٦ . دائرة المعارف اللبنانية بادارة فؤاد افرام البستاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٦م ـ ١٩٦٦م .

١٧ . دعبل بن علي الخزاعي للدكتور عبد الكريم أشتر (الطبعة الأولى) ، طبعة دار الفكر بدمشق ، ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م).

١٨ . شعر دعبل للدكتور عبدالكريم أشتر المدرس في كلية الآداب بدمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٦٤م .

١٩ . مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني للدكتور علي ابراهيم حسن ، (الطبعة الثانية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩م .

٢٠ . معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي للمستشرق زامباور المتوفي ١٩٤٩م ، اخراج الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد وآخرين ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١م .

٢١ . معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٥٧م — ١٩٦١م .

٢٢ . الموسوعة الاسلامية بالانكليزية :

The Encyclopaedia of Islam. Prepared by a number of Leading Orientalists, Leiden E.J. B Brill, 1913-1934, London, Luzac 8 Co.

فهرســـت المحتويـــات